الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

Université Abou Bekr Belkaid جامعة أبي بكر بلقايد

Tlemcen Algérie تلمسان الجزائر

جامعة تلمسان

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الدراسات المقارنة والتواصل الحضاري الموسومة بـ:

القدس في مدونات الرحالة العرب والأجانب

-دراسة مقارنة-

إعداد الطالبة: إشراف الأستاذ الدكتور:

فاطمة قيلال محمد زمري

أعضاء لجنة المناقشة

أ.د عبد العالي بشير	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	رئيسا
أ.د محمد زمري	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	مشرفا
أ.د بومدين كروم	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	عضوا
أ.د أحمد مساوي	أستاذ التعليم العالي	المركز الجامعي النعامة	عضوا
د.محمد سعيدي	أستاذ محاضر "أ"	جامعة مستغانم	عضوا

السنة الجامعية: 1437-1438هـ/2016-2017م

الإهداء

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك، و لا يطيب النهار إلا بطاعتك.. و لا تطيب اللحظات إلا بذكرك.. و لا تطيب الآخرة إلا بعفوك.. و لا تطيب الجنة إلا برؤيتك الله جل جلاله.

إلى من بلغ الرسالة و أدى الأمانة و نصح الأمة، إلى نبي الرحمة و نور العالمين سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم.

إلى من كلَّله الله بالهيبة و الوقار.. إلى من أحمل اسمه بكل افتخار.. إلى من افتقدته في مواجهة الصعاب، و لم تمهله الدنيا لأرتوي من حنانه والدي العزيز رحمه الله.

إلى من نذرت عمرها في أداء رسالة صنعتها و طرزتها من أوراق الصبر، و في ظلام الدهر على سراج الأمل لا فتور أو كلل، إلى روح أمي الطاهرة، إليكما والدي حبا و برا و طاعة.

إلى من شاركوني حضن الأم و بهم استمد عزتي و إصراري أخوي العزيزين محمد رحمه الله و بن عمر سندي و قوتي و ملاذي بعد الله، إلى زوجته و أولاده.

إلى أخواتي العزيزات و جميع أولادهم.

إلى من تذوقت معهم أجمل اللحظات، و من جعلهم الله أخواتي فيه، صديقاتي.

إلى من أعرفهم.

إلى من أتمنى ذكرهم.

إلى من أتمنى أن تبقى صورهم في ذاكرتي.

إلى كل المرابطين في أرض القدس و فلسطين الحبيبة.

شكر و عرفان

إلى كل من أضاء بعلمه عقل غيره أو هدى بالجواب الصحيح حيرة سائليه، فأظهر بسماحته تواضع العلماء، و برحابته سماحة العارفين.

إلى كل من علمني حرفا أصبح برقه يضيء الطريق أمامي.

أتقدم بجزيل الشكر و العرفان إلى الأستاذ المشرف محمد زمري على صبره و تعبه و حسن تعاونه، له منا كل الاحترام و التقدير.

إلى كل أساتذة قسم الأدب العربي، و نخص بالشكر و الذكر الأستاذ الدكتور محمد مرتاض الذي لم يبخل علينا بنصائحه القيمة، و إلى الأستاذ محفوظ سالمي الذي لم يبخل علينا بكتبه، كما نشكر كل من الأستاذ والي دادة عبد الحكيم و الأستاذ خالدي هشام و الأستاذة ساسي بدرية.

و إلى كل من أمدني بما احتجت إليه من مؤلفات كان لها أكبر الأثر في إنجاز هذه الدراسة .

و في الأخير نشكر كل من ساعد على إتمام هذا البحث و قدم لنا العون، و مد لنا يد المساعدة لإتمام هذا البحث.

المقدمة

المقدمة:

كانت الرحلة مجالا رحبا، ينطوي على علاقات إنسانية، ضاربة في جذور التاريخ السحيق لهذا الكون، منذ المحاولات الأولى، للكائن البشري في السيطرة على الطبيعة، و هي محاولات نرى فيها صورا صادقة لحياة الإنسان القديم، و صفحات من جهاده. و هكذا وجدت الرحلة مع الإنسان، و تعددت مراميها و أهدفها، لأنها استمرار لوجود الإنسان و معرفته، و امتداد حضاري للأبعاد الثقافية و الاجتماعية و الجغرافية، فكان للرحلات الفضل الكبير في رصد هذه الأبعاد من حياة الإنسان، كما تضمنت مادة غزيرة و قيمة، كانت نتاج نظر، و معاينة، و استقصاء و قراءة من قبل الرحالة. و لا شك أن الرحالين يختلفون فيما بينهم في دقة ملاحظاتهم و في درجة اهتمامهم و في نوع هذا الاهتمام، كما يختلفون أيضا في صدقهم و أمانتهم و تنوع فهمهم للأمور تحت الظروف المتغيرة التي يخضعون لها.

و قد عني العرب بتاريخ الأمم المتاخمة لهم عن طريق الأسفار و الرحلات أو القراءة، كقراءتهم لأخبار الفرس و الروم، و لقد مكنهم القرآن الكريم بما فيه من أخبار الأولين و قصص الأنبياء من التوغل في علوم التاريخ المتباينة.

و بالمثل فعلت الأقوام الأخرى و على نفس النهج سارت، حيث قام الرحالة من مختلف أصقاع و بقاع المعمورة بالترحال و التجوال حول العالم لاكتشافه، و قد جاء بقلم أحد الكتاب الفرنسيين و هو "سافاري"، في القرن الثامن عشر: "أن الرحلات تشكل أكثر المدارس تثقيفا للإنسان".

كما أثار هذا الأدب اهتماما بالغا بسبب تنوعه و غنى مادته، فهو تارة علمي و تارة شعبي، و هو طورا واقعي و أسطوري على السواء، و تكمن فيه المتعة كما تكمن فيه الفائدة. لذا فهو يقدم لنا مادة دسمة متعددة الجوانب لا يوجد مثيل لها في أي أدب آخر.

و لقد استأثرت مدينة بيت المقدس بأهمية أكيدة عبر التاريخ، قلما حظيت بمثلها مدينة قامت على أديم هذه المعمورة، فهي تعد من أقدم و أقدس المدن في العالم، و فيها تلتقي الديانات السماوية الثلاث، و على أرضها نشأت أعرق الحضارات، و لهذا و أكثر كانت مقصدا رئيسا للرحالة العرب منهم و

الأجانب على مر العصور و القرون، فزارها الآلاف من الرحالة المسلمين و المسيحيين و اليهود، و سجلوا معظم ما شاهدوه من أوضاع بيت المقدس على المستويات الدينية و الاقتصادية و السياسية و الاجتماعية و العمرانية و الجغرافية لهذه المدينة الفريدة من نوعها.

و السبب الرئيسي وراء اختيارنا لهذه المدينة دون غيرها، هو أنها انفردت عن بقية مدن العالم بمكانتها الروحية و التاريخية و الحضارية، و لما تجمعه من آثار و تراث يخص الشرائع السماوية الثلاث و بالتالي هي مقسمة بين كل من يدين هذه الديانات. و على هذا الأساس يمكننا أن نطرح بعض التساؤلات من بينها: ما هي التغيرات التاريخية و الاقتصادية و الدينية و الاجتماعية و العمرانية التي حدثت في مدينة بيت المقدس عبر العصور، من خلال رحلات العرب و الأجانب إليها؟ أو ما هي الأبعاد الدينية و الاقتصادية و الاجتماعية و العمرانية لبيت المقدس من خلال كتابات الرحالة العرب منهم و الأجانب ؟ أو كيف كانت نظرة الرحالة العرب و الأجانب إلى مدينة بيت المقدس على المستويات الدينية و الاقتصادية و الاجتماعية و العمرانية لبيت المقدس ؟

و للكشف عن هذه المتغيرات أو الأبعاد أو النظرة اتبعنا خطة تمثلت في: المقدمة ثم تبعها مدخل بعنوان: نظرة عامة القدس في الرحلة العربية و الأجنبية. ثم قسمنا هذا البحث إلى ثلاث فصول، و ضم كل من الفصل الأول و الثاني أربعة مباحث في كل واحد منهما، و جاء الفصل الأول بعنوان: البعد التاريخي لمدينة بيت المقدس منذ ظهورها إلى العهد العثماني، و أدرجنا تحت هذا الفصل أربعة مباحث، الأول و سمناه بتاريخ القدس من العصور الحجرية حتى الغزو الفارسي. أما المبحث الثاني فجاء بعنوان تاريخ القدس من الغزو اليوناني حتى الغزو البيزنطي. و يليه المبحث الثالث الموسم بتاريخ القدس من الفتح العمري إلى الفتح الصلاحي. و جاء المبحث الرابع بعنوان: تاريخ بيت المقدس من الفتح الصلاحي (العهد الأيوبي) حتى العهد العثماني. أما الفصل الثاني و الذي حمل عنوان: البعد الديني و الاقتصادي و الاجتماعي و العمراني لبيت المقدس من خلال كتابات الرحالة العرب و الأجانب. و أدرجنا تحت هذا الفصل أربعة مباحث. جاء عنوان المبحث الأول منها بعنوان البعد الديني لبيت المقدس في (التوراة، المسيحية، القرآن).

و كان المبحث الثاني بعنوان: البعد الاقتصادي لمدينة القدس من خلال رحلات العرب و الأجانب، و يتبع الفصل الثاني فصلا ثالثا و هو دراسة تطبيقية تمثلت في مقارنة بين رحلتين إحداهما لرحالة عربي و هو الرحالة "ناصر خسرو"، و الرحلة الثانية للرحالة الانجليزي البريطاني "رتش رد بوكوك". و ختمنا هذا البحث ببعض النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذا البحث. و قد اعتمدنا في هذا البحث على المنهج التاريخي و المنهج الإحصائي، و من بين الصعوبات التي واجهتنا في هذا البحث، صعوبة الحصول على الرحلات القديمة، و ترجمة رحلة بوكوك من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية.

و من بين أهم المصادر و المراجع التي استعنَّا بها في هذا البحث:

رحلة "سفرنامة" للرحالة ناصر خسرو و رحلة بوكوك ريتشرد و هي " voyage en Orient" و رحلة "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم " للمقدسي، "تاريخ بيت المقدس في العصر المملوكي" لمحمد حافظ النقر، "المفصل في تاريخ القدس" لعارف العارف، "تاريخ مدينة القدس" لمعين أحمد محمود.

مدخل

مدخل:

إن الرحلة هي فعل طبيعي عند الإنسان، عرفه منذ عرف الحياة على هذا الكوكب، فهي وسيلة هامة لاكتشاف العالم و الإنسان، و توسيع لخبرات الرحالة و معارفه. كما أنها منابع غنية بمظاهر حياة المجتمعات البشرية بما فيها من صور و أخبار و مغامرات، و معارف و علوم، و هي خزائن تحفل بالمادة الثرية، لا في مجال الجغرافيا أو التاريخ فحسب، بل تلم بالحضارة و تمثل تجربة تعكس صورة الإنسان عبر العصور [1].

و فن الرحلات هو من ألصق الفنون بحياة الأفراد و الأمم، كما أنه أحد فنون الأدب العربي العريقة، و لون من الأوان التعبيرية الأولى التي حظي بها الإنسان.

فقد قامت كتب الرحلات برصد الحياة الثقافية و الاجتماعية للشعوب، و تصوير حضارتهم و طرق عيشهم، لذا كان للرحلات قيمة تعليمية من حيث أنها أكثر المدارس تثقيفا للإنسان، و إثراء لفكره و تأملاته عن نفسه و عن الآخرين، إلى جانب الأهمية الجغرافية و التاريخية، التي تتجلى لنا من خلال مصنفات الرحالين العرب الأوائل، فتنضم بذلك إلى التراث العربي الجغرافي و التاريخي بما ساهمت به من مادة غزيرة و قيمة ، كانت نتاج نظر، و معاينة، و استقصاء، و قراءة، من قبل الرحالة [2].

فعكست بذلك صورة واضحة عن أحوال الشعوب: مأكلهم و مشربهم، و لباسهم، و خصائصهم النفسية و البدنية و عاداتهم و تقاليدهم، و صادراتهم و وارداتهم و فنونهم المعمارية، و لعل ما نقله الرحالة من أخبار و مشاهدات و أوصاف، مهد لنشوء علوم تبحث في الدراسات الاجتماعية [3].

---

[1] أدب الرحلات الأندلسية و المغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري، نوال عبد الرحمن شوابكة، دار المأمون للنشر و الطباعة، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، (1428 هـ / 2008 م) ، ص 17.

[2] الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري، دراسة في النشأة و التطور و البنية، سميرة انساعد، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2009، ص 37.

[3] أدب الرحلات الأندلسية و المغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري، نوال عبد الرحمن الشوابكة، ص 10.

و تكمن أهمية الرحلات في قيمتها العلمية و الفنية، فالقيمة العلمية تمثلت بتزويد أهل التاريخ و الجغرافيا و الآثار و الأدب و غيرها بمعلومات قيمة عن وصف المدن و الطرق و العمران و البلدان، و أخبار الناس و عاداتهم و تقاليدهم و الحوادث الغريبة، بل إن الرحالة أنفسهم يحصلون على علم وافر و تجارب كثيرة في مختلف الميادين.

أما القيمة الفنية فالرحلات تزود القراء بمعلومات ، و صور ممتعة، و أخبار مفيدة، و تستعرض الأحداث بصورة أدبية [1]. و قد شعر الكثير من رجال الفكر و الأدب بقيمة ما دونه هؤلاء الرحالة في كتبهم، فعمدوا إلى إخراجه و تحقيقه ، للاستفادة من الماضي و توظيفه في المجالات العلمية و الأدبية و الاجتماعية و استغلال معطياته لخدمة المستقبل [2].

و بهذا نستطيع القول إن الرحلات هي مصدر ثري لمختلف العلوم و سجل حقيقي لمختلف مظاهر الحياة و مفاهيم أهلها على مر العصور.

أنواع الرحلات: لقد عرفت الرحلات عند العرب أنواعا كثيرة، و قد حاول الدارسون تصنيفها و حصرها في أنواع عامة، لكنهم اختلفوا في تصنيفاتهم، فعين صلاح الدين الشامي ستة أنواع للرحلة ثلاثة منها ظهرت قبل الإسلام، و هي رحلة الحج، رحلة الحرب، و رحلة السفارة. و الثلاثة الأخرى ظهرت بمجئ الإسلام، و هي رحلة الحج، و رحلة طلب العلم، و رحلة التجوال و الطواف، و أضاف محمد الفاسي على الأنواع المذكورة أنواعا أخرى و هي الرحلات: الحجازية، السياحية، الرسمية، الدراسية، الأثرية الاستكشافية، الزيارية، السياسية و العلمية، المقامية و البلدانية،الخيالية و الفهرسية، العامة، السفارية[3].

---

[1] أدب الرحلات الأندلسية و المغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري، نوال عبد الرحمن الشوابكة، ص 53.

[2] المرجع نفسه، ص 54.

[3] الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري، دراسة في النشأة و التطور و البنية، سميرة انساعد، ص 23.

و يبدو التداخل واضحا على هذه الأنواع، كالحاصل بين الرحلات: (الرسمية و السياسية و السفارية) و بين (الدراسية و العلمية و الفهرسية) و يمكن التركيز على أكثر الأنواع شيوعا: كالرحلات العلمية و الدينية و الاقتصادية و الرسمية[1].

و قد اختلفت أغراض الرحلات باختلاف الأغراض الإنسانية، التي زادت بعد مجيء الإسلام الذي وسع بدوره آفاق الرحلة العربية، و عدد دوافعها،و بهذا بلغت ذروتها و ارتفع شأنها و قيمتها، خاصة خلال فترة الفتوحات الإسلامية و ما تلاها من عصر الاستقرار و المعرفة و الحضارة، مرورا بمراحل الخضوع و الاستسلام لمحتل قوي، و حقب مليئة بالقلق السياسي و بنشاط علمي و أدبي على الصعيد الثقافي [2].

و قد حظيت بيت المقدس بنصيب وافر من الوصف و الدراسة و التحليل و التعليق من لدن الرحالة، حيث اعتبرت من الحواضر العالمية العريقة، و لا غرو في ذلك ، إذا استحضرنا الثقل الديني لبيت المقدس الذي جعل منها قبلة لرحلات كثيرة، لمسلمين و مسيحيين و يهود. فهي مهوى أفئدة أكثر من نصف سكان العالم. هذا إضافة إلى أهميتها التاريخية لأنها من أقدم مدن العالم، و على أرضها نشأت أعرق الحضارات.

و الواقع أن ما يدفع الرحالة للقيام بزيارة هذه البلاد المقدسة، هو أنها مسرى النبي صلى الله عليه و سلم، و مركز الأديان، و مهد المسيح عليه السلام، بل لأنها مكان قدسه الله سبحانه و تعالى، و باركه للعالمين منذ بدء الخليقة ، كما أنها ارتبطت بالبيت الحرام بما أن مسجدها الأقصى هو ثالث الحرمين، إضافة إلى أنها كانت القبلة الأولى للمسلمين[3].

[1] الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري، دراسة في النشأة و التطور و البنية ، سميرة انساعد، ص 23.

[2] أدب الرحلات الأندلسية و المغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري، نوال عبد الرحمن الشوابكه، ص 21.

[3] المرجع نفسه، ص 22.

و قد أثارت بيت المقدس اهتمام المسلمين قبل الفتح و بعده، و اعتنى بها المحدثون، إذ أخذت الأحاديث في فضلها حيزا كبيرا في كتبهم و مصنفاتهم الكثيرة، و اعتنى بها السلف الصالح فصنفوا المصنفات و ألَّفوا المؤلفات في تاريخها و فضل زيارتها.

مدينة القدس، أو بيت المقدس/ أو إيلياء، أو مدينة داود، أو يبوس، أو أورشيلم، مدينة لم تغب عن ذكريات عصر من العصور، أو حقبة من الحقب، منذ القديم الغابر إلى الحديث المعاصر، اقترن اسمها لدى البعض بآدم من حيث أقدمية بناء مسجدها المقدس ، ثم تردد ذكرها مع نبإ إبراهيم و لوط و داود و سليمان و موسى و عيسى و يحيى و زكريا و محمد عليهم جميعا أفضل الصلوات و التسليم. ذكر اسمها أو أشير إليها في الكتب السماوية الثلاث: التوراة و الإنجيل و القرآن.

و كانت محور الاهتمام و مدار الأحداث في عهود العرب الأقدمين و اليهود الغابرين و الفرس و الروم المتصارعين، و المسلمين الفاتحين و الصليبيين الحاقدين، و التتار الغازين الانجليز المستعمرين ثم الإسرائيليين الدمويين [1].

و من أقدم الأسماء التي أطلقت على مدينة القدس أيضا الاسم العربي الكنعاني (مدينة السلام)، نسبة إلى (سالم) أو (شالم) أو (شاليم) أله السلام عندهم، و قد انتقل هذا الاسم إلى الأمم القديمة عن طريق العرافين الذين ذكروه بـ (أوروسالم) بمعنى مدينة السلام، ثم حرف فيما بعد إلى (يروشالايم) و (هيروسوليما) و (جيروزالم)، كما وردت باسم (روشاليموم) في الكتابات المصرية المعروفة بنصوص اللعنة [2].

[1] المجد المنيف للقدس الشريف، عبد الله نجيب سالم، ملتقى أهل الحديث، موقع شبكة رنيم، ص 3.

[2] قصة مدينة، يحيى فرحان، المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم و دائرة الثقافة بمنظمة التحرير الفلسطينية، ص 15.

و الأمر الأكيد أن بيت المقدس مقدسة عند اليهود لأنها المكان الذي عاش فيه النبي سليمان عليه السلام، و مقدسة عند المسيحيين لأنها مهد المسيحية ، وبها أماكن كثيرة مقدسة مر بها النبي عيسى عليه السلام، كما أنها مقدسة عند المسلمين لأنها أولى القبلتين و ثالث الحرمين الشريفين و مسرى النبي محمد صلى الله عليه و سلم [1].

تعريف الرحلة:

لغة: تعني حركة انتقال شخص أو أشخاص من مكان إلى آخر، و هذا هو المعنى اللغوي للكلمة، و إذا استعنا بأبرز المعاجم و القواميس فسنجد أن مادة "رحل" تتوزع كما يلي:

ففي "لسان العرب" نجد "رحل الرجل" إذا سار، و رجل رحول، و قوم رحل، أي يرتحلون كثيرا ، رحل رحال: عالم بذلك و مجيد له، و الترحل و الارتحال ، الانتقال و الرحلة : اسم للارتحال" [2].

أما في معجم "مقاييس اللغة" ففي مادة (رحل) أصل واحد يدل على مُضي في سفر، يقال: رحل يرحل رحلة، و رحل رحيل ذو رحلة، إذا كان قويا على الرحلة. و الرحلة: الارتحال ، و رحلة/ إذا اضغنه من مكانه"[3].

كما يشير ابن فارس إلى أن كلمة رحل تنطبق أيضا على البعير "رحل البعير رحلا، فهو مرحول و رحيل" [4].

---

[1] ينظر بيت المقدس في عيون الرحالة المسلمين و الأجانب في القرنين الخامس و السادس الهجريين، رشاد مدني، ص 1064.

[2] لسان العرب، ابن منظور الأنصاري الإفريقي المصري، تحقيق عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 2005، ج5، ص (370 – 371).

[3] معجم مقاييس اللغة، أبو الحسن احمد بن فارس بن زكريا، تحقيق شهاب الدين بوعمرو، دار الفكر، بيروت، 2005، ص 446.

[4] معجم مقاييس اللغة، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، ص 371.

و نجدها في القاموس المحيط "ارتحل البعير: سار و مضى، و القوم عن المكان: انتقلوا، كترحلوا. و الاسم: الرحلة و الرحلة – بالضم و الكسر– : الوجه الذي تقصد ، و السفرة الواحدة" [1].

و نلمس من خلال عرض مادة (رحل)، أن لفظ الرحلة تطور دلاليا عند استخدام العرب له، إذ خص في بداية الأمر البعير، المسماة بالرواحل، التي كانت تيسر للإنسان السفر و التنقل، فقيل رجل رحال و رحول، أي مكثر للارتحال، كما أطلقت اللفظة على الأقوام الذين تعودوا على الرحلة فسموا قوما رحل [2].

و رغم تعدد مشتقات مادة (رحل)، إلا أنها تشترك في معنى عام واحد، هو الحركة، التي ارتبطت بالإنسان قبل وجوده على وجه الأرض و بعده، و هي دليل حياته، مثلما يكون السكون دليل موته، و هو ما يفسر أن الرحلة دائمة و مستمرة باستمرار الحياة [3].

الرحلة في الاصطلاح: مفهوم الرحلة اصطلاحا لا يبتعد عن مفهومها لغة، إذ يشتركان في الصفة اللازمة بفعل الارتحال، و هي الحركة، غير أننا نلمس من خلال عرض قول المسعودي مثلا: للإشارة إلى الفوائد التي يجنيها الإنسان من وراء الرحلة، يقول المسعودي:" ليس من لزم جهة وطنه و قنع بما نمي إليه من الأخبار عن إقليمه كمن قسم عمره على قطع الأقطار، و وزع أيامه بين تقاذف الأسفار، و استخراج كل دقيق من معدنه، و إثارة كل نفيس من مكمنه [4].

---

[1] القاموس المحيط ، الفيروز أبادي، ضبط و توثيق: يوسف الشيخ محمد البفاعي، دار الفكر، بيروت، 2008 م، ص 904.

[2] ينظر الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري دراسة في النشأة و التطور و البنية، سميرة انساعد، ص 14.

[3] ينظر المرجع نفسه، ص 15.

[4] مروج الذهب و معادن الجوهر، أبو الحسن المسعودي، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرية، مج 1، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1982 م / 1402 هـ ، ص 20.

ماهية القدس:

تعريف القدس لغة: لغة "مادة القاف و الدال و السين ، يدل على الطهر ، و الأرض المقدسة هي المطهرة"[1]. أما في معجم القاموس المحيط فنجدها: "القدس: الطهر، و البيت المقدس ، و التقديس ، التطهير و منه الأرض المقدسة، و بيت المقدس. [2] و في الصحاح في اللغة و العلوم تعني: "القدس: الطهر و منه قيل للجنة حظيرة القدس".[3].

و في تهذيب اللغة " بيت المقدس أي البيت المطهر الذي يتطهر به من الذنوب، و يقال: أرض مقدسة أي أرض مباركة "[4].

و من خلال ذكر هذه التعريفات نلاحظ أنها كلُّها تُجمع على أن معنى اسم هذه المدينة هو الطهر و القداسة.

---

[1] معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، مج 5، بيروت، الطبعة الأولى، 1411 هـ / 1991 م ، ص 63

[2] القاموس المحيط، الفيروز أبادي، دار إحياء التراث العربي، مجٍ 1، إعداد و تقديم محمد عبد الرحمن المرعشلي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، (1417 هـ / 1997 م)، ص 773.

[3] الصحاح في اللغة و العلوم، عبد الله العلايلي، إعداد و تصنيف نديم مرعشلي و أسامة مرعشلي، دار الحضارة العربية، بيروت، مج2 ، ص 284.

[4] تهذيب اللغة، الأزهري، حققه عبد السلام هارون و راجعه محمج علي النجار، ج8، ص 395.

فالقدس إذًا جاء اسمها من الله (من السماء)، أما " أورشليم" فقد جاء اسمها من الإنسان (الأرض)، كما أن اسم (أورشليم) لم يرد في القرآن الكريم، الكتاب السماوي الأزلي المقدس، بل جاء فيه اسم (الملك القدوس السلام) و اسم (الأرض المقدسة)، و ايم (المسجد الأقصى) و هو أقدم اسم نعت به (بيت المقدس)، (فالقدوس) اسم من أسماء الله الحسنى، و القدس هي بيت الله، و من هنا نعتت القدس، و في محاولة اليهود اليوم تقديم اسم (أورشليم) يقومون بتحريف أعظم حقيقة في تاريخ استعمال اسم هذه المدينة المقدسة [1].

أما لفظ "رحلة" في المصادر الأجنبية (كاللغة الفرنسية) مثلا، و التي يقابلها كلمة " voyage"، فنجدها بما معناه:

"الذهاب إلى مكان أبعد من المكان الذي نسكن فيه"[2].

"هي السفر عبر الماء، كما نجدها بمعنى عبور (traversée) رحلة بحرية، الذهاب في رحلة (يجتاز – يشق الطريق (parcourir)، يجوب" [3].

---

[1] ينظر تاريخ القدسعبر العصور، إسحاق رباح، ص 58.

[2]Dictionnaire culturel en langue française, le robert, paris couverture, la galerie inconographie couverture, tome 4, p 1358.

[3]Dictionnaire français – Englais, le Rpbert et Collins, Neuvienne édition, MCP, Saram– France, p 1179.

و قد أخذت الرحلة في التاريخ عدة أوجه مثل: الاكتشاف، الرحلة، هجرة جماعية، كما يدل هذا اللفظ على الانتقال من وسط جغرافي و ثقافي معين إلى مكان جغرافي و ثقافي آخر مغاير، (أي قطع مسافة). و هي الانتقال الطويل، الخطر، و هجرة الإنسان إما وحيدا أو مع مجموعة من الوسط الذي يعيشون فيه إلى وسط آخر جديد مغاير، دون أن يعلم أو يعلموا إن كانوا سيعودون إليه أم لا [1].

[1]Dictionnaire culturel en langue française, le robert, p 2016.

الفصل الأول

البعد التاريخي للقدس

المبحث الأول

القدس منذ ظهورها حتى الغزو الفارسي

البعد التاريخي لمدينة القدس:

تعد مدينة القدس من أقدم المدن على ظهر الأرض، و قد احتلت مكانة مرموقة عند أغلب شعوب العالم، و هذا ما جعلها محط أنظار البشرية منذ العصور الأولى، و قد اعتبرها البعض أقدم من بابل و نينوي، و لا يسبقها في القدم إلا "أون" أو "هيليوس" شمال القاهرةوالتي أسماها العرب "عين الشمس" [1].

و يتضح من دراسة عصور ما قبل التاريخ (الحجرية) أن أول ظهور بشري في هذه المنطقة كان على سفوح جبال القدس الشرقية في (عراق الأحمر)، و قد أسست عليه الحضارة الأحمرية، ثم الحضارة الطاحونية[2]. و من خلال الدراسة الأثرية لطبقاتها الأرضية أظهرت الطبقة العشرون وجود مدينة تقع عند التقاء نقطة (1) وادي الجوز مع وادي القدرون، يعود تاريخها إلى (3200 ق . م)، و هذا يعني أن القدس بنيت مع بداية العصر البرونزي المبكر، أي ما قبل مجيء الكنعانيين و اليبوسيين، حيث كانت هويتها أمورية[3].

كما أشارت بعثة (بنيافازار) إلى أن جبل أوفل عند حافة وادي قدرون، كان مأهولا خلال الألف الثالث، و اكتشفت بعثة (باركر–جـ–فنست) وجود أواني فخارية متنوعة في تلك المنطقة. بالإضافة إلى اكتشاف قبر في جبل أوفل يحتوي على فخار، يعود إلى القرون الأخيرة من الألف الرابع قبل الميلاد [4].

---

[1] قصة مدينة (القدس)، يحيى فرحان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم و دائرة الثقافة بمنظمة التحرير الفلسطينية، ص 18.

[2] تاريخ القدس عبر العصور، اسحاق رباح، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، الطبعة الأولى، 2010 م، ص 17.

[3] المرجع نفسه، ص 21.

[4] تاريخ القدس عبر العصور، إسحاق رباح، ص21.

و يظهر مما تقدم، أن ظهور مدينة القدس الأول كان مع بداية العصر البرونزي المبكر، بشكل صغير جدا على أعلى مرتفع أوفل و قرب نبع جيجون، مع استيطان بشري محدد.

و اعتمادا على الدراسات المرجعية للحفريات التي جرت في مدينة القدس، فإن ثمة اكتشافات و قبورا تعود إلى العصر البرونزي المبكر (3200 - 2000 ق . م)، و إن سور المدينة كان هو ذاته سورها في العصر البرونزي المتأخر (1550 - 1000 ق . م)، وذلك أن الهكسوس الغزاة دمروا المدينة في ما يقارب سنة (1700 ق . م) و أن اليبوسيين قد أعادوا بناء الموقع في أوائل القرن الرابع عشر (ق . م)، و قد أكدت المكتشفات الأثرية أن اليبوسيين هم بطن من بطون العرب، نزحوا من نزح من القبائل الكنعانية [1].

و استوطنوا أرض القدس في فلسطين، و كانت تدعي في عهدهم (يبوس)، و اختاروا مرتفع (تل أوفل) الذي تحيط به أودية عميقة من ثلاث جهاته، و من الجانب الشرقي عين الماء جيحون (أم الدرج)، و يقع على طريق تجاري رئيس ليقيموا عليه هذه المدينة التي أحاطوها بسور يخترقه نفق لجر المياه إلى داخلها[2].

" و قد كشفت التنقيبات الأثرية التي قامت بها الباحثة الانجليزية (كاثلين م . كينيون سنة 1961 م في طبقات العصر البرونزي القديم من أكمة أوفل بالقدس عن بقايا السور الأول الذي بناه اليبوسيين على جبل صهيون و أبرزت قسما من أسس الأبنية و تمديدات جر المياه إلى الحصن من عين جيحون، و كذلك كشفت الحفريات عن بعض القبور و أواني الخزف من العهد البرونزي القديم حتى العهد الحديث [3].

---

[1] تاريخ القدس و حاضرها (منهج للتعليم العام و العالي)، عزت جرادات، دار النفائس، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: (1426 هـ / 2005 م)، ص 12.

[2] تاريخ القدس عبر العصور، عزت جرادات، ص 21.

[3] قصة مدينة (القدس)، يحيى فرحان، المنظمة العربية للتربية و الثقافية و العلوم، دار الثقافية بمنظمة التحرير الفلسطينية، ص 19.

و إذا أخذنا بوجهة نظر الشعوب السامية، فإن الكنعانيين كانوا من أقدم هذه الأقوام التي سكنت فلسطين، و كان ذلك في حدود منتصف الألف الثالث قبل الميلاد، و الكنعانيون يتألفون من عدة قبائل أشهرها "اليبوسيون" الذين حلوا في المنطقة الجبلية التي تعرف الآن بمنطقة القدس، و أقاموا في الكهوف، و المغاور، و البوادي. ثم بنو مدينة كبيرة لهم سموها (يبوس) و هي القدس، و كان أول من اختطها و بناها، أحد ملوكهم (مليك صادق) و الذي عرف بالتقوى، و حب السلام، حتى أطلق عليه (ملك السلام)، و من هنا جاء اسم المدينة (سالم) أو (شالم). و نصّتْ رواية أخرى أن (مليك صادق) نزل بأرض بيت المقدس، و قطن بكهف من جبالها يتعبد فيه، و اشتهر أمره، حتى بلغ ملوك الأرض الذين هم بالقرب من أرض بيت المقدس، و الشام و سدوم و غيرها، و عدتهم اثنا عشر ملكا، فحضروا إليه،و لما رأوه و سمعوا كلامه أحبوه، و دفعوا له مالا ليعمر به مدينة القدس، فاختطها و عمرها و سميت (بروشليم)، معناه بالعبرانية (بيت السلام) و لما انتهت عمارتها، اتفقت الملوك كلهم أن يكون (مليك صادق) ملكا عليها و كنُّوه بأبي الملوك [1].

و من ملوكهم أيضا (سالم اليبوسي)، فلقد زاد هذا الأخير في بنيانها. و شيد على جبل صهيون برجا للدفاع عن المدينة، و كانت على عهده محصنة تحصينا تامًّا، حتى أنها قاومت بني إسرائيل مقاومة عنيفة، زمنا طويلا [2].

---

[1] تاريخ القدس عبر العصور، إسحاق رباح، ص (42 – 43).

[2] المفصل في تاريخ القدس، عارف العارف، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، الطبعة الثالثة، 2005، ص 39.

و من السكان الأصليين، و العريقين في القدم ممَّن استوطنوا بلاد فلسطين، هم البربر، و قد ساهم هؤلاء إلى جانب إخوانهم من اليبوسيين الكنعانيين في تشييد مدينة القدس، و تطويرها، و ذلك قبل أن يأتي الدخلاء اليهود من بني إسرائيل إلى هذه المدينة المقد سة بزمن كبير،و يشير المسعودي: " إلى أن أرض البربر خاصة كانت أرض فلسطين من بلاد الشام، و أن ملكهم كان (جالوت)"[1].

و يشير المسعودي في مكان آخر، إلى أنه بعد مقتل "جالوت" على يد داود هاجر هؤلاء البرابرة إلى بلاد المغرب، و استوطنوا هناك، و أن داود أخذ مدينة اليبوسيين، حسب ما جاء في سفر صموئيل الثاني (5 : 11)، "و انتقى داود حصن أورشليم اليبوسي ليكون عاصمة له، و كان قد أخذه من أيدي سكانه" [2].

ولما خرج بني إسرائيل من مصر، و أطلُّوا على أرض كنعان، و رأوا فيها ما رأوا من خيرات، و كانوا قد سمعوا عنها، راحوا يغيرون عليها بقصد امتلاكها، قائلين: إنها هي الأرض التي وعدهم الله بها، عندئذ أيقن الكنعانيون أن مصلحتهم تقضي عليهم نسيان الماضي – عندما كانوا في حرب مع المصريين – فطلبوا العون من مصر، لاعتقادهم أن المصريين أولى من بني إسرائيل، و لم يتوان المصريون في مدّ يد العون إلى الكنعانيين، فراحوا يدفعون الأذى عنهم، و نجحوا في صدّ الغارات التي كان يشنها العبرانيون [3].

---

[1] تاريخ القدس عبر العصور، إسحاق رباح، ص 44.

[2] المرجع نفسه ، ص 44.

[3] المفصل في تاريخ القدس، عارف العارف، ص 41 .

كما ذكرت ألواح تل العمارنة التي وجدت في هيكل الكرك بصعيد مصر أن: (عبد حيبا) أحد رجال السلطة المحلية في (أورو–سالم)، أرسل (1550 ق . م) إلى فرعون مصر (تاحو تمس الأول) رسالة تتضمن خضوعه، و كان طلب إليه أن يحميهُ من شَرقوم دعاهم في رسالته بـ (الخ بيوي) أو (الخبيوي). فكان هؤلاء من وقت إلى آخر يُهاجمون (أورو–سالم) و لم يكن فيها يومئذ سوى حامية صغيرة[1]. و مع أن المصريين تمكنوا بادئ الأمر من صد هجمات العبريين و إرجاعهم، إلاّ أن الغزاة عادوا –عندما انشغل المصريون بمشاغل أخرى – فتقوُّوا على الكنعانيين.[2]

ظل الوضع قائما بين الكنعانيين و العبريين حتى عام (1000 ق . م) حيث تمكن العبريون من استلاب الحكم ،و السيادة من الكنعانيين، و ما كانوا وُفّقوا لولا تفرق كلمة الكنعانيين و انشغال مصر في شؤون أخرى فقتلوا ملوكهم و دمروا مدنهم [3].

الأسماء التي أعطيت للقدس في العهد الكنعاني:

كان للقدس الشريف عدة تسميات، و هي في كليتها لم تأت من فراغ، و إنما كلّها اشتقَّت و أخذت من أصول دينية و تاريخية، و تكرر ذلك على مر حقب تاريخ المدينة المق دسة، و لما شيَّد العرب الكنعانيون هذه الأخيرة قبل حوالي خمسين قرنا من الزمان، أطلقوا على المدينة اسم (أوروسالم) أي مدينة الإله سالم، و هو إله الكنعانيين العرب [4].ما دَعَوهَا بـ (شالم / شاليم) و انتقل هذا الاسم إلى الأمم القديمة عن طريق العرَّافين الذين ذكروه بـ (أرورسالم) بمعنى مدينة السلام، ثم حرّف فيما بعد إلى (يروشالايم)و (هيروسوليما) و (جيروزالم) و غيرها.

و وردت المدينة باسم (روشاليموم) في الكتابات المصرية المعروفة بنصوص اللغة التي يرجع تاريخها إلى القرنين السادس عشر و الثامن عشر قبل الميلاد [5].

---

[1] تاريخ القدس عبر العصور ، إسحاق رباح ، ص42

[22]المفصل في تاريخ القدس ، عارف العارف ،ص 41.

[3] المرجع نفسه ، ص 43.

[4] تاريخ القدس عبر العصور، إسحاق رباح، ص 45.

[5] قصة مدينة (القدس)، يحيى فرحان، ص 15.

و على هذا يمكن القول إنَّ اليبوسيين هم أول من قدَّس مدينة القدس ،و هم أول من صاغوا اسمها و شكَّلوه و طبعوه بالطابع الديني المتداول لديهم وقتذاك لأنهم ظلُّوا يعتزون بقدسيتها و مكانتها [1].

و هناك أخبار عديدة نصَّت أن أرض مدينة القدس كانت صحراء قبل أن تُبنى ، و تحصَّن و هي واقعة بين أودية و جبال ليس فيها بناء أو عمارة، فكان أوَّل من اختطها و بناها ملك اليبوسيين المدعو" ملكي صادق"، و معناه بالعبرانية ملك الصدق، و قد قيل أنه اسم لسام ابن نوح، و قيل أن أول اسم أطلق على القدس كان (يبوس) نسبة إلى اليبوسيين، و قيل بل إن أول اسم أطلق عليها اسم إيلياء باسم الذي بناها على ما تقول هذه الأخبار و ليس ملكي صادق، و أنَّ إيلياء هذه كما يقول ياقوت الحم وي (هو ابن أرم بن سالم بن نوح و هو أخو دمشق و حمص و أردن و فلسطين)[2].

---

[1] تاريخ القدس عبر العصور، إسحاق رباح، ص 45.

[2] المرجع نفسه ، ص 51.

القدس في العهد الفرعوني :

وورد في إحدى الرسائل التي بعثها حاكم يبوس (1413 ق.م) إلى فرعون مصر (أمين حوتب الثالث) ليخبره أن أمَّة معادية قوية قد استولت على أكثر المدن الكنعانية و أخذت تهددهم بالفناء و أعاد هدا الحاكم الكرة على عهد (أمين حوتب الرابع) فشكا إليه أمره . وع ثؤ المنقّبون بين ألواح تل العمارنة على ثماني رسائل بهذا المعنى أرسلت كلها من يبوس.[1]

وجاء أيضا في رسائل تل العمارنة أن حاكم مصر استجاب لهده الاستغاثة غير أن القائد المصري الذي عهد إليه بإدارة هده البلاد يومئذ لم يتمكن من مقاومة الثورات التي انفجرت فيها ، فطلب المدد من فرعون ولكنَ هدا الأخير لم يلبِّ طلبه ، فقتل هو و خادمه .[2]

خضعت القدس لحكم الفراعنة – و منهم (اخناتون) سنة (1370 ق.م) و (توت عنخ آمون) سنة(1351 ق.م) الدين جاءوا لنجدة اليبوسيين , و اتخذوا(أي الفراعنة) من (يبوس) نقطة أمامية لهم كونها تقع على مقربة من الطريق التجاري الرئيسي في بلاد الشام كما أخضعوا بقية المدن الكنعانية و فرضوا عليها دفع الجزية التي استمرت إلى أن بدأ اليبوسيون بالتمرد على الفراعنة .[3] و اتَّسعت الاضطرابات التي استغلها العبرانيون فيما بعد .[4] وقد جرت على القدس في العهود الفرعونية عدة تطورات منها [*].

–مابين سنتين (3703 و 3500 ق م) فتح (مريرع) من الأسرة السادسة الأسوانية , بلاد الشام و استولى على القدس [5].

[1] المفصل في التاريخ القدس، عارف العارف ، ص 43 .

[2] المرجع نفسه، ص 44.

[3]تاريخ القدس وحاضرها ، عزت جرادات ،ص34.

[4] تاريخ القدس و حاضرها، عزت جرادات ، ص 34.

[*] هم العمالقة كما يسميهم العرب و الهيكسوس كما يسميهم اليونان .

[5] تاريخ القدس و حاضرها، عزت جرادات، ص 34.

– في أيام دولة الرعاة الثانية حدثت مجاعة في عهد الملك (أيابي أعاكنن) في مصر و فلسطين و القدس ولما أخصبت مصر و تولى يوسف خزائنها جاء الناس من فلسطين و القدس ليتموَنوا منها.[1]

خضعت القدس لحكم (سيتي الأول) ابن رعمسيس الأول من الأسرة التاسعة عشر الطيبية من (1462 إلى 1388 ق م) ومن هده الأسرة (رعمسيس الثاني) الذي حارب الكنعانيين و الحيثيين لما نقضوا عهده و استولى على قلعة القدس و ظلت تحت حكمه لمدة سبعة و ستين عاما و جاء بعده ولده (منفتاح الأول) الذي ترك حكم القدس للحيثيين بموجب المعاهدة التي كانت بين أبيه و الحيثيين .

في عهد الأسرة الطيبية من سنة (1288 إلى 1110 ق م) خرجت ولايات الشام و منها القدس على طاعة الملك رعمسيس الثالث فحارب حكامها و استولى على ولايات الشام بما فيها القدس و جعلها تحت حكمهم لأن الحيثيين نقضوا المعاهدة التي كانت مبرمة مع "رعمسيس الثاني" و ابنه (مرن بتاح) [2].

---

[1] تاريخ القدس وحاضرها ، عزت جرادات ، ص34.

[2] المرجع نفسه ، ص 35–36.

القدس في العهد العبراني (1370 ق م):

أشارت الروايات التاريخية إلى أنَ الكنعانيين أعدُّو ا العدة لمقاومة بني إسرائيل عندما وصلت إليهم أنباء خروجهم من مصر . فاستنفر ملك" أورشليم " أضوني صادق"و قومه . وعقد حلفا مع الملوك المجاورين له و كان عددهم واحدا و ثلاثين، و حسب قول "يوسفوس" أن الجيش الذي ألفه الحلفاء (سكان البلاد الأصليين) لمقاومة بن ي إسرائيل كان مؤلفا من ثلاثمائة ألف مقاتل من المشاة و عشرة آلاف من الفرسان ، و كان معهم عشرون ألف مركبة للنقل ، و لذلك لم يتمكن"يشروع" من إخضاع الكنعانيين و الفلسطينيين و مات دون أن يتمكن من احتلال" أورو سالم" لأنها كانت محصنة تحصينا تامًّا ، و كانت تحيط بها أسوار منيعة . وظلت يبوس ممتنعة على بني إسرائيل زمنا طويلا لا يقدرون على ولوجها حتى ولا المرور منها دع عنك احتلالها و إدارة شؤونها ، إلاَّ في عهد داود.[1] الذي قام بحملته ضدَّ اليبوسيين ممّا دفعهم إلى الخروج من المدينة بعد أن ذاقوا صنوفا من القهر والإذلال[2].

ويذهب المؤرخون إلى أن سيطرة العبرانيين خلال تلك المدة لم تكن سيطرة تامة سالمة من الثورة و التمرد باستثناء عهد داود و عهد سليمان بصورة خاصة . وكان أول من دخل القدس كملك إذ سار بجيشه إليها و استولى عليها و غير اسمها الكنعاني(أورسالم) و سماها (مدينة داود)[3].

نودي بداود ملكا على الأسباط الشمالية و كذلك الجنوبية للاتحاد القبلي القديم حوالي (1000 ق.م) لكن العداوة بين الإ قليمين من جهة ثم تمتع القدس بموقع جغرافي حصين من جهة أخرى حثت داوود التوجه إلى بيت المقدس لأنها تتمتع بموقع على خط الحدود بين سبطي (يهودا و بنيمين)، كما كان ارتفاعها الجبلي يحميها من جميع الجهات خاصة من غارات الفلسطينيين من السهل .[4]

---

[1] قصة مدينة القدس، يحي فرحان، ص 19.

[2] تاريخ بلاد الشام في العصور الإسلامية، إبراهيم بيضون، في إشكالية الموقع و الدور و شركة المطبوعات للتوزيع و النشر الطبعة الأولى 2002 ص 245.

[3] تاريخ القدس عبر العصور، إسحاق رباح، ص 63-64.

[4] المرجع نفسه ، ص 63 ,

الساحلي و من الكيانات المعادية القادمة من هضبة الأردن و من الجهات القبلية من جهة سيناء و النقب[1]. و اتخذ منها عاصمة لملكه [2]. قال" بولتن ":إن جنود داود و قائدهم (يوآب) عبروا النفق الذي كان اليبوسيون قد حفروه قبل دلك بسنين ليتمكنوا من ورود الماء الذي ينبع في "عين روجل". عبره "يوآب"و جنده و بهدا تمكنوا من الوصول إلى قلب المدينة فسقطت هده بأيديهم[3].

تولى الحكم بعد داود عليه السلام ابنه سليمان الذي كان رجلا حكيما إذ رأى بعين ثاقبة أن يكون على وفاق مع فرعون مصر ليؤمن شره . فصاهره و تزوج من ابنته [4].

لقد كان عصر سليمان عليه السلام أزهى العصور بالنسبة لبني إسرائيل فقد نعموا بسلام و رخاء لم يسبق له نظيرا ولا أتى بعده مثيل و تذكر أسفار بني إسرائيل أن سليمان عليه السلام امن لعدد كبير من الأمراء و الحكام المتجاورين و منهم ملك مصر (شيشنق)[5].

يرى المؤرخون أن الدولة العبرانية بلغت ذروتها من القوة و الاستقرار على عهد سليمان لكن سرعان ما هبَّت عليها روح التمزُّق بعد موته مستهدفة القدس عدَّة حملات من المصريين و الآدومي ون والآراميين فضلا عن الإسرائيليين من مملكتهم في الشمال[6] .

وقد انقسمت دولة سليمان بعد وفاته إلى مملكتين صغيرتين هما مملكة إسرائيل التي اتخذت من السامرة (نابلس) .[7]

---

[1] تاريخ القدس عبر العصور ، إسحاق رباح ، ص 63.

[2] تاريخ القدس و حاضرها، عزت جرادات، ص 13.

[3] المفصل في تاريخ القدس، عارف العارف، ص 52.

[4]المرجع نفسه ص 55.

[5]تاريخ القدس عبر العصور، إسحاق رباح، ص 68.

[6] تاريخ القدس و حاضرها، عزت جرادات، ص 13.

[7]تاريخ بلاد الشام في العصور الإسلامية في إشكالية الموقع و الدور، إبراهيم بيضون، ص 245.

عاصمة لها و مملكة يهودا و عاصمتها أورشليم (القدس) ، و تشير الروايات التاريخية أن هاتين المملكتين لم تكن تزيد على بضع مئات من الأميال المربعة حول القدس أو نابلس و نتيجة لانقسام المملكة اليهودية تعرضت القدس بشكل خاص إلى غزوات متلاحقة[1].

وبعد سليمان دبَّت عوامل الفساد و الخراب في ممتلكته و نشبت حرب عوان بين" رحبعام "ملك يهودا و"يربعام" ملك إسرائيل وراح كل منهما يفرض الضرائب و الأشغال الجبرية على شعبه ليتغلب على خصمه كما قام "يربعام" بمنع قومه من زيارة " أورشليم "عندئذ استغل (شيشق) ملك مصر هذه الفرصة وزحف على" أورشليم "فاحتلها عام (970ق م) و نهب خزائنها وقفل راجعا إلى مصر[2].

كما تشير المصادر التاريخية إلى أنَّه حكم في كل دولة أي يهودا و إسرائيل 19 ملكا رغم أن مملكة إسرائيل انتهت من الوجود سنة (722) بينما استمرت مملكة يهودا حتى الغزو البابلي عام (587 ق م) حيث استمر عرش مملكة إسرائيل زهاء مئتي سنة وبالمقابل استمرت يهودا لمدة (350عاما) تقريبا[3].

[1] تاريخ القدس و حاضرها، عزت جردات، ص 13.

[2] المفصل في تاريخ القدس، عارف العارف، ص 56.

[3] تاريخ القدس عبر العصور، إسحاق رباح ، ص 80.

القدس في العهد الأشوري:

لم ينفك الآشوريين من الإغارة على فلسطين مند وطَّدوا استقلالهم وأخذوا يفكّرون في توسيع حدود مملكتهم وازدادت غاراتهم شدَّة بعد موت سليمان وتنازع "رحبعام"و"يربعام" من أجل الملك و انقسام الأسباط إلى مملكتين إسرائيل في الشمال و يهودا في الجنوب عندئذ ضعفت شوكت اليهود فهاجمهم المصريون من الجنوب والآشوريون من الشمال وغدت البلاد يومئذ نهبا مقسَّما بين هؤلاء و أولئك[1].

ويقول بعض المؤرخين إن (شلمنصر) ملك الآشوريين غزا القدس (730 ق م) وسبى سكنها وأنه عاد فحاربهم سنة (723 ق م) وظل يحاربهم حتى سنة (721 ق م) ولكنه لم يستطع تثبيت أقدام قومه في القدس[2].

وبعد زوال مملكة إسرائيل سنة (721 ق م) و صارت مملكة يهودا في أوائل حكم ح زقيا (721-793) تدفع الجزية لآشور حيث اتبع (حزقيا) سياسة تحد ضد مملكة الآشوريين، ونتيجة لدلك قام (سرجون) و خلفه (سنحاريب) (705-681 ق م) بسلسلة من الحملات و العمليات الحربية ضد المدن الفلسطينية و يهودا وبلغت ذروتها في عام (701 ق م) في حصار أورشليم .

أمًا في عهد" منسى"(687-642 ق م) فيرى المؤرخون انه اتسم بأنه أسوأ ملك حكم القدس على الإطلاق وربما كان دلك بسبب الصراع على السلطة و الانقسامات الداخلية.

ولم يشهد عهده إلاً محاولة واحدة للثورة على الآشوريين و ذلك حين أقفل أبواب أورشليم في وجههم بدفع من المصريين، وقام الملك الآشوري (أسرحدون) بحصار القدس واضطر إلى إرسال حملتين على مصر لتحريض أورشليم ضد الآشوريين وأخذ (منسى) أسيرا إلى بابل[3].

---

[1] المفصل في تاريخ القدس، عارف العارف، ص 69.

[2] المرجع نفسه ، ص 70.

[3] تاريخ القدس عبر العصور، إسحاق رباح، (ص 78-79).

لقد خلف (منسي) (أمون) لكنه اغتيل بعد سنة من حكمه على يد بعض موظفيه و بعد هدا تبددت آمال الحكام اللاحقين للقدس في الاستقلال أو التوسع وأدركوا أنَ أسلم سبيل هو الخضوع لآشور.بعدما جلبت لهم سياسة حكامهم السابقين من مآسي وسبي بسبب تقلباتهم السياسية و تعدد ولاءاتهم المزدوجة لأكبر قوتين في تلك الفترة (آشور مصر)[1].

ويعتبر المؤرخون أن الآشوريين هم أهم الغزاة الدين تعرضوا للقدس،و الدين قضوا على مملكة بني إسرائيل،و بذلك أصبحت مملكة يهودا الأكثر تعرضا للهجمات إلى أن تمكن الآشوريون من احتلال القدس، و فرضوا عليها نظامهم الإداري الذي كان يُعني بشكل رئيس بتنصيب حاكم موال لهم ، يقدم إليهم التقارير الإدارية و يجمع الضرائب و يرسلها إلى العاصمة ولا يحتفظ إلاً بالقدر اليسير الذي لا يحتاج إليه في إدارة البلاد.وبعد فترة من الزمن ونتيجة للضعف و الانحلال الذي أخد مكانه لدى الآشوريين تخلوا عن هذه البلاد[2].

[1] تاريخ القدس عبر العصور ، إسحاق رباح ، ص 79.

[2] تاريخ القدس و حاضرها، عزت جردات، ص 13.

القدس في العصر البابلي:

جاء في أكثر الكتب التجارية أن البابليين استولوا على القدس وأخذوها من الآشوريين و الحقيقة أنهم أخذوها من المصريين إذ كانت يوم احتلالهم إياها منحازة إلى ملوك مصر خاضعة لسلطانهم.تدفع الجزية لهم وتأتمر بأوامرهم وكان ظلُّ الآشوريين قد زال عن هده الربوع قبل دلك بأعوام فأخذ البابليون و المصريون يتنازعون السلطة و السيادة،وكان على سكان أورشليم أن يختاروا أحد الفريقين (المصريين أو البابليين).

كان ملك أورشليم في ذلك الحين (يهوياقيم) (599 ق.م) وقد خضع هذا " لنبوخد نصر" و سلمه المدينة و عاش عبدا له ثلاثة سنين ثم عاد فتمرد عليه فأقاله "نبوخد نصر".[1]

وفي سنة (596 ق م) قام "نبوخد نصر" بحملتين واسعتين على مملكة يهودا ، فتح فيها مدينة أورشليم و سبى يهودا وقد سميت الحملة الأولى بالسبي البابلي الأول ، و سببه تمرّد ملك يهودا،بتحريض من مصر، لذلك قام"نبوخد نصر" سنة (604-562 ق.م) بحملة تأديبية لم تقو المملكة على مقاومتها فسقطت العاصمة (أورشليم) عام (596ق.م) وأجبرت على دفع الجزية و نقل قسم من سكانها أسرى و عددهم سبعة آلاف مسلح وألف عامل مكبّلين بالحديد ومعهم الملك (يهوياقين) نفسه إلى بابل وكان هدا هو السبي البابلي الأول أو النفي الأول لأهل يهودا [2].

لقد أورد مجير الدين الحنبلي في كتابة (الأنس الجليل) أن السَّبي البابلي الأول كان في عهد الملك الأول (يهوياقيم) وأنَّ "نبوخد نصر" سار بالجيوش وغزا بني إسرائيل ، وفعل بهم القبح ولكن "يهوياقيم" لم يحاربه و دخل تحت طاعته فأبقاه (بخت نصر) على ملكه[3].

---

[1] المفصّل في تاريخ القدس ، عارف العارف ، ص 72.

[2] المرجع نفسه ، ص 72.

[3] تاريخ القدس عبر العصور، إسحاق رباح، ص 82

تمرد (يهويا قيم) على (نبوخد نصر) فاستبدله هدا الأخير بابنه (يهويا كين) (597 ق م) ثم عاد فأقال هدا أيضا بعد ثلاثة شهور وأخذه إلى بابل بعد أن استبدلته هو الآخر ب . (صديقيا) (597 ق.م) وأخذ معه عددا كبيرا من عظماء بني إسرائيل[1].

أمَّا ما لاحظه المؤرخون فيما يخصُّ السَّبي البابلي الأول فهو أنه لم يستهدف السكان المدنيين العزَّل، بل شمل نزع سلاح القدس و يهودا من العسكريين وصناعَ الأسلحة (الحدادين) ورجال الإدارة و السياسية،و الإمكانيات الاقتصادية مثل الخزانة الملكية وكنوز الهيكل لغرض العقوبة أولا ولغرض عدم العودة للثورة على الحكم البابلي ثانيا[2].

أراد (صدقيا) في بادئ الأمر أن يتعاون مع البابليين إلاّ أنَ الرؤساء مالوا إلى شق عصا الطاعة و الخروج على البابليين وكان دلك بإيعاز من مصر، فخرجوا عام (593 ق م).

ولماً بلغ "نبوخد نصر" انتفاض بني إسرائيل، أمر قائده (نبوزردان) أن يقيم بموضعه حتى يوافيه وأن يضرب أعناق الرهائن الدين معه ثم سار هو حتى أتى بيت المقدس (588 ق م) فحاصرها عام (587 ق م) وقد انظمَ إليه الآدوميين نكاية ببني إسرائيل[3].

وفي مصدر آخر حاصرها عام (585 ق.م) وسقطت المدينة عام (585ق.م) بعد حصار دام مدة سنة و نصف ، وقد كانت القدس يومئذ محصنة تحصينا متينا ولما حاصرها "بنوخد نصرر" بنىَ الأبراج حولها وذاقت خلالها المدينة الأمرَّين من الجوع والمرض؛إلى أن اختار اليهود الهرب فثلموا جانبا من السور وهربوا وعلى رأسهم ملكهم (صديقا) فأدركهم الكلدانيون في البرية ، وألقوا القبض على الملك و ابنيه وأتوا بهم إلى"نبوخد نصر"مصفدين بالأغلال فقتل ابنه على عينه وفقأت عينيه (أي صديقا) و أرسل إلى بابل[4].

---

[1] المفصل في تاريخ القدس، عارف العارف، ص 72.

[2] المرجع نفسه، ص 72.

[3] تاريخ القدس عبر العصور، إسحاق رباح، ص 82

[4] المفصل في تاريخ القدس، عارف العارف، ص 73

وبعد سقوط أورشليم على يد نبوخد نصَّر هرب الملك الإسرائيلي ورجال تحت جنح الظلام بعد أن ثقب سور القدس ولكنهم أدركوه وقتلوا أبناءه وفقئوا عينيه . أمَّا أورشليم فإنها هدمت مع هيكلها ، و سُبي العظماء من سكان المدينة ومنهم الكاهن الأعظم و الضباط العسكريين وخمسة أعضاء في المجلس الملكي وآخرين من دوي الرتب العالية في البلاد ، و قدر عددهم بخمسين ألفا كما تم ترحيل باقي السكان إلى بابل وظلت كذلك عدة قرون وكان هذا هو التدمير الأكبر للقدس حتى لا تعود ثورتها ضد البابليين ويبدو أنَّ أغلب سكان القدس هاجروا إلى أرض بابل [1].

وهذا ما يسمى السبي البابلي الثاني ويشير إليه "اليعقوبي" قائلا : " في عهد- أبو دانيال وفي عصره سار (بخت نصر) مالك بابل إلى بيت المقدس فقتل بني إسرائيل وسباهم وحملهم إلى أرض بابل وأخذ (بخت نصر) التوراة وما كان في الهيكل من كتب الأنبياء و صيّرها في بئر ، و طرح عليها النار و كبسها[2].

يبدوا أنَّ القدس تعرضت في هذا العهد إلى محنة كبرى بسبب هذا السبي حتى قيل في بعض المصادر التاريخية أنَّ"نبوخد نصر" قتل بني إسرائيل حتى أفناهم و خرب بيت المقدس.

وفي رواية أخرى منقولة عن الملك "المؤيد "صاحب حماة أن "نبوخد نصر" حاصر القدس سنتين ونصف وأحرق القدس وخرَّبه وطرح فيه الجيف وهدم البيت الذي بناه سليمان و أحرقه واحتمل منه ثمانين عجلة ذهبا و فضة وأباد بني إسرائيل قتلا و تشريدا[3].

---

[1] تاريخ القدس عبر العصور ، إسحاق رباح ، ص 83 .

[2] المرجع نفسه ، ، ص83.

[3] المرجع نفسه، ص 84.

من النتائج البعيدة الأثر التي ترتَّبت عن السبي البابلي،هروب العديد من بني إسرائيل إلى مصر و الحجاز وبهذا تشتَّت بنو إسرائيل فأقام بعضهم بمصر عند فرعون "الأعرج"وأرسل (بخت نصر) إليه يطلبهم منه وقال "هؤلاء عبيدي هربوا إليك" ولكنَّه لم يسلمهم وكان هـ ذا هو السبب الذي جعل"نبوخد نصر" يغزو مصر و يقتل الفرعون .هذا بالنسبة إلى السكان[1].

كما نال القدس دمارا كبيرا و سبي، لكن لم يسبى كل سكان القدس ،فقد بقي منهم قليل نصَّب عليهم البابليون رجلا منهم اسمه (جدليا) استقر في "المصفاة "بعيدا عن القدس لأنها بعد السبي لم تصلح للسكن ، وقد أمرهم "جدليا" بالخضوع لملك بابل ، وكان من نتيجة السبي حصول فراغ سكاني في القدس ملأته القبائل الكنعانية و الآرامية و العربية فلما عاد بقايا جيش يهو ذا لم يكن لليهود ذكر في القدس[2].

---

[1] تاريخ القدس عبر العصور ، إسحاق رباح ، ص84.

[2] المرجع نفسه ، ص 86.

القدس في العهد الفارسي:

عندما تغلب" كورش" ملك القدس على البابليين و أخضع بابل و آشور (539 ق م) سار في فتوحاته قُدما حتى احتل سوريا،ثم جاء إلى القدس فاحتلها سنة (538 ق م) . [1].و في المصادر التاريخية عدة روايات فهناك من ذكر أنً القدس ظلّت خرابا نحوا من سبعين سنة حتى أعاد بناءها الملك الفارسي كورش[2]، وهناك من رأى أنَّ القائد الذي تمَت الفتوحات على يده هو (غوبرياس)وهو الذي فتح القدس باسم الفرس . ويقال أن كورش تزوج أخت "زربابيل بن شلائيل بن يهوي اكين بن يهويقيم"ملك يهودا ولمًا دخل بها ارتفع شأنها عنده فقال لها : اطلبي ما تشائين فطلبت منه أن يسمح لبني إسرائيل الذي نفاهم "بنوخذ نصر" إلى بابل بالعودة إلى أورشليم فأذن بذلك (538 ق.م) على أنه خيًرهم بين الرحيل أو البقاء إدا شاءوا . فآثر فريق منهم البقاء وهم الذين أصابوا نجاحا في منفاهم،واختار ما يقرب من خمسين ألفًا من الرجال (غير النساء و الأطفال) الرحيل[3].

ويعتقد البرغوثي و طوطح أن"كورش" كان يطمع بافتتاح مصر و المغرب واعتقد أنً حلمه لا يتحقق إلاً إذا أرجع اليهود إلى بلادهم ليتكئ عليهم[4].

وهناك من أشار إلى أنً" كورش "الفارسي لما فتح بابل سنة (539ق.م – 538 ق.م)وجد هناك أسرى اليهود لسنة (597 ق م) الأسر البابلي الأول وسنة (586 ق م) الأسر البابلي الثاني فأحسن إليهم ولا يستبعد أنً هؤلاء الأسرى اليهود هم الدين ساعدوا كورش في فتح مدينة "بابل "لهدا أصدر أمره للسماح لمن أراد منهم الرجوع إلى فلسطين ،وسمح لهم بإعادة بناء المعبد[5].

---

[1] المفصل في تاريخ القدس، عارف العارف، ص 75.

[2] تاريخ بلاد الشام في العصور الإسلامية في إشكالية الموقع و الدور، إبراهيم بيضون، ص 246.

[3] المفصل في تاريخ القدس، عارف العارف، ص 75.

[4] المرجع نفسه، ص 75.

[5] تاريخ القدس عبر العصور، إسحاق رباح، ص 90.

ولعل ذلك حتى يجعل من اليهود العائدين جماعة بجانب السلطة الفارسية ضدَّ الجماعات الموالية للنفوذ المصري، و إزاء هذه المعاملة رحب اليهود "بكورش"ناعتين إياه بالمخلَص الإلهي أو المسيح المنتظر [1].

لم يحدَّد بالضبط عدد اليهود الذين استفادوا من هذه الفرصة، ويبدوا الرقم الذي يعطيه "عزرا"و"نحميا"(360 و 42) مبالغا فيه،إذا ما قورن بمجموع المسبيين، كما فضَّل أغنياءهم المسبيين البقاء في بابل، بدليل ورود أسماء عبرانية بصورة متكررة في الوثائق التجارية لذلك العهد[2].

ظلت القدس خاضعة لملوك الفرس تدفع لهم الضرائب و العوائد وتسهل لهم سبل العبور إلى مصر حتى سنة (332 ق م) ، ويبدو من خلال هذا كله أن عودة اليهود إلى القدس كانت مكافئة لهم على مساعدة الملك "كورش"ضد البابليين،كما كانت بهدف إيجاد جماعة موالية للسلطة الفارسية ولتثبيت مواقعهم في القدس التي بقيت خاضعة للفرس[3].

وتروي بعض المصادر أيضا أنَّ الفرس دكُّوا أسوار القدس عند احتلالها،وكان معهم يومئذ ستة وعشرون ألف يهودي انضموا إليهم من طبريا و الناصرة و الجليل وراحوا يشتركون مع الفرس في أعمال الهدم و التدمير، فأحرقوا كنيسة القيامة وكنائس هيلانة و الجسمانية و غيرها من الكنائس و الأديار التي وجدوها.و يقدر المؤرخون عدد القتلى من المسيحيين في القدس (90000 نسمة) وجاء في مصدر آخر أنَّ عددهم (62000) وحسب المستر "بيرسون"عدد قتلى المسيحيين كانوا (24518) وقيل أنَّ أجساد القتلى جمعت يومئذ وألقيت في بركة "ماملا"[4].

---

[1] تاريخ القدس عبر العصور ، إسحاق رباح ، ص 90.

[2] المرجع نفسه ، ص 91.

[3] المفصل في تاريخ القدس، عارف العارف، ص 77.

[4] المرجع نفسه، ص 78.

وبعد احتلال القدس انصرف الفرس آخذين معهم البطريرك "زخريا" أسيرا وهو البطريرك الثاني عشر من البطاركة الدين اعتلوا الكرسي الأورشليمي،وقد مات في السبي كما أخذوا عود الصليب الذي كانت الملكة هيلانة تركته في موضعه[1].

[1]المفصل في تاريخ القدس، عارف العارف، ص 79.

المبحث الثاني

القدس من الغزو اليوناني حتى الفتح الإسلامي

القدس في العهد اليوناني:

رغم أنَّ الفرس كانوا متعاطفين جدا مع اليهود وهم ال ذين سعوا في إعادتهم إلى أورشليم وساعدوهم في بناء الهيكل إلاَّ أنَّ اليهود سرعان ما خانوا أسيادهم القدامى وتحوَّلوا إلى جانب القوة الجديدة التي ظهرت على يد "الإسكندر المقدوني"(اليوناني) خاصة بعد أنَّ استطاع القضاء على الحكم الفارسي في بلاد الشام بأكملها ، ومن بينها فلسطين سنة (330 ق.م)[1].

وتوالت بعد ذلك المتغيرات تعصف بالمدينة التي ظلت حجر الرحى في الصراعات الكبرى في المنطقة الشامية. فقد كانت حاضرة في مشروع الإسكندر الإمبراطوري بعد احتلاله فلسطين[2].

وحول رواية (يوسيفيوس) عن دخول "الإسكندر المقدوني" في القدس يرى أن الفرس في عهد (داريوس) أقاموا حاكما على "السامرة" اسمه (سنبلاط) وقد تزوج من بنات أحد أشراف القدس اسمه (منسة) لكن اليهود طلبوا منه التخلي عنها، فرفض ذلك فثاروا ضده[3].

وحاول أن يرشي خصوم صهره بالمال ولكن دون جدوى،وقد كان يعلل نفسه باقتران جيش "دارا"ليتكئ عليه في تحقيق آماله ولكن آماله لم تتحقق لأن "الإسكندر" قهرهم جميعا وراح يفتتح المدن و الأمصار التي كانت بيدهم،وفيما كان يحاصر مدينة "صور" أرسل رسُله إلى الحاخام الأكبر بالقدس طالبا منه أن يمده بعدد من المتطوعين ولما لم يأته جواب يرضيه استشاط غضبا،وكانت صور قد سقطت في يده ، فقرر أن يتجه إلى القدس وأقسم أن لا يهنأ له بال حتى يدخلها و يوقف رئيس الكهنة عند حده،فيجعله عبرة لمن يعتبر[4].

---

[1] تاريخ القدس عبر العصور، إسحاق رباح، ص 96 – 97.

[2] تاريخ بلاد الشام في العصور الإسلامية في إشكالية الموقع و الدور، إبراهيم بيضون، ص 246.

[3] تاريخ القدس عبر العصور، إسحاق رباح، ص 97.

[4] المفصل في تاريخ القدس، عارف العارف، ص 84.

لكن"سنبلاط" أجاب الإسكندر لطلبه ، فهرع إلى الإسكندر و معه سبعة آلاف من رجاله وكان اللقاء شمال القدس، حيث قدموا جميعا خضوعهم له و طلبوا عفوه[1].

وتقول المصادر التاريخية أنَّ الإسكندر المقدوني التقى شيوخ بني إسرائيل وكهنتهم على جبل "سكوبس" شمال مدينة القدس كما يؤكد أحد المؤرخين اليهود أنه باقتراب الإسكندر و جيشه هرع اليهود لاستقباله خارج المدينة حتى لم يبق منهم فيها أحد من السكان، ولمّا وصلوا إلى مكان يسمى (صفا) التقوا بالإسكندر،ومنها يتمكن القادم من رؤية القدس وهيكلها معا[2].

لقد نجح أحد أحبار اليهود (شمعون بن حونيو) وهو خليفة "عزرا" ، بفضل ما وصف به من دهاء أن يجنِّب المدينة الحرب (أي القدس)[3].

ومن خلال هذا يمكننا أن نرى أنَّ فتح القدس قد تم صلحا وكان عدد سكانها يومئذ مئة و عشرون ألفا. وقد طلب الإسكندر من الكاهن الأعظم أن يعلمه عمّا يبتغي. فقال له ه ذا أنه لا يبتغي شيئا سوى أن يتاح له العمل بقوانين أجداده وأن لا يدفع الجزية في السنة السابعة فمنحه الإسكندر ما يشاء. وقد طلب منه ومن باقي أفراد الشعب اليهودي أن ينخرطوا في جيشه، وأن يرافقوه في حروبه فتطوع عدد منهم لهذه الغاية[4].

واقتضت مساعدة اليهود له منح الحرية و الحكم الذاتي للمقيمين في القدس [5].

[1] تاريخ القدس عبر العصور، إسحاق رباح، ص 97.

[2] المفصل في تاريخ القدس، عارف العارف، ص 82-83.

[3] تاريخ بلاد الشام في العصور الإسلامية في إشكالية الموقع و الدور، إبراهيم بيضون، ص246.

[4] المفصل في تاريخ القدس، عارف العارف، ص85.

[5] تاريخ القدس و حاضرها، عزت جردات، ص 14.

القدس في عهد البطالمة (320–200 ق م):

عندما مات الإسكندر (323 ق .م) اقتسم ملكه قواده الأربعة منهم (سلوقس) حاكم سورية و(بطليموس) حاكم مصر وكانت القدس من نصيب (بطليموس) الذي حكم اليهود رغما عنهم فحاولوا مقاومته دون جدوى إذ بعث بجيشه لحصار القدس فامتنعت عليه في بادئ الأمر ثم علم أنَّ اليهود يحترمون السبت ولا يأتون بعمل فيه فهاجم المدينة يوم السبت فافتتح المدينة ودكً قسما من حصونها وعامل أهلها معاملة قاسية (اليهود) وأخذ منهم أكثر من مئة ألف أسير إلى مصر ثم عاد فلان في معاملتهم واستخدم فريقا منهم في أعمال الحراسة ولم يتدخل في عاداتهم و تقاليدهم ولكنَّه أثقل كاهلهم بالضرائب[1].

وعندما تولى "بطليموس الثاني"حكم مصر و فلسطين بما فيها القدس (285–247 ق.م) ظهرت روايتان حول موقفه من اليهود إحداها أنه غزى بني إسرائيل ببلاد فلسطين فسباهم وقتل منهم ، ورواية أخرى يذكرها مجير الدين الحنبلي وهي : "لما تولى بطليموس الثاني المسمى عند اليهود (ثلماي) جمع جماعة من الأسرى منهم نحو ثلاثين ألفا من اليهود فاعتقلوهم كلهم وأمرهم بالرجوع إلى بلادهم ففرحوا بـذلك وأكثروا له بالدعاء و الشكر. ثم أرسل رسولا وهدايا إلى بني إسرائيل المقيمين بالقدس وطلب منهم أن يرسلوا له عددا من علماءهم لترجمة التوراة وغيرها إلى اللغة اليونانية فسارعوا إلى الامتثال لأوامره[2].

أمَّاً في عهد "بطليموس الثالث"(247–222 ق .م) فقد حاول اليهود التملُّص من دفع الجزية ، وماطلوا في دفعها لعدة سنوات، فأرسل لهم عاملا جديدا و هددهم بالطرد من مصر ، فذهب وفد من اليهود وبكوا و ناحوا و ادَّعوا الفقر، فعفا عن جزية السنوات الماضية،وتعهَّدوا بدفع جزية تلك السنة و ما بعدها و المقدرة بـ 20 وزنة أي قنطارا من الفضة وكانت القدس حينئذ واقعة تحت تأثير .[3]

---

[1] المفصل في تاريخ القدس، عارف العارف، ص 86.

[2] تاريخ القدس عبر العصور، إسحاق رباح، ص 98.

[3] المرجع نفسه ، ص 99.

عائلتين رئيسيتين متصارعتين هما عائلة (أويناس) وبيدهم وظيفة رئيس الكهنة و عائلة (طوبيا) ومعقلهم "حبشون" في"عمون"[1].

أمَّا سنة (222-202 ق.م) فقد حكم مصر و فلسطين "بطليموس الرابع"وفي تلك الفترة كان السلوقيين الموجودين في سوريا،هم أيضا خلفاء الإسكندر يريدون توسعة حكمهم إلى فلسطين. فجرت عدة حروب بينهم وبين بطليموس الرابع،هـ ذا وقد استطاع "أنطوخيوس الثالث" السَلوقي الانتصار على" بطليموس الرابع"في فلسطين وكان "أنطوخيوس"هـ ذا مستاء من موقف اليهود منه ، لأنهم ناصروا بطليموس الرابع، الذي قام بإذلالهم[2].

تمكَّن السلوقيون من التغلب على البطالمة ، ممَّا أدَّى إلى وقوع فلسطين تحت حكمهم؛وأصبحت القدس تتبع حكم السلوقيين الذين فرضوا عليها نمطا إغريقيا[3].

حكم السلوقيين القدس (من 200 ق.م إلى 63 ق.م) ومن ملوكها "أنطوخيوس الكبير" الذي حكم من(223 إلى-187 ق.م) عُرف عنه أنَه كان طموحا ، ولماً زار القدس أظهر تسامحا مع اليهود وأطلق لهم حرية معتقداتهم وأكمل إصلاحات الهيكل،و أعفى اليهود من الضرائب لفترة من الزمن[4].

تولى الحكم بعد "أنطوخيوس الثالث""سلوقس الرابع" وكان ذلك من سنة (187 ق.م) إلى (175 ق.م) وبدأت في عهده نزاعات اليهود بين رئيس الكهنة (أويناس الثالث) ورئيس حرس الهيكل "سمعان".وقد ترك هدا النزاع شرخا في المؤسسة الدينية اليهودية استطاع السلوقيين من خلالها النفاد لهيلنة* اليهود، وخلال هذه الفترة أسس السامريون هيكلا في "جزريم"[5].

---

[1] تاريخ القدس عبر العصور ، إسحاق رباح ، ص 99.

[2] المرجع نفسه، ص 100.

[3] تاريخ القدس و حاضرها، عزت جردات، ص 14.

[4] تاريخ القدس عبر العصور، إسحاق رباح، ص 101.

[5] المرجع نفسه ، ص 102.

أمّا"أنطونيوس الرابع"الذي كان آخر الملوك السلوقيين الأقوياء فقد حكم من سنة (175 ق.م) إلى (164 ق.م) و الذي بدأ حكمه بشق صفوف كهنة اليهود في القدس. وباع منصب الكهنوتية (ليشوع) وأنشأ لليهود في القدس ملعبا و ميدانا للاحتفالات.ولكن الكاهن الأكبر قام باستعادة منصبه بمبلغ أكبر مما قدمه أخوه "يشوع" وسمَّى نفسه اسما هيلينا هو (فيلاوس) ، ودخل الأخوين في مواجهة،حاول فيها "يشوع"دخول القدس لكنه لم يستطع احتلالها، وعمّت الفوضى مدينة القدس. ولما علم (أنطوخيوس) بعد انتصاره في مصر ما حدث في القدس قدم إليها وعاقب معارضيه ونهب الهيكل وعيّن لحفظ المدينة قائدا يونانيا يدعى (فيلبس) والى جانبه والي وقوة عسكرية وبذلك انتهى عهد "يشوع"[1].

وفي عام (168 ق.م) قرر"أنطوخيوس الرابع" القضاء على اليهود نهائيا في مدينة القدس،وحين وصلها،تظاهر بالسلام ثم استغل عطلة السبت اليهودية فانقض على المدينة وأحرقها وأسر من فيها،حتى بلغ عدد القتلى والأسرى حوالي أربعة وثمانين ألفا تم بنى قلعة عسكرية كقاعدة للقوات السلوقية في "أكرا"لغرض حماية المدينة و السيطرة عليها.[2]

ونصَّت رواية أخرى على أنَّ (أنطيوخوس الرابع) والذي يعرف بـ" أنطيوخس أبيفانوس" احتل القدس سنة (168 ق.م) وهدم أسوارها ودكَّ حصونها ونهب هيكلها وقتل من اليهود ثمانين ألفا في ثلاثة أيام لا فرق بين الشاب و الشيخ . ولا المرأة و الطفل.وأتى بجند من اليونان لحمايتها ضد غارات [3]

[1] تاريخ القدس عبر العصور، إسحاق رباح، ص 101–102.

[2] المرجع نفسه، ص 102.

*هيلزة: (أهلنة القدس): ساد أرض القدس ثلاث تيارات، أولها تيار يحاول أن يتملق (البطالمة)، و ينزع إلى الهلينية، و تيار يعمل لصالح السلوقيين، و تيار ثالث ضد التيارين البطلمي و اليوناني معا.

[3] المفصل في تاريخ القدس ،عارف العارف ، 87 .

الأعداء، و بنى لهم فيها حصنا بشكل يمكنه الإشراف على التل الشرقي،و على المدينة القديمة،وقد وسَّع القسم السفلي للمدينة حيث أقام فيه اليهود المرتدين. وتقول المصادر أيضا أنَّ"أنطيوخوس" [1] عامل اليهود شر معاملة ، كما قام بذبح الخنازير على مذبحهم، ونصب فوقه التماثيل،وكان (متلاوس) أكثر من ساعده في هذه الأعمال وهو رئيس أحبار اليهود الذي خان قومه وحصل على مركزه .[2] بواسطة الخيانة و النفاق . كما تروى بعض المصادر أيضا أنَّ"أنطيوخس"نصب في مكان الهيكل صنم "زاوس" وهو المشتري .[3] ،وألزم كاهن اليهود أن يضحي له ذا الصنم بالأضحية ولأنه أبى عاقبه بالموت. ثمَّ قيل إن امرأة اسمها (أشموني) مع سبعة من بنيها قد سبُّوا الأصنام فقتلهم جميعا. ليس هذا فحسب بل حرم عليهم القيام بشعائرهم الدينية فأحرق كتبهم وحظر عليهم الختان وأرغمهم على انتهاك حرمة السبت، وأكل الخنزير وقتل منهم خلقا كثيرا، وسبى النساء والأطفال.ومن نجا من الموت هرب من المدينة. و العامل الذي قام بتفنيد سياسة مولاه حرفا بحرف في القدس حينذاك أي سنة (167 ق.م) هو (أبولينياس).كان هذا رئيسا للجزية،وكان يعمل تحت إمرته اثنان وعشرون ألفا من الجند،وعاقبة هذه السياسة هي قيام ثورة في القدس ضعضعت حكم اليونان (165 ق.م) وعرفت بثورة "المكابين"[4].

وبعد وفاة "أنطيوخس الرابع"تولى الملك"أنطيوخس الخامس" ولقب (أوباتور) أي الشريف . ودام ملكه سنتين فقط (164-162 ق.م) ولصغر سنه تولى الأمر (ليسياس) الوصي على العرش ، وكان قد نصَّبه أبوه قبل موته فسالم هذا سكان البلاد وسمح لليهود بمباشرة فروضهم الدينية،على شرط أن يخلصوا للدولة و الملك[5].

[1]المفصل في تاريخ القدس ، عارف العارف ، ص87.
[2] المرجع نفسه ، ص 88
[3] المرجع نفسه ، ص 87
[4]المرجع نفسه، ص 88.
[5] المفصَّل في تاريخ القدس ، عارف العارف ، ص 89.

ولكن "ليسانس" لم يكن مخلصا في تصرفه بل كان يحاول التخلص من اليهود،و ذلك بإبادتهم من الوجود،فراح يؤيد الحزب المناوئ للمكابيين الذي يرأسه رئيس الكهنة (منلاوس).

وإثر وقائع كثيرة بين اليونان و اليهود حاصر جيش" أنطوخيوس الخامس" أورشليم وكان مؤلفا من مئة ألف من المشاة و عشرين ألفا من الفرسان،لأيام طويلة أمر فيها بهدم السور. وكاد يفتك باليهود لولا أنه اضطر للرجوع إلى أنطاكية بسبب الثورة التي نشبت في سوريا والتي انتهت بانتصار خصمه "ديمتريوس الأول"الملقب ب(سويتر) فرفع الحصار وتنفست أورشليم الصعداء [1].

وفي هذه الفترة بدأت الهيلنة المنظمة لليهود والقدس،حيث أوكل لهذه المهمة وَال جديد هو (أثينوس) الذي اعتمد مجموعة من الخطوات ساهمت في الهيلنة من خلال استبدال الإله(يهوا) بالإله (زيوس) وهيكل ومذبح إغريقي (وزر الأوزار) بدل المذبح المقدس عند اليهود ، وقد حرم الختان وأباح أكل الخنزير،وتقديم الذبائح إلى الإله "زيوس" وتخلَّص من نُسخ سفر الشريعة ، وأعدم من احتفظ بها،ونتيجة له ذه السياسة انقسم اليهود إلى فريقين فريق استجاب للهيلنة وهم (النامسون) أو (الحديسم)،أي المؤمنون الأوفياء الذين قادوا المقاومة ضد السلوقيين و الهيلنة،وبذلك تجدد الصراع بين الطرفين[2].

المملكة المكابية(دولة يهودا) عام (164 ق.م–70 ق.م) منذ عام (200 ق.م) إلى ثورة المكابيين. ظل السلوقيون يعاملون اليهود باحتقار و قسوة.إضافة إلى الاضطهاد الديني ومحاولة إدخالهم جبرا في الوثنية الهيلينية دينا و تراثا.وبالفعل تحوَّل عدد من اليهود إلى الهيلينية الوثنية، [3]

[1] المفصل في تاريخ القدس ، عارف العارف ، ص 89.

[2] تاريخ القدس عبر العصور، إسحاق رباح، ص 102.

[3] المرجع نفسه ، ص 103 .

وبعضهم تحول ظاهريا فقط،حتى أن بعض اليهود اضطروا إلى الهرب من القدس. وقد قادهم رجل يدعى (ميتا) من أسرة تدعى (الحشومنية) ولمّا مات "متيتا" أسس ابنه"يهودا المكابي" دولة يهودية لمدة قرنين ونصف .[1] من (164 ق.م إلى–70 م)،رغم الانشقاقات و الاضطرابات السلوقية و البطلمية و الرومانية و يقسم العلماء هذه الدولة إلى أربعة عهود

أقام الملك "ديمتريوس "على رأس الإدارة في أورشليم (بيكيديس) وقلد (الكيمس) رئاسة الأحبار ووضع تحت تصرفهما جيشا كبيرا ليحكما به البلاد ، أراد "بيكيديس"في بداية الأمر أن يجنح إلى السلم. ولكنه عاد فجنح للبطش،عندما أيقن أنَّ اليهود قوم مشاغبون ، وأنَّ سياسة السلم و اللين لا تجدي نفعا معهم، فقام بقتل وذبح خلق كثير من اليهود ، وقامت بعد ذلك وقائع كبيرة بين اليهود أنفسهم (أنصار الكيمس) من ناحية و المكابين من الناحية الأخرى سالت فيها دماء كثيرة[2].

تم استبدل الوالي"بيكيديس"ب(نكانور) فهبط هذا أورشليم ومعه جيش كبير. في البداية أراد هو الآخر أن يجنح إلى السلم،ولكن موقفه هذا لم يعجب رئيس الأحبار الذي راح يشي به إلى الملك، فأمره الملك بإلقاء القبض على رئيس المكابيين وإرساله إليه.وقامت بين الفريقين حرب أُريقت فيها دماء كثيرة. فقتل" نكانور" وخشي المكابيون أن يبطش بهم "ديمتريوس"فأرسلوا رسولين من رجالهم إلى روما وعقدوا مع الرومان حلفا سنة (161 ق.م) الغاية منه اتقاء شرّ اليونان[3].

وهناك رواية أخرى تذكر أنَّ "إلياكيم" قام بتجهيز حملة جديدة بقيادة" نكانور"عام (161ق.م) وحدثت مواجهة انتصر فيها (يهودا) وقتل "نكانور"وقطع رأسه وعلق على أسوار القدس[4].

---

[1] تاريخ القدس عبر العصور ، إسحاق رباح ، ص 103.

* المكابي لقب مشتق من العبرية (مقبة) أي المطرقة إشارة للضربات الساحقة التي نزلت بالدور او هو ربما لقب يهودا ابن ماتياس من الأسرة الحشمونية.

[2] المفصل في تاريخ القدس، عارف العارف، ص 89 – 90.

[3] المرجع نفسه، ص 89–90.

[4] تاريخ القدس عبر العصور، إسحاق رباح، ص 104.

بعد مقتل "نكانور" عاد الملك "ديميتريوس" فأرسل إلى أورشليم الوالي السابق "بكيديس" ورئيس الأحبار "الكيمس" مع جيش كبير ، حيث قامت حروب جديدة بين المكابين واليونان، قتل فيها "يهودا المكابي"سنة (160ق.م). وألقى الوالي "بكيديس"القبض على أبناء الزعماء وجعلهم رهائن، وزجهم في قلعة أورشليم، ثم أرسلهم إلى روما. عندئذ هدأ اليهود وجنحوا إلى السلم واستتب الهدوء إلى حين[1].

ومن خلال ما تقدم يمكننا أن نلاحظ أن القدس خلال القرن الثاني قبل الميلاد، كانت كريشة في مهب الريح، يخطفها القوي من الضعيف،فلا تكاد تخضع لسورية يوما أو بعض يوم حتى تمسي في أحضان مصر. فتارة مع السلوقيين وطورا مع البطالمة. وخلال هذا التنافس كان المكابيون يظهرون على الساحة وأخرى يختفون ويدسون لبعضهم البعض الدسائس (وب ذلك تفرق شملهم)[2].
قام "دميتريوس الثاني"عام(143ق.م) بجعل "سمعان" رئيسا للكهنة ورئيسا سياسيا في القدس، وأعفى اليهود من الجزية، وسمح لهم بالدخول في الجيش السلوقي، ودخل "سمعان" القدس عام (141ق.م)بعد حصارها وهدم القلعة، كما دعم أسوار المدينة خاصة التي كانت باتجاه الهيكل.
وعندما توّج " أنطوخيوس السابع" جهز حملة لاحتلال القدس، وقاد "سمعان" وأولاده مهمة ضد القوات السلوقية. حتى تمّ اغتيال "سمعان" عام (135ق.م). وتولى الحكم بعده ابنه "يوحنا" الذي شهد عصره حربا بين الأحزاب الدينية، كما شهد عهده حملة ثانية قادها السلوقيون على القدس، ودفع الجزية. كما قام بهدم أسوار المدينة لتبقى مفتوحة أمام الجيش السلوقي، وبدفع مبلغ خمسمائة وزنة من الفضة "لأنطيوخوس"ثمنا لرحيله عن القدس[3].

---

[1] المفصل في تاريخ القدس، عارف العارف، ص 90

[2] المرجع نفسه، ص 91.

[3] تاريخ القدس عبر العصور، إسحاق رباح، ص 104.

سنة (70ق.م) أخذ "أرسطوبولس المكابي" التاج عنوة من أخيه "هركانوس الثاني" ، حيث قامت بين الأخوين حرب أهلية، فراح كل منهما يستنجد بدولة أجنبية من الدول المجاورة له ليتغلب على أخيه فاستنجد "هركانوس" بالحارث ملك العرب، فأمده بجيش قوامه خمسون ألف مقاتل ، فتغلب على "أرسطوبولس" و جيشه، و حاصر القدس و كاد أن يحتلها، لولا أن جيش روما الذي استنجد به .[1] "أرسطوبولس" كان أكثر عددا ، فكان النصر حليفه. وبه ذا الفتح تمَّ القضاء على الحكم اليوناني، وعلى الغطرسة المكابية أيضا، وما كان هذا الفتح ليتم لو لم تكن البلاد منقسمة على نفسها[2].

و من مميزات عصر اليونان في القدس الشريف:

- ظهور العنصر اليوناني وانتشاره في جميع البلاد بكثرة تلفت الأنظار حتى أنهم امتزجوا بسكان البلاد الأصليين وناسبوهم .[3] كما شهدت القدس في هذه المرحلة:

أولا: أنها كانت بؤرة التبادلات وعمليات تكوين الدين و العقيدة.

ثانيا: اتَّسع مجال القدس،وخرجت عن حدودها اليبوسية القديمة نحو جبل أوفل، وموريا في الأعلى و إلى الغرب من المدينة اليبوسية توسع السكان فيها وظهرت المدينة العليا المتاخمة لوادي (هنوم) من الأعلى و المدينة السفلى اللصيقة بمدينة يبوس القديمة.

ثالثا: انتعشت القدس أكثر في ظل حكم الأسرة المكابية ، و الحشمونية بعدما أصاب الهيكل الذي تعرض للتهميش في الفترة البطلمية و السلوقية [4].

---

[1] المفصل في تاريخ القدس، عارف العارف، ص 90.

[2] المرجع نفسه، ص 91.

[3] المرجع نفسه، ص 92.

[4] تاريخ القدس عبر العصور، إسحاق رباح، ص 111.

القدس في العهد الروماني:

إن الحرب التي قامت بين الأخوين "أريسطوبولس المكابي" و "هيركانوس الثاني" أدخلت روما في الأمر، فجاء بومبي، و كان يومئذ في سوريا يقضي على ما تبقى من الدولة السلوقية. وحاصرها سنة (63 ق.م)، قيل إنه جاءها عن طريق أريحا، و أنه هاجمها من الناحية الشمالية للهيكل، و دام حصارهلها ثلاثة شهور، ضربت القدس خلالها بالمنجنيقات[1].

و تقول بعض المصادر الأخرى أن (بومبي) استولى على القدس في شهر (أيلول) سبتمبر سنة (63 ق،م)[2].

و يقال أيضا إنه كان هناك جسر يربط منطقة الهيكل بحارة صهيون، هدمه بومبي، و ظل يضرب المدينة حتى أحدث ثقوبا في أسوارها، و تمكن من احتلالها ، و عندما تم للروم ان ما أرادوا، راحوا إلى الهيكل، فدخلوه، و استباحوا حماه، و أعملوا في سكانه السيف بلا شفقة و لا رحمة، و راح بومبي يتوغل في ردهاته و مخادعه، إلى أن توصل إلى قدس الأقداس، و كان يوم سبت [3]. و في مصدر آخر يقول أن القائد بومبي هدم أسوار القدس و قضى على حرية اليهود و أحرقهم و لم يبق منهم أحد [4].

و تذكر بعض المصادر التاريخية الأخرى أن القائد "بومبي" عندما أقبل بجيشه إلى أورشليم وجد العرب على أهبة للقتال فقاتلهم، فغادروها، حاصرها "بومبي"، فخرج أرسطوبولس مع أسرته و بعض حاشيته إليه مستسلما بعد أن أبى رجال الدين أن يستسلموا و تحصنوا بالهيكل[5].

---

[1] المفصل في تاريخ القدس، عارف العارف، ص 93.

[2] تاريخ القدس عبر العصور، اسحاق رباح، ص 115.

[3] المفصل في تاريخ القدس، عارف العارف ، ص 93.

[4] موسوعة المدن العربية، آمنة أو حجر، دار أسامة للنشر و التوزيع، عمان الطبقة الأولى، 2002، ص 360.

[5] عروبة فلسطين و القدس، أحمد عبد الغفور عطار، ساعد على مشرخ سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض، الطبعة الخامسة، (14000هـ/1980م) ص 64.

و لم يعمد الرومان إلى حكمها (القدس) مباشرة بواسطة حاكم روماني، بل فضلوا جعلها تحت حكم حاكم محلي[1] ، و لماَّ تمَّ احتلال المدينة و استتب الأمن، غادرها بومبي، بعد أن أقام حاكما عاما عليها (اسكارس)[2].

ويقال إن القائد بومبي جعل (اسكارس أو هركانوس) حاكما على أورشليم بعد أن جاءه بنفسه يقدم الهدايا و الولاء إلى دمشق ليستعين به على أخيه (أرسطوبولس)[3].

و لم يكتف بـومبي بأن جعله (اسكارس) حاكما على القدس بل جعله الكاهن الأعظم و الرئيس الأعلى للديانة اليهودية أيضا[4].

لقد حكم اسكارس القدس، فألغى المجمع العام، وهدم الأسوار، و قضى على حرية الشعب اليهودي قضاء تاما، كما فرض عليهم أن يقدموا ذبيحة عند هيكلهم كل يوم تكريما للقيصر و لروما، ذلك رمز الولاء و الخضوع. و كان اليهود يفعلون ذلك مكرهين [5].

و لما أكمل بومبي مهمَّته في القدس عاد إلى روما مصطحبا معه أرسطوبولس و أولاده [6]،

مصفدين بالأغلال، ليشهدوا استعراض جيشه، ذلك الاستعراض الذي أقامه احتفاء بالنصر.

إلاَّ أنَّ بعض أولاد أرسطوبولس هربوا من روما و عادوا إلي أورشليم يحرضون الشعب على عمهم (اسكارس)، و حدثت فتن داخلية اضطر بسببها أحد القادة الرومانيين و اسمه غابينوس أن يحاصر قوة يهودية كبيرة في جبل جرزيم و يقتل من أفرادها آلافا و ذلك سنة (56 ق.م). و بسبب الفتن. [7]

[1] عروبة فلسطين و القدس، أحمد عبد الغفور عطار، ص 64.
[2] المفصل في تاريخ القدس، عارف العارف، ص 93.
[3] تاريخ القدس عبر العصور، إسحاق رباح، ص 116.
[4] عروبة فلسطين و القدس، أحمد عبد الغفور عطار، ص 65.
[5] المفصل في تاريخ القدس، عارف العارف، ص 93.
[6] عروبة فلسطين و القدس، أحمد عبد الغفور عطار، ص 65.

[1] الداخلية اقتحم القائد الروماني(فرسيس) هيكل أروشليم و نهب كل ما فيه من ذخائر و نفائس، و سلب اليهود كثيرا من أملاكهم [2].

و قد قام غابيوس بتجريد الكاهن الأعظم هيركانوس الثاني من رتبته الملكية، و فرض ضرائب ثقيلة على السكان، و قسم الدولة إلى خمسة أقاليم لكل منها مجلس و في سنة (57 ق.م) ثار اسكندر ابن أرسطوبولس على عمه هركانوس انتقاما لهزيمة أبيه، و انتصر بالفعل على عمه و دخل أورشليم، ففر منها هيركانوس إلى دمشق. فقام الرومان بإرسال حملة تأديبية لهذا الثائر. و استطاع غابينوس أن يخضع اسكندر، كما أعاد هركانوس حاكما على أورشليم. و بالمقابل أيضا استطاع (أرسطوبولس) والد إسكندر أن يفر من روما و أن يصل إلى أورشليم سرا و أن يجمع حوله أنصاره، ثم ثار على أخيه هركانوس مرة ثانية، لكن القوات الرومانية أخضعته بسرعة و أرسلته و للمرة الثانية أسيرا إلى روما، ليعاود الكرة للمرة الثالثة في محاولة منه الاستيلاء على القدس، و لكن هذه المرة أرسل إلى سوريا لإعدامه، و كان هذا سنة (49 ق.م) [3].

و عندما قضي بومبي نحبه في روما، و استولى (يوليوس قيصر) على العرش سنة (49ق.م) تنفس اليهود الصعداء. ذلك لأن يوليوس كان معروفا بميله إليهم، فولى (انتيباتر) الحكم. و أقام من تحته (هركانوس) الحشموني حاكما على القدس. و لكن النفوذ المكابي القديم كان قد ضعف، و سلطة الحشمونيين كانت قد تضاءلت حيال سلطة (انتيباتر) الآدومي[4].

---

[1] المرجع نفسه ، ص 56.

[2] عروبة فلسطين والقدس ، أحمد عبد الغفور ، ص 56.

[3] تاريخ القدس عبر العصور، إسحاق رباح، ص (116 – 117).

[4] المفصل في تاريخ القدس، عارف العارف، ص 94.

و نصَّ مصدر آخر على أن أركانوس كان ضعيفا لذا سيطر عليه أنتيباتر الآدومي، و حرضه على قتل أقربائه، و سيطر الأدومي على الحكم من وراء أركانوس، و كان أنتيباتر على صلة ودّية.[1] مع الرومان، فلما صار يوليوس قيصر حاكما على روما سنة (49 ق.م) بعث إليه ليهنئه، و أرسل إليه الهدايا و قدم ولائه له، و وعده بأن يخضع اليهود لروما[2].

لما مات" انتيباتر" تسلم زمام الإدارة في القدس ابنه (فصايل)، و كان أخوه هيدروس واليا على الخليل، فراح الحشمونيون بقيادة هيركانوس، و الأدوميون بقيادة فصايل يقتتلون في شوارع القدس، وكانت الغلبة في بادئ الأمر للحشمونيين[3].

لقد نصب الرومان (هيرودوس الكبير)، و هو آدومي الأصل، يهودي الديانة و روماني التبعية، ملكا على القدس . [4] ، و أنه بعد هروبه من الخليل سنة (39 ق.م) بسنتين فرض حصارا ناجحا على القدس[5].و ليضمن هيرودوس ولاء اليهود لنفسه بعد أن ضمن رضا الرومان عنه، بنى هيكل اليهود الثالث، و جعله أكبر من الأول الذي بني في عهد سليمان، و الثاني الذي بني بعد عودة المنفيين من بابل. و افتتح الهيكل بعد تمام بنائه بمهرجان كبير دعا إليه علية الممالك المجاورة و أقيمت فيه الألعاب الرومانية[6].

و جاء في المصادر التاريخية عن هذا الرجل (هيرودوس) أنه كان يهودي الديانة. و أن اليهود كانوا يكرهونه بالرغم من أنه أمدَّهم بالمال و الحبوب أثناء المجاعة التي أصابتهم عام (22ق.م) [7].

---

[1] عروبة فلسطين و القدس، أحمد عبد الغفور عطار، ص 65.

[2] المرجع نفسه ، ص 65.

[3] المفصل في تاريخ القدس، عارف العارف، ص 94.

[4] تاريخ القدس و حاضرها، عزت جرادات، ص 15.

[5] المرجع نفسه، ص 118.

[6] عروبة فلسطين و القدس، أحمد عبد الغفور عطار، ص 66.

[7] المفصل في تاريخ القدس، عارف العارف، (ص94-95)

و لقد بدأت إعادة بناء القدس بصورة جدية بعد المجاعة سنة (25 و 24 ق.م)، و اكتسبت هيرودوس مكانة كبيرة بتخفيفه من آثار المجاعة سواء في القدس أو غيرها من أنحاء مملكته، و كان ذلك من خلال تقديم الطعام و الحبوب.ونظرا لكثرة الناس الذين دمرتهم المجاعة و الوباء الذي رافقها، فقد اختار هيرودوس بعض العاطلين من هؤلاء الناس للعمل كبنائين في مشروعاته التي بناها في مدينة القدس [1].

و يروى أن هيرودوس فكَّ ما كان عنده من الذهب و الفضة، و أرسله إلى مصر، فابتاع به تسعين ألف كر من الحنطة، وزعها على المحتاجين، و أعطى الزراع قسما منها ليستعملوه بذورا، على أن يردوه إليه بمقدار ما أخذوا، و لكي لا يجوع العمال أوجد لهم أشغالا (كبناء المدن و القلاع و القصور و الحصون)[2].

لقد حاول "هيرودس"التوفيق بين اليهود والرومان ولمَّا فشل في مهمته فضل الرومان على قومه. وساعدهم على توطيد أقدامهم في البلاد ، ولما رأى أن الشعب يبغضه حاول إرضاءه من خلال تجديد بناء الهيكل ، فشرع في السنة التاسعة عشرة من حكمة بالعمل على ذلك،وقد تم تدشين البناء الجديد قبل ميلاد المسيح بإحدى عشرة سنة وعندما خطط لإعادة بناء الهيكل سنة (19أو18ق.م)، واجه اعتراضات مختلفة من الكهنة، وانتهى الأمر بتدريب آلاف منهم كبنائين ونجارين[3].

وبعد وفاته سنة (4ق.م)ونصب الرومان ابنه (أرشيلاوس) .[4] مكانه سنة (4ق.م)فعجز عن إدارة إدارة البلاد ولاسيما في أورشليم وقامت فتن وقلاقل أدّت إلى إزاحته وإلى بروز شخصيات تدعي حقها في الملك ،فهذا أرشيلاوس وإخوته في روما يتشاكون أمام أغسطوس ويسعى كل منهم لقهر الآخر. وتزامن هذا مع وصول وفد يهودي مؤلف من خمسين رجلا يشتكون من آل هيرودوس.[5]

---

[1] تاريخ القدس عبر العصور، إسحاق رباح ، ص 119

[2] المفصل في تاريخ القدس، عارف العارف ، ص 96.

[3] المرجع نفسه ، ص95.

[4] تاريخ القدس عبر العصور، إسحاق رباح، ص120.

[5] المرجع نفسه، ص 122.

وانضمَّ إلى هذا الوفد سكان روما ،وكلهم كانوا يطالبون القيصر بأن يضم بلادهم إلى سوريا ،وأن يجعلها إقليما رومانيا ،ولا يبقي لليهود إلا استقلالهم في الشؤون المذهبية، فكانت النتيجة آن أبقى الرومان جنودهم في أورشليم واتَّخذوا (قيسارية)عاصمة لولايتهم لقربها من البحر من ناحية ولِلحظّ من شأن أورشليم من ناحية أخرى .[1] ذلك لأن أورشليم كانت مصدرا للقلاقل والفتنة بالنسبة لهم.

وفي عهد بيلاطس (26.36م)صلب المسيح،وحدث في القدس حوادث جسام ذكرها هذا الأخير في تقريره الذي رفعه إلى قيصر روما (طيباريوس قلوديوس).[2]

وقد استنتج من هذا التقرير ما يلي:

- التباغض بين الرومان واليهود وصل إلى الدرجة التي رفض منها رئيس الكهنة اليهود وحاشيته دعوة بيلاطس لحضور الوليمة التي أقامها للوجوه والأعيان، وقد استقبلوه عند مجيئه للقدس بوجوم.
- تعد القدس من أصعب المدن المحتلة من ناحية الحكم لأنها عش الدسائس والفتن ، شوارعها ضيقة،وهي مرصوفة رصفا سيئ وموارد المياه والمجاري فيها من النوع المخجل والأمراض منتشرة فيها انتشارا فضيعا[3].
- كان للهيكل سور، وكان الرومان يحكمون بالموت على الجندي الذي يتخطي هذا السور.
- إن القوة العسكرية الرومانية التي كانت مرابطة في القدس كانت ضئيلة.
- أحضر بيلاطس مهندسين(واحدا من أنطاكية وآخر من الإسكندرية) وقد قاما برسم الخرائط اللازمة لإنشاء الطريقين اللتين تصلان القدس من الشمال والشرق.
- وقيل أن أعظم عمل قام به بيلاطس في القدس هو قناة الماء التي بناها من الحجارة،وأسال فيها الماء من برك سليمان إلى القدس ، وقد كان في القدس يومئذ خمسون ألفا من السكان ولم . [4]

---

[1] تاريخ القدس عبر العصور، إسحاق رباح، ص 122.

[2] المفصل في تاريخ القدس، عارف العارف، ص 96 – 97.

[3] المرجع نفسه، ص 97 – 98.

[4] المرجع نفسه، ص 98 – 99.

يكن فيها سوى بضعة آبار، وقد عثر المنقبون على آثار هذه القناة بالقرب من قبة راحيل،عند مفترق الطريق بين بيت لحم والخليل[1].

- إن رغبة بيلاطس في إرضاء اليهود أدَّت به إلى إصدار أمر بنحت أنابيب من الأحجار الضخمة ليجري فيها الماء، ويوجد نماذج منها في فناء النو تردام في القدس، و هي تشهد على عظمة صانعها، وقد عزم أن يصرف ربع أوقاف اليهود على عمارتها فمنعوه[2].

لقد رفض اليهود مساعدة بيلاطس في إنشاء قناة الماء ،رغم أنه حاول أن يقنعهم بأن القدس سيردها ماء نقي ، وأن هذا أمر حيوي ،وهو لصالحهم من الوجهتين العمرانية والدينية ولكنهم رفضوا ، و كانوا قتلوا حاخاما اشتبهوا بأنه ينظر للمشروع بعين الرضا كما رفضوا أن يقدموا له أي مساعدة مالية،حتى ولو على سبيل القرض،كما راحوا يهددون بهدم القناة،ورجموا الوالي بالحجارة، فكانت هذه القطرة التي أفاضت الكأس مما جعله يهاجم اليهود ، ويلحق بهم الهزيمة ،ويتسبب في عدد كبير من القتلى، وبهذا تمكن من قمع ثورتهم،ومن الوصول إلى هيكلهم ونهب أمواله،وأتم مشروع القناة [3].

وبعد كل محاولاته التي قام بها لاسترضاء قيصر روما ولإرضاء اليهود في أورشليم إلا إنه عزل، وخلفه بعد ذلك (هيرودوس أغريبا) وهو حفيد هيرودس الكبير،الذي طمع في امتلاك زمام الأمور في القدس ليسترجع مجد جده الأكبر وبالفعل نال مبتغاه[4].

و يجدر بنا ذكر أن مدينة القدس انتعشت فترة حكمه أي سنة (41 – 44 م)، فبنيت فيها القصور الشاهقة والأروقة الفخمة والمسارح الضخمة،وأنشئت على عهده حارة جديدة سميت (بزيتا) كما شرع في بناء السور المعروف بالسور الثالث،وفي عهده أيضا أنشئ أول محفل ماسوني في أورشليم[5].

---

[1] المفصل في تاريخ القدس، عارف العارف، ص 100.

[2] تاريخ فلسطين، عمر الصالح البرغوثي، خليل طوطح، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، ص 66.

[3] المفصل في تاريخ القدس، عارف العارف، ص 103.

[4] المرجع نفسه، ص 114.

[5] المرجع نفسه، ص 115.

وعندما مات "هيرودوس أغريبا" أرسل الرومان (اكسبيوس فادوس) ليحل مكانه و كان ذلك سنة (44م)، وقد حدثت في عهده عدة وقائع بين اليهود وخصومهم العرب والآدوميين ، فانتصر العرب،كما أراح البلاد من المشاغبين ، بعد سنتين من الحكم استقال وخلفه بعد ذلك "اطيباريوس إسكندر" سنة (46م)،وهو من اليهود المرتدين ،وكان أول شيء فعله أنه قتل اثنين من زعماء اليهود لأنهما حرضا قومهما على الثورة ضد الرومان ، وفي أيامه أيضا حصلت مجاعة شديدة. ثم خلفه (فنتديوس فومانوس) سنة (48م)وفي عهدهأيضا حدثت اضطرابات داخلية في القدس بسبب كلمات

قالها أحد جنوده التي عدها اليهود مهينة لمراسيمهم الدينية،كما اتهموا الوالي بأنه هو الذي حرض الجندي على قولها[1].

حاول (قومانوس) في البداية إقناع اليهود بالعكس ولكنهم لم ينصاعوا لأوامره،فأصدر أمره إلى جنده ليتأهبوا، و ظن اليهود أن الجند سيهاجمونهم فهربوا، وداس بعضهم على بعض أثناء هروبهم عبر شوارع القدس الضيقة، فمات الكثير من الناس دون أن يضربوا أو يصابوا بيد. هذا بالإضافة إلى حادثة أخرى ،إذ نهب بعض اليهود عبدا من عبيد الإمبراطور(اسطفان) ،فطالبهم "قومانوس" بتسليم المجرمين ،وردما أخذوه فرفضوا ، ومزق أحد الجنود كتاب التوراة، فشكا اليهود الأمر إلى قومانوس الذي أرضاهم بقطع رأس الجندي الذي قام بهذا العمل [2].

وبعد قومانوس الذي جرد من رتبته العسكرية من قبل القيصر تولى الحكم(فليكس) الحكم في القدس وكان ذلك من (52 مإلى 60م) حيث انتشر الأشقياء وقطاع الطرق ،ومن بينهم أشقياء ونزعة دينية عقدوا العزم على قلب الحكم الروماني[3].

---

[1] المفصل في تاريخ القدس، عارف العارف، ص 115.

[2] المرجع نفسه، ص 116.

[3] تاريخ القدس عبر العصور، اسحاق رباح، ص 124.

وبعد ولاية فليكس تولى (فسريتوس) إدارة القدس وكان ذلك سنة (60م)، و قد تمكن هذا من السيطرة على اليهود الثائرين ، ولكنه لم يحكم طويلا ، إذ توفي إثر مرض أصابه سنة (61م) .[1]، وتولى الإدارة بعده في القدس (ألبينوس) الذي حكم من سنة (60 حتى 62م) ،[2]

فأتمَّ ترميم الهيكل حيث وجد ثمانية آلاف من العمال ، إضافة إلى المساجين الذين أطلق سراحهم ، وبهذا امتلأت شوارع القدس بالعمل العاطلين والعصابات المسلحة وأتباع الحاخامين المعزولين.فقام (ألبينوس) باستخدام عدد كبير منهم في رصف شوارع المدينة بالحجارة [3].

وبعد (ألبينوس) تولى الإدارة (غ يسيوس فلوروس) وكان ذلك من سنة (64الى 66م) . [4] وقد استفحل الخلاف بين الحكومة والشعب في عهدة (فلوروس) ، وخاصة لما طمع في أموال الهيكل وهم بسلبها ،لكن اليهود منعوه فآمر جنوده بال بطش بهم ونهب بيو تهم، هذا ما أدى إلى خراب القدس،وتمزيق الآمة اليهودية [5].

إنَ" عدم انصياع اليهود لتهديدات فلوروس أدَّى إلى دخول القدس،وسار نحو حصن أنطوينا لوضع اليد على القلعة والهيكل معا ، ولكن اليهود كانوا قد هدموا قسما من المعبر الأرضي الذي كان يربط الحصن بالهيكل ، فحاول فلوروس أن يعمّر ما هدمه اليهود ، ولكنه لم يستطيع لكثرة اليهود الذين كانوا في الشوارع، تاركا وراءه قسما من جنده وظلت المدينة في غليان وهياج.[6]

---

[1] المفصل في تاريخ القدس، عارف العارف، ص 116.

[2] تاريخ القدس عبر العصور ، إسحاق رباح، ص 124.

[3] المفصل في تاريخ القدس، عارف العارف، ص 118.

[4] تاريخ القدس عبر العصور ، إسحاق رباح، ص 124.

[5] تاريخ فلسطين، عمر الصالح البرغوثي و خليل طوطح، ص 66.

[6] المفصّل في تاريخ القدس ، عارف العارف ، ص 119.

وعلى إثر هذا بعث اليهود بشكواهم إلى (كيسبيوس غالوس) طالبين منه التحقيق ،كما أرسلفلوروس بدوره مفتشا للتحقيق يدعى (نيابوليتانوس)وعند اقترابه من القدس التحق به (أغريبا)، فخرج اليهود لاستقبالهما وهم يبكون ويتظلمون ، طالبين من أغريبا أن يؤازرهم ،ومن (نيابوليتانوس) أن ينقدهم من فلوروس وظلمه ،وقاموا بأخذه إلى جميع أنحاء المدينة ، ليبرهنوا له على أن المدينة هادئة ،وأن السكان ثاروا ضد فلوروس ولم يثوروا ضد الرومان[1].

كما ذهب (نيابولتانوس) إلي الهيكل ليقدم الضحايا ،وأشاد بذكر اليهود و إخلاصهم للإمبراطورية ونصح "هرودس أغريبا" اليهود بأن لا يستهينوا بقوة الرومان ،وأن لا يتسببوا لأنفسهم ولأمتهم في الحرب والدمار بسبب نزاع بسيط مع أحد الحكام. وعقب هذه الأحداث رضخ اليهود وركنوا إلى الهدوء، كما قاموا بدفع ما عليهم من ضريبة إلى الخزينة ، و عمروا الخراب الذي أحدثوه في حصن أنطونيا[2].

و لكن العصيان بدأ من جديد في القدس ولكن هذه المرة كان بسبب (اليعازر بن حنانيا الحاخام الأكبر) الذي منع تقديم الضحايا في الهيكل من لدن الأجانب ومنع تقديم الهدايا الملوكية ، وكنتيجة لهذا الخلاف قتل الحاخام الأكبر حنانئا ، وسلم القائد الروماني نفسه مشترطا انقاد جنده ، لكن اليهود فتكوا بالجيش الروماني ،ولم يتركوا إلا (ميتليوس) حيا مشترطين أن يتهود ولم يبق في أورشليم روماني واحد وكان هذا عام (66م)[3].

وبمجرد أن طرد كيستيوس خارج القدس ، حتى أسرع نحو الجنوب مع جيش قوامه من عشرون ألف رجل، وقام باحتلال المدينة من جديد ،وخلال حصاره المضروب على القدس،كان اليهود منقسمين إلى قسمين:قسم أراد أن يفتح أبواب المدينة إلى الرومان،وقسم أبى،وفي آخر المطاف انسحب .[4]

---

[1] المفصل في تاريخ القدس، عارف العارف، ص 119- 120.

[2] المرجع نفسه، ص 120.

[3] المرجع نفسه، ص 121.

[4] المفصل في تاريخ القدس ، عارف العارف ، 121 .

الجيش الروماني من القدس ، ولما سمع الإمبراطور (نيرون)بهذا ثارت ثائرته وأرسل إليهم قائده (فلافيوس فسباسيان) مع جيش مؤلف من ثلاثة فيالق (60.000 م قاتل)هذا عدا عن كتائب المتطوعين[1].

فزحف فسباسيان نحو القدس،وبينما هو في الطريق إليها بلغه نبأ وفاة نيرون والمناداة به إمبراطورا، فعاد إلى روما بعد أن أوكل إلى ابنه (تيطس) بإتمام المهمة[2].

وصل تيطس إلى أسوار القدس عام (70م) [3] ، وكان اليهود عندئذ منقسمين على ثلاثة فرق:

- الأولى = (حماة الهيكل) بقيادة العازار.
- الثانية =(حرس برج أنطونيا) وقائدهم يوحنا الجس خلي.
- الثالثة =(حفظة قلعة هيروس) ورأسهم سيمون (سمعان)[4].

وقد ساعد ملك من ا لأنباط وهو (مالكو الثاني) القائد تيطوس في الهجوم على أورشليم، وذلك من خلال إرساله لألف فارس وخمسمائة من المشاة لمساعدته [5].

وحدث أن تيطوس حاصر أورشليم حصارا شديدا جعل اليهود ييأسون من الحياة ، وتعاهدوا فيما بينهم بأن يقتلوا أنفسهم و أولادهم و نساءهم قبل أن يقتلهم الرومان أو يأسروهم[6].

وقد داهم جيش تيطوس القدس بالمنجنيقات .[7]

---

[1] المفصل في تاريخ القدس ، عارف العارف، ص 122.

[2] عروبة فلسطين و القدس، أحمد عبد الغفور عطار، ص 68.

[3] تاريخ القدس و حاضرها، عزت جرادات، ص 15.

[4] تاريخ فلسطين، عمر الصالح البرغوتي، خليل طوطح، ص 68.

[5] تاريخ القدس عبر العصور، إسحاق رباح ، ص 126.

[6] عروبة فلسطين و القدس، أحمد عبد الغفور عطار، ص 68.

[7] تاريخ فلسطين، عمر صالح برغوثي ،خليل طوطح، ص 68.

وحشد رجاله لمهاجمة المدينة ،ولكن "جون" كان قد هاجم رجال ألعازر، ودخل إلى صميم الهيكل، حيث ذبح عددا كبيرا ممن واجهه وبعد قضائه على شيعة ألعازر، بقي في المدينة حزبان ، حزب جون (في قلعة الهيكل) ، وحزب سيمون (في قصر هيرودوس) المسيطر على القسم العلوي من المدينة[1].

أمضى تيطوس شهرا في القدس ، دمَّر خلاله الهيكل تدميرا تاما وأعطى الأوامر ب أن تسوى بقاياه والمدينة كلها بالأرض،ولكنه استثنى السور الواقع غربي المدينة من أجل توفير الحماية للفيلق العاشر الذي أبقاه كحامية للمدينة، والأبراج الثلاثة شمال القصر: فصايل ومريامه و هيبكوس[2].

طال الحصار حتى مات الناس جوعا وانتشر الوباء وسرى المرض بسبب سوء الغذاء ورائحة الجيف المنتنة فرأف بهم وطلب إليهم أن يسلموا المدينة صلحا ليعاملهم بالحسنى فأبو و أصروا على الحرب،وكانوا يبنون ليلا ما يهدم نهارا،وقد بدأت الحصون تسقط في يد تي طوس الواحد تلو الآخر[3].

وانتهي الحصار في سبتمبر سنة (70م) حيث دخل تيطوس مدينة أورشليم،وأخذ اليهود ينفذون ما تعاهدوا عليه وكان ذلك أن يقتلوا نساءهم وأولادهم و بعضهم البعض بأيديهم قبل أن تطالهم يد العدو وهكذا فعلوا حتى أبادوا أنفسهم بأيديهم ، وسقطت أورشليم بعد سقوط قلاعها الحصينة المنيعة قلعة إثر أخرى،واخترقت المدينة والهيكل ، وترك تيطوس المدينة خرابا ، أما الهيكل فقد تركه أرضا محترقة، وعندما تمَّ احتلال المدينة من قبل تيطوس، ذبح فيها من ذبح، وحرق ما أحرق، وأسر من أسر، راح يبيع هؤلاء الأسرى كالعبيد ، فمنهم من ألقي لمصارعة الوحوش الضارية في المسارح،ومنهم من حكم عليه بالأعمال الشاقة في المناجم مدى الحياة[4].

---

[1] المفصل في تاريخ القدس، عارف العارف، ص 123.

[2] تاريخ القدس عبر العصور، إسحاق رباح ، ص 126.

[3] تاريخ فلسطين، عمر صالح برغوثي،خليل طوطح، ص 68.

[4] المفصل في تاريخ القدس، عارف العارف، ص 129.

هجرت القدس بعد كل هذه الأحداث هجرا طويلا ،ولم يبق فيها سوى الحماية الرمانية بجنودها و ضباطها. وبقيت خرابا حوالي ستين سنة ، وذلك لأن الرومان تنبهوا وأدركوا أن الفتن القلاقل في فلسطين كانت تنبعث دائما من مدينة القدس فحظروا على اليهود الرجوع إليها[1].

و لما تولى هارديان حكم الإمبراطورية الرومانية من سنة 117م إلى سنة 137 م، رأى أن لمدينة أورشليم المدمرة، مركزا جغرافيا ذا شأن، فأمر بتجديد عمرانها و بنائها و أطلق عليها اسم "إيليا كابتولينا"، و ازدهرت و عمرت من جديد[2].

وظل اليهود قابعين في أماكنهم دون أن يثوروا لمدة أربعين عاما ،ماعدا فئة منهم تمكنت من الرجوع إلى القدس بسبب ضعف الحامية الر ومانية،ولكن سرعان م ا أطفئت ثورتهم من لدن الحكم الروماني (لوقياس كويتوس)[3].

ونصٌّ مصدر آخر أن ازدهارها وإعادة إعمارها أطمعت اليهود ، فعاد الكثير منهم إلى القدس هذا من جهة،ومن جهة أخرى روح الأنفة والحمية التي دبّت فيهم ،جعلتهم يفكرون في الثورة على الحكم الروماني من جديد،[4] و إثر هذا عزم "أدريانوس"أن يقضى على الشعب اليهودي ، فعين أخا زوجته (أكيلا) واليا على المدينة ،وأمره بإعادة المدينة إلى سابق عهدها وعزها ، فحضر على اليهود الاختتان (الطهور) ،وقراءة التوراة و احترام السبت.وعزم على قلب مدينة القدس إلى مستعمرة رومانية[5].

---

[2] تاريخ فلسطين، عمر صالح برغوثي ،خليل طوطح، ص 71.

[2]عروبة فلسطين و القدس، أحمد عبد الغفور عطار، ص 72.

[3] المفصل في تاريخ القدس، عارف العارف، ص 131.

[4] عروبة فلسطين والقدس ، أحمد عبد الغفور عطار ،ص 72 .

[5]المفصل في تاريخ القدس ، عارف العارف ، ص132.

* هذا الاسم تعبير آرامي معناه (ابن الكوكب)، ادعى أنه المسيح المنتظر.

ويرى بعضهم أن هذا كان سببا من الأسباب التي جعلت "باركوخب"* يقود ثورة ضد الرومان حيث قام بتحفيز اليهود ليثوروا ضدهم (أي الرومان) لمدة ثلاث سنوات ،مما جعل (هدريان) يوفد إليهم قائده سفروس، فسحق هذا الأخير اليهود و قهرهم في معركة واحدة فقط[1].

و لما انهزم باركوخب و قتل على يد سفروس تنكَّر له اليهود و سمُّوه "باركوذيبا" و معناه: ابن الكذب بدل باركوخب، و كان القضاء على ثورة باركوخب سنة (135 م)، و جعل من القدس مدينة رومانية باسمها و بنوع الحياة التي تحياها، و محا كل أثر لليهود في القدس.[2]

أمست القدس خرابا مرة أخرى على عهد أدريانوس إذ أنه حصدها حصادا، و أصبحت قرية صغيرة تابعة لقيسارية من جميع النواحي الإدارية السياسية و الاقتصادي و الدينية و حضر على اليهود الرجوع إليها، و في عام 139م أي بعد مرور هأربعة سنوات على خراب أورشليم الثاني .[3] ،بنى الإمبراطور أدريانوس مدينة جديدة على أنقاض المدينة احتفالا على مرور واحد عشرون عاما على ارتقاه كرسي الملك[4].

و من خلال ما ذكر يمكن القول أن هذه كانت آخر محاولة غير مجدية لليهود في تحقيق سيطرتهم على القدس، أي عندما قام زعيمهم ب اركوخب بثورته ضد الرمان، إلا أن تدخُّل الإمبراطور(هادريان) حال دون تحقيق مساعيه في القدس و لم يبق لليهود بعدها أثر في القدس. بعدما دمرت كليا.

---

[1] تاريخ فلسطين، عمر صالح برغوثي،خليل طوطح، ص 71.

[2] عروبة فلسطين و القدس ، أحمد عبد الغفور عطار ، ص 73 .

[3] المفصل في تاريخ القدس، عارف العارف، ص 133.

[4] المفصل في تاريخ القدس، عارف العارف، ص 133.

وقد وصف ابن البطريق حالة المدينة بعد خرابها في ذلك الوقت بقوله:"و أمر الملك أن لا يسكن المدينة يهودي، وأن يسكن المدينة اليونانيون و أن تسمى باسم الملك إيلياء، فسكنها اليونانيون و بنو على باب الهيكل، الذي يقال له البهاء، برجا، و صيروا فوقه لوحا كبيرا و كتبوا اسم الملك إيلياء و ذلك في السنة الثامنة و الستين من ملكه[1].

[1] تاريخ بلاد الشام في العصور الإسلامية، إبراهيم بيضون، ص 247.

القدس في العهد البيزنطي:

شهد القرن الرابع ميلادي انشقاق الإمبراطورية الرومانية إلى قسمين: المملكة الغربية و عاصمتها روما و المملكة الشرقية وعاصمتها بيزنطية ،و هي التي كانت مسيطرة على فلسطين و بالتالي القدس[1].

و عندما مات مكسيمونس (314م) و تولى الإمبراطور قسطنطين الملك . [2] دخلت بذلك الإمبراطورية الرومانية مرحلة جديدة عرفت بالمرحلة البيزنطية. و قد اعتنق قسطنطين الديانة المسيحية و أصدر مرسوما بجعل الديانة المسيحية ديانة رسمية للإمبراطورية البيزنطية. و قد استطاع أسقف القدس إقناع الإمبراطور بضرورة الكشف عن قبر المسيح، وبذلك بدأت القدس تشهد تحولا في مكانتها دينيا و عمرانيا وهكذا حولت القدس من مدينة رومانية ذات أهمية ضئيلة للغاية إلى مدينة عظيمة من جديد كما كانت من قبل[3].

و لما دبّ الانحلال في جسم المملكة البيزنطية و عظم الخلاف بين رجال الدين الإكليروس *و الأريوسيوس*، استطاع الفرس الهجوم على سوريا و فلسطين سنة(616م) و اغتصبوها و أغراهم يهود العراق و سورية بلانتقام من المسيحيين فهدموا كنيسة القيامة التي بنتها الملكة هيلانة والدة قسطنطين، كما هدموا أيضا قسما كبيرا من القدس [4].

[1]تاريخ فلسطين،عمر الصالح البرغوتي، خليل طوطح،ص72.

[2]عروبة فلسطين و القدس، أحمد عبد الغفور عطار، ص 73.

[3]تاريخ القدس و حاضرها،غرت جرادات، ص 15.

*اكليروس: بعضهم قال أن المسيح دو طبيعة و مشيئة واحدة و بعضهم قال أن المسيح دو طبيعتين و مشيئتين الاهية إنسانية.

*الأريسيوس: قالوا أن المسيح ما هو إلا نبي كريم

[4]تاريخ فلسطين،عمر الصالح البرغوتي، خليل طوطح،ص72.

و لكن هرقل استطاع أن يسترد سيادة سوريا و فلسطين من يد الفرس، و حرر أورشليم، و استرد خشبة الصليب التي كانت قد أخذت من قبل الفرس، كما طرد من بقي من اليهود، و أمر أن لا يقتربوا من أورشليم و أمر أن يكونوا على بعد ثلاثة أميال منها[1].

كما قام قسطنطين بإعادة اسمها القديم إليها أي (أورشليم) . [2] وقد كانت سياسته مع اليهود كسياسة(هدريان)، فلم يسمح لهم بالعيش في القدس، و لكنهم كانوا يحجون إلى الحائط الغربي للهيكل، كما كان يسمح لهم بدخول موقع الهيكل للبكاء على خرابه مرة في السنة فقط[3].

و كان هذا مدعاة لبعضهم إلى اصطناع التنصر دون أكل لحم الخنزير، وامتنع آخرون عن التنصر فقتلوا، و من نجا من القتل غادر البلاد ، كما وضع قسطنطين قوانين عديدة لتنظيم الإدارة و الجيش، ففصل بين السلطتين ولم يسمح للحكام الإداريين بالتدخل في شؤون العسكرية ، و نظم أيضا الشؤون المالية و البلدية و الزراعية ووسع سلطات رجال الكهنوت.[4]

[1] عروبة فلسطين و القدس، أحمد عبد الغفور عطار، ص 74.

[2] قصة مدينة، يحيى فرحان، ص 21.

[3] تاريخ القدس عبر العصور، إسحاق رباح ، ص 131.

[4] المفصل في تاريخ القدس، عارف العارف، ص 140.

المبحث الثالث

القدس من الفتح الإسلامي

حتى

العهد الفاطمي و السلجوقي

القدس في ظل الحكم العربي الإسلامي (638-1516م):

ممَّا لا شك فيه أن العرب اهتموا بفلسطين عامة و بالقدس خاصة منذ العصور القديمة. فقد هبطها عرب البادية، قبل أن يهبطوا مصر و يؤسسوا فيها دولتهم المعروفة(بملوك الرعاة) و بعد خروجهم منها. و بالمثل فعلت القبائل اليمنية التي غادرت جزيرة العرب على اثر (سبيل العرم) حيث نزلت واستبطنت هذه البلاد بدورها و لطالما تغنى العرب بها[1].

ما كادت تنتهي المعركة الأساسية باندحار الجيوش البيزنطية حتى اتجهت الأنظار نحو القدس التي كانت فيها حاميه قوية، و باتت أكثر تحصينا بعد استعادت هرقل لها. خوفا من تكرار التجربة الفارسية التي هزت أركان النظام البيزنطي.[2]

و حدثنا التاريخ أن النبي صلى الله عليه و سلم لم يكتف بالتشجيع على فتح بيت المقدس فقط، بل قرن ذلك بالفعل و القول، و أنه حاول صلى الله عليه و سلم فتحها بنفسه في حياته ثلاث مرات فقط جهز في السنة الثانية للهجرة جيشا مكون من ثلاثة آلاف مقاتل. و أمر عليه زيد بن حارثة. ولكن هذا الجيش انكسر في موقعه مؤتة، ثم حاول فتحها مرة أخرى. و قاد بنفسه جيشا من ثلاثين ألف مقاتل و عشرة آلاف فرس من الخيل. متوجها نحو الروم،و عندما وصل تبوك بعث "علقمة بن مجزر المدلجي" إلى فلسطين، أما المرة الثالثة، فقد جهز في السنة الحادية عشر للهجرة جيشا أمر عليه أسامة بن زيد و لكنه توفي صلى الله عليه و سلم قبل أن يغادر جيش أسامة.[3]

ويذكر البلاذري في كتابه"فتوح البلدان" فيقول:"كانت أول واقعة واقعها المسلمون(الروم) في خلافة أبي بكر الصديق، أرض فلسطين... و كان محاصرا إيلياء مدينة القدس[4].

---

[1] المفصل في تاريخ القدس، عارف العارف،ص154.

[2] تاريخ بلاد الشام في العصور الإسلامية، إبراهيم بيضون،ص284

[3] المفصل في تاريخ القدس، عارف العارف، ص 156.

[4] فتوح البلدان، البلاذري، حققه و شرحه و علق على حواشيه و أعد فهارسه و قدم له عبد الله أنيس الطباع، مؤسسة المعارف للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، (1407هـ/ 1987 م) ص532

ويقول الواقدي في كتابه "فتوح الشام": حدثني ربيعة بن قيس قال: كنت في الجيش الذي وجهه أبوبكر الصديق مع عمر بن العاصي إلى فلسطين و إيليا ء ، وكان صاحب رايته سعيد ابن خالد قال: وبعث أبوا بكر مع كل جيش أميرا و هو يدعوا لهم بالنصر.... لقد بلغني أنَّ الصديق حال تفكيره فيمن يقدم الطليعة الجيش. فقال: فتقدم إليه سهل بن عمروا و عكرمة بن أبي جهل و هشام ابن حارث، و قالوا: اشهدوا أننا حبسنا أنفسنا في سبيل الله فلا نرجع عن القتال أبدا... دعا عمر ابن العاص فسلم إليه الراية و قال: قد وليتك على هذا الجيش... فانصرف إلى أرض فلسطين[1].

إلاَّ أنَّ أبو بكر الصديق قضي نحبه قبل أن يتم فتح فلسطين و شهدت خلافة عمر بن الخطاب أشد المراحل حسما في تقرير مصير فلسطين و بذلك القدس [2] . ومن الأحداث المهمة في تلك الفترة، معركة اليرموك التي كانت من المعارك الفاصلة التي قررت مصير فلسطين، و أزالت سيطرة الروم عن الشرق كله[3].

تردد أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه القائد العام للمسلمين في بلاد الشام، بين التوجه إلى القيسرية، أو الانطلاق نحو بيت المقدس. فجمع مجلس مشورته و سألهم أن يشيروا عليه بما يصنع و أين يتجه، فأشار عليه معاذ ابن جبل أن يكتب إلى أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضي الله عنه،فقال [4] و كان رد عمر رضي الله عنه كما يلي: بسم الله الرحمان الرحيم":

"من عبد الله عمر ابن الخطاب إلى عامله بالشام أبو عبيدة، أما بعد: فإني أحمد الله لا إله إلا هو،[5]

[1]فتوح الشام، عمر بن واقد الواقدي،دار الكتب العلمية، ظبط و تصحيح عبد اللطيف عبد الرحمان، بيروت، لبنان،ص13.

[2]تاريخ القدس و حاضرها، عرب جردات،ص 16.

[3] المفصل في تاريخ القدس، عارف العارف، ص 158.

[4] المجد المنيف للقدس الشريف، عبد الله نجيب سالم، ملتقى أهل الحديث، موقع شبكة رنيم: abo-omar///

[5] المفصل في تاريخ القدس ، عارف العارف ، ص 163

و أصلي على نبيه، و قد ولد على كتابك و فيه تشترينى في أي ناحية تتوجه إليها، وقد أشار ابن عم رسول الله صلى الله عليه و سلم(يقصد علي كرم الله وجهه) يسير إلى البيت المقدس، فإن الله يفتح على يديك و سلام عليك"[1].

و بدأ أبو عبيدة بالتخطيط و التحضير لفتح البيت المقدس و هو يعلم يقينا أنها ليست سهلت المنال، فدعا بخالد ابن الوليد، و عقد له راية على خمسة آلاف فارس من الخيل الزاحف، و سرحه من البيت المقدس. ثم دعا بيزيد بن أبي سفيان و عقد له راية على خمسة آلاف، و أ مره أن يلحق بخالد في اليوم الثاني لرحيل خالد. ثم دعا شرحبيل بن حسنة و عقد له الراية و ضم له خمسة آلاف فارس من أهل اليمن، و قال له: سر بمن معك حتى تقدم على بيت المقدس، و انزل بعسكرك عليها، و لا تخلط بعسكر من تقدم من قبلك ثم دعا بالمرقال ابن هاشم ابن غنية ابن أبي وقاس و ضم إليه خمسة آلاف فارس مع جمع من المسلمين و صرحه على إثر شرحبيل ابن حسنة [2].

و قال له: انزل على حصانها و أنت منعزل عن أصحابك. ثم عقد راية فسلمها للمسيب ابن نجية القراري وضمَّ إليه كذلك خمسة آلاف من النخع و غيرهم من القبائل ثم عقد الراية السادسة لقيس .

[3] ابن هبيرة المراضي، و سابعة لعروة ابن مهلهل ابن زياد الخيل و هكذا صار الأمراء السبعة في سبعة أيام متتالية بمجموع عددها خمسة و ثلاثون ألف. و كانت خطة أبي عبيدة إلقاء الرعب في قلوب الرومان.

ولما اقتربت جيوش المسلمين من البيت المقدس طار الخبر إلى القدس، فطارت القلوب من به [4]

[1]المفصل في تاريخ القدس ، عارف العارف ، ص 163.

[2] المرجع نفسه ، ص164.

[3]المجد المنيف للقدس الشريف ، عبد الله نجيب سالم .

[4] المرجع نفسه .

رعبا، و طاشت و خفقت أفئدتهم خوفا من جيش المسلمين و قد كان نزول جيش المسلمين على بيت المقدس في أيام الشتاء و البرد و ظنت الروم أن المسلمين لا يقدرون عليهم في ذلك الوقت . من السنة، ولم يزل أبو عبيدة ينازل الروم في البيت المقدس أربعة أشهر كاملة، و ما من يوم إلا و يقاتلهم قتالا شديدا ، و المسلمون صابرون على البرد و الثلج و المطر [1].

و لما اقتنع الروم أن لا طاقة لهم على حرب المسلمين تناجوا بينهم و أقروا على التسليم و طلبوا إلى جيش أبو عبيدة أن يصالحهم على صلح أهل مدن الشام و أن يكون المتولي للعقد خليفتهم،فكتب إليه وبذلك حظر عمر ابن الخطاب رضي الله عنه إلى الجابية و قدم عليه رسل إيلياء فتلقاهم المسلمون براية الأمان و صالحوهم على الجزية و أمنوهم على القدس و حيزها . [2]، وكان هذا سنة(15هـ/636م) . [3] ،نصَّت العهدة العمرية على ما يلي كما أوردها الطبري:

"بسم الله الرحمان الرحيم"هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان:

" أعطاهم أمانا لأنفسهم و أموالهم و كنائسهم و صلبانهم و سقيمها، و بريئها، و سائر ملتها. لا تسكن كنائسهم، و لا تهدم و لا تنقص منها لا يكرهون على دينهم، و لا يضار أحد منهم،و لا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود. و على أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطوا أهل المدائن و عليهم أن يخرجوا منها الروم و اللصوص ، فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه و ماله حتى يبلغوا مأمنهم. ومن أقام منهم فهو آمن، و عليه مثل على أهل إيلياء من الجزية ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه و ماله مع الروم ويخلي بيعهم و صلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم و على بيعهم [4]

[1] تاريخ القدس عبر العصور، إسحاق رابح، ص 153

[2] تاريخ فلسطين، عمر الصالح البرغوتي، خليل طوطح، ص91.

[3] قصة مدينة،يحي فرحان،ص 21.

[4] تاريخ الطبري تاريخ الأمم والملوك ، الطبري ، مج 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ،1417ه / 1997م ، ص 562 .

و صلبهم حتى يبلغوا مأمنهم و من كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان: فمن شاء منهم قعد و عليهم مثل ما على أهل إيلياء من جزية و من شاء سار مع الروم و من شاء رجع إلى أهله فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصدوا حصادهم. و على ما في هذا الكتاب عاهد الله و ذمة المؤمنين . إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية كتب سنة 15هـ شهد خالد ابن الوليد و عبد الرحمان ابن العوف ، و عمر ابن العاص، و معاوية ابن سفيان[2].

و غادر عمر ابن الخطاب رضي الله عنه القدس بعد عشرة أيام[3].

و بهذا كانت العهدة العمرية نقطة بداية لوجود الإسلام و المسلمين لأول مرة في القدس بعد ما احتلها الرومان لأكثر من مئتي عام رغم أن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه بقي في القدس لفترة قصيرة إلا أنه قام بعدة أعمال منها أنه ذهب إلى المسجد الأقصى وأزال بيده م ا كان على الصخرة من القاذورات، و بني مسجدا في الزاوية الجنوبية من ساحة الحرم. وبعد هذا، بدأت وفود كبيرة من الصحابة و التابعين تنزل بمدينة القدس[4].

و قيل أن يغادر عمر رضي الله عنه القدس أقام عليها يزيد ابن أبي سفيان ، على أن يأتمر بأوامر أبي عبيدة ابن الجراح. و انتدب للصلاة من بعده(سلامة ابن القيصر)[5].

---

[1] تاريخ الطبري، تاريخ الأمم و الملوك، الطبري، مج 1، دار الكتب العالمية، بيروت، لبنان، (1417 هـ/1997م)، ص 564.

[2] تاريخ الطبري تاريخ الأمم و الملوك، الطبري،ص 564.

[3] تاريخ القدس و حاضرها، عزة جردات، ص16.

[4] قصة مدينة، يحي فرحان، ص22.

[5] المفصل في تاريخ القدس، عارف العارف،ص179.

القدس في العهد الأموي:

وفي عهد الخليفة الراشدي الثالث عثمان ابن عفان رضي الله عنه أي عام (21هـ) للهجرة. كان معاوية ابن أبي سفيان رضي الله عنه وليا على فلسطين بما فيها مدينة القدس، و عندما أصبح خليفة للمسلمين ولي على القدس سلامة ابن القيصر الذي سكن في قصر هيرودوس الروماني[1].

و قد جاء في الطبري أنه في سنة الأربعين للهجرة بويع لمعاوية بني أبي سفيان بخلافة بايلياء، بينما يقول المسعودي أن معاوية بويع له سنة إحدى و أربعين في البيت المقدس، و إن الأهمية في ذلك أن المبيعات تمت في (البيت المقدس) لتحل المبيعات معنى دينيا و تطفي على القدس أهمية سياسية بالإضافة إلى مكانتها الدينية[2].

كان للقدس في عهد الأمويين أهمية خاصة حتى أن أكثر من خليفة أموي أخذت لهم البيعة القدس وتعاهد فيها معاوية وعمر بن العاص وفي النزاع بين الحسن بن علي ومعاوية تلقى معاوية بيعة الشاميين في بيت المقدس. وفي عهده كثرت الزيارات والحج إلى بيت المقدس وزاد عدد العرب فيها، كما زارها الناس من جنسيات مختلفة واتسع نشاطها التجاري[3].

ومن أعظم آثار بني أمية في القدس مسجد قبة الصخرة الذي بناه عبد الملك بن مروان سنة (72هـ/691م) كما أقام الوليد بن عبد الملك المسجد الأقصى بعد ذلك بسنوات قلائل (حوالي سنة 90هـ). كما قاموا ببناء قصور لهم اكتشفت آثارها حديثا في جنوب المسجد الأقصى وجنوبه الغربي[4].

كما تم تعبيد طريق رئيس بين الشام والقدس من أجل تسهيل سبل الزيارة إليها[5].

---

[1]المجد المنيف للقدس الشريف، عبد الله نجيب سالم.

[2]تاريخ القدس و حاضرها،عزت جرادات،ص16.

[3]تاريخ القدس عبر العصور، إسحاق رباح،ص 160.

[4]قصة مدينة، يحي فرحان،ص22.

[5]تاريخ القدس وحاضرها، عزّت جرادات،ص 16.

أما اليهود فلم يغير الأمويون القانون الذي وضعته روما في عهد الإمبراطور " هدريا نوس " والذي منع اليهود من الإقامة في القدس[1].

[1]وهيب أبي فاضل، موسوعة عالم التاريخ والحضارة نوبليس، ج8، الطبعة الثانية، 2005، ص102.

* في كتاب قصة مدينة زارها بين سنة (136هـ/158م).

القدس في العهد العباسي:

حظيت مدينة بين المقدس في العهد العباسي برعاية أكثر من غيرها من مدن بلاد الشام، وأول من تفرغ للنظر في شؤون بيت المقدس من العباسيين الخليفة أبو جعفر المنصور الذي زار مدينة القدس عام (141هـ)* بعد أن حج في عامه ذلك فرأى المسجد الأقصى وقد سقط شقه لشرقي والغربي بسبب زلزال ضربه أواخر عهد بني أمية (130هـ). فأمر بقلع الصفائح الذهبية والفضية التي كانت ملبسة على أبواب المسجد الأقصى منذ عهد بنائه الأول و ضربت نقودا و أنفقت على تعمير المسجد الأقصى[1].

ثم حدث زلزال آخر سنة (158هـ/884م) فوقع البناء الذي كان أمر به أبو جعفر المنصور، و كان هذا الزلزال شديدا، إلى درجة أنه أثر على جميع المباني في مدينة القدس . ولا سيما المسجد الأقصى حتى إن الناس امتنعوا عن الصلاة فيه مدة طويلة، ولما قدم المهدي من بعده كان المسجد خرابا فأمر ببنائه.[2] وقال: "رث هذا المسجد وطال وخلا من الرجال أنقصوا من طوله وزيدوا في عرضه" فتم البناء في خلافته (163هـ/780م).

ولما بويع محمد المهدي بن المنصور سنة (158هـ/775م) عمّر في أقصى الجنوب بالمسجد الأقصى قبة مزينة بالفصوص الذهبية الملونة يغلب على الظن أنها صنعت في فترة خلافته كما أمر بإبعاد بطريك أورشليم إلياس الثالث إلى بلاد الفرس [3] . لإساءاته وخطره ، وأمر بأن يسكن المسيحيون في حي واحد من أحياء القدس وأن تحصل منهم فدية على حسب شرط الوثيقة العمرية الأولى[4].

(*): في كتاب قصة مدينة زارها بين (136 هـ/158هـ).

[1] المجد المنيف للقدس الشريف، عبد الله نجيب سالم.

[2] المفصل في تاريخ القدس، عارف العارف،ص 206.

[3] المرجع نفسه، ص 207.

[4] المجد المنيف للقدس الشريف، عبد الله نجيب سالم.

و لما كانت خلافة هارون الرشيد تميزت علاقته بالنصارى بحسن الجوار والمجاملات فقد عاملهم معاملة حسنة فسمح للإمبراطور شارلمان بترميم الكنائس وبناء كنيسة العذراء حيث يقوم على آثارها كنيسة الدباغة وبجانبها دير يأوي إليه زوار اللاتين وفي سنة (796م) أهدى شارلمان ساعة وفيلا وأقمشة نفيسة ، و تعهد بحماية الحجاج المسيحيين الذين يأتون لزيارة القدس، كما كان شارلمان يرسل في كل سنة وفدا إلى القدس يحمل الهدايا إلى الخليفة والأموال لفقراء المسلمين وأرسل إليه الخليفة مفاتيح كنيسة القيامة والقبر المقدس[1].

وحدث أن شارلمان نجح في الحصول على تفويض من هارون الرشيد بحماية مسيحي فلسطين وتقديم التسهيلات اللازمة للحجاج اللاتين إلى الأراضي المقدسة كما منحه أيضا ملكية القبر المقدس الذي شيده الإمبراطور قسطنطين في القدس في أوائل القرن الرابع الميلادي ويزعم بعض المؤرخين أن بطريك بيت المقدس أرسل إلى شارلمان مفاتيح قبر السيد المسيح اعترافا ضمنيا بزعامته الروحية على العالم المسيحي[2].

وعلى الرغم من وقوع خلاف في الرأي بين المؤرخين عن مدى هذه العلاقات والصلات بين الرشيد و شارلمان وبطارقة القدس أو البابا، ومن تعدد الآراء حول أسباب ودوافع هذه العلاقات و لكن الواضح منها هو إظهار مدى التعاون و العلاقات الطيبة بين العالمين الإسلامي والمسيحي في ذلك الوقت، وإظهار مدى الاهتمام والرعاية الكبيرة من جميع الأطراف المعنية اتجاه مدينة القدس واعتبارها المكان المقدس للمسلمين والمسيحيين على حدّ سواء[3].

وقد عمّ الأمن مدينة القدس خاصة في العصور العباسية الزاهية ، كما زارها في تلك الفترة ذو النون المصري أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم الصالح فقال عنها: "وجدت على صخرة بيت المقدس كل .[4]

[1] المفصل في تاريخ القدس، عارف العارف،ص 207.

[2]تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى"، جوزيف نسيم يوسف، مؤسسات شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع الإسكندرية، 1988م، ص9-10.

[3] تاريخ القدس عبر العصور، إسحاق رباح، ص 170.

[4] المفصل في تاريخ القدس، عارف العارف، ص 210.

عاص مستوحش وكل طيع مستأنس وكل خائف هارب وكل راج طالب وكل قانع غني وكل محب ذليل وهذه الكلمات أصول ما استعبد الله به الخلق"[1].

وزار برنارد الحكيم القدس خلال القرن التاسع للميلاد فوصف القدس وما حولها من القرى قائلا: "إن المسلمين والمسيحيين فيها على تفاهم تام والأمن العام مستتب حتى أن المسافر ليلا يجب أن تكون بيده وثيقة تثبت هويته وإلا زج في السجن حتى يحقق في أمره ويتضح قصده وإذا سافرت من بلد إلى بلد ونفق جملي أو حماري وتركت أمتعتي مكانها وذهبت لاكتراء دابة من البلدة المجاورة عدت فوجدت كل شيء على حاله لم تمسه يد" كان ذلك عام (870م)[2].

كما زادت قدسية القدس في عهد الخلافة العباسية من خلال الأحاديث حول شد الرحال من قبل التابعين، ثم زادت هذه الأهمية المؤلفات الجغرافية من القرن الرابع الهجري التي تعظم بيت المقدس وفضائلها وفضل القدس والشام وحرمة الأماكن المقدسة[3].

---

[1]- عارف العارف، المفصل في تاريخ القدس، ص 210.

[2]- عارف العارف، المفصل في تاريخ القدس، ص 213.

[3]- إسحاق رباح، تاريخ القدس عبر العصور، ص 171.

لقدس في عهد الطولوني والإخشيدي:

دخلت القدس في حوزة الطو لونيين عندما بدأ الضعف يدبّ في السلطة المركزية ببغداد وكان ذلك سنة (265هـ-292هـ/ 878م-905م)[1].

وقد قيل أن النصارى قاسوا وعانوا الكثير في الفترة التي حكم فيها ابن طولون فقد قام بمنعهم من لبس الدروع وركوب الخيل أيضا[2].

انتهى حكم الدولة الطولونية في القدس سنة (292هـ/905م) بمقتل" أنعمه شيبان بن أحمد ".

ويتفق أغلب المؤرخين على أن القدس لم تكن من الأهمية بما كان على عهد الدولة الطولونية ولم تذكر إلا قليلا ،لأن البلاد كانت في حال حرب وما كانت القدس مهمة من الناحية الإستراتيجية إذ [3] . أنها لم تكن واقعة على الدرب بين مصر والشام. وقد احتل مكانها من هذه الناحية يومئذ المدن الساحلية وفي مقدمتها الرملة وما كان الناس ليقصدوا القدس يومئذ إلا لغايات دينية[4].

وتلا حكم الطولونيين للقدس حكم الإخشيديين وكان ذلك سنة (327-359هـ/393-969م) وقد كان للقدس منزلة خاصة عند الإخشيديين بدليل أن ملوكهم جميعا دفنوا فيها بناء على وصاياهم[5].

ومن هؤلاء الملوك الإخشيد الذي دفن في القدس سنة (334هـ/945م).

كما زارها خلال هذه الفترة من الزمن السائح الفارسي المشهور، ناصر خسرو ووصفها في كتابه (سفر نامة)[6].

---

[1] قصة مدينة، يحي فرحان،ص23.

[2] المفصل في تاريخ القدس، عارف العارف،ص 215.

[3] قصّة مدينة ، يحي فرحان ، ص 215.

[4] المرجع نفسه، ص216.

[5] قصة مدينة، يحي فرحان،ص23.

[6] سفر نامة ، ناصر خسرو، ص 67.

فقال عنها: "هي مدينة مشيدة على قمة الجبل ليس بها ماء غير الأمطار ورساتيقها ذات عيون وأما المدينة فليس بها عين، فإنها على رأس صخر وهي مدينة كبيرة ... وبها أسواق جميلة وأنيقة عالية وكل أرضها مبلطة بالحجارة وقد سووا الجهات الجبلية والمرتفعات وجعلها مسطحة بحيث تغسل الأرض كلها وتنظف حين تنزل الأمطار [1].

ودفن بها أنوجور بن الإخشيد سنة (349هـ/960م) ولما تولى الملك كافور الحكم سنة (355هـ/965م) كان في بيت المقدس وال يعرف بمحمد بن إسماعيل الصنهاجي وقد اضطهد هذا الأخير بطريك القدس عندما رفض أن يقابله فهجم عليه[2].

الوالي في أشياعه وأحرق أبواب كنيسة القيامة ،وأسقطت قبتها ونهبوا كنيسة صهيون وأحرقوها وقال ابن البطريق "وهدم اليهود وخرّبوا أكثر من المسلمين"[3].

وأحسن وصف للقدس في عهد الإخشيديين كان للرحالة العربي الإصطخري في كتابه مسالك الممالك حيث قال: " فلسطين أزكى بلدان الشام ومدينتها العظيمة الرملة وبيت المقدس يليها في الكبر وبيت المقدس مدينة مرتفعة على جبال يصعد إليها من كل مكان قصد من فلسطين وبها مسجد ليس في الإسلام مسجد أكبر منه. والبناء في زاوية من غربي المسجد يمتد على نحو نصف عرض المسجد والباقي من المسجد فارغ إلا موضع الصخرة ، فإن عليه حجرا مرتفعا مثل الدكَّة وفي وسط الحجر على الصخرة قبة عالية جدا وليس بيت المقدس ماء جار سوى عيون لا تتسع للزروع وهو أخصب بلدان فلسطين وفي مسجد بيت المقدس لكل واحد من عامة الأنبياء المعروفين، محراب معروف ويزرع في جبالها وسهولها أشجار الزيتون والتين والجميز والعنب، وسائر الفواكه أقل من ذلك"[4] .

---

[1]ناصر خسرو ، سفر نامة ، ترجمة يحي الخشاب ،ص 67.

[2]عارف العارف، المفصل في تاريخ القدس، ص 219.

[3]المرجع نفسه، ص 219.

[4]المرجع نفسه، ص 220.

القدس في العهد الفاطمي والسلجوقي:

لقد كانت المنطقة العربية المسلمة المحيطة ببيت المقدس أنداك تحكم من قبل دولتين ضعيفتين هزيلتين في أخريات أيامهما وهما: دولة العباسيين في بغداد التي نخر فيها السوس واستقلت عنها كثير من الولايات ونشأ تحت ظلالها العديد من الدول المبعثرة في الشام والعراق. ودولة الفاطميين في مصر في طورها الأخير[1].

ويمكننا القول أن مدينة القدس كانت محل تنازع وتبادل للسلطة بين هاتين الدولتين.

و حظي بيت المقدس في العهد الفاطمي بأهمية بالغة وأجمل وصف للقدس في تلك الفترة كان للمقدسي في كتابه (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) الذي وضعه في عهد المعز بالله سنة (365-386هـ) قائلا: "بنيانها حجر لا ترى أحسن منه ولا أتقن من بنائها ولا أطيب من العيش بها ولا أنظف من أسواقها ولا أكبر من مسجدها .... [2].

وأهم الأحداث التي حدثت في هذه الفترة أي (العهد الفاطمي) لمدينة القدس كان أثناء حكم الحاكم بأمر الله (386هـ/996م). وهو الخليفة الفاطمي السادس وابن العزيز بالله بن المعز لدين الله[3].

وأمه كانت جارية رومية نصرانية من طائفة الروم الملكية وقد كان لها نفوذ عظيم على الدولة حتى إن العزيز انتدب أخاها (أريسطيس) بطريقا للملكية ببيت المقدس (375هـ/985م) وكان لهذه المصاهرة أثرها حينا من الدهر في سياسة العزيز نحو النصارى من حيث التسامح الواضح والعطف الشديد[4].

[1] المجد المنيف للقدس الشريف، عبد الله نجيب سالم.

[2] أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر المقدسي، علق عليه ووضع حواشيه محمد أمين الضاوي منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية لبنان، ص144.

[3] موسوعة عالم التاريخ والحضارة، وهيب أبي فاضل، ص124.

[4] المفصل في تاريخ القدس، عارف العارف،ص 224.

وبالعودة إلى الحاكم بأمر الله ، تذكر بعض المصادر التاريخية أنه فرض قيودا صارمة على أهل الذمة من النصارى واليهود وفي سنة (398هـ/1009م) أوجب على النصارى متى دخلوا الحمامات العامة أن يجعلوا في أعناقهم صلبانا زنة الواحد منها خمسة أرطال (نحو كيلوغرامين) على أن يرسلوها متدلية على صدورهم ورتب على اليهود – مثل ذلك – على أن يجعلوا في أعناقهم إطارا من الخشب بالوزن نفسه شدّت إليه الأجراس المج لجلة،وأرغم اليهود والنصارى على لبس السواد ومنعهم أن يركبوا إلا الحمير [1].

"وأمرهم أن يلبسوا السواد شعار العباسيين واحتقارا لهم"[2].

وقد أمر وفي نفس السنة أي (398هـ) بهدم كنيسة القيامة وغيرها من الكنائس وأوقع بالمسيحية شتى أنواع الاضطهاد[3].

ويذكر المؤرخون سببين كانا وراء أمر الحاكم بأمر الله بهدم كنيسة القيامة أحدهما: ما وصل إلى علمه من الصلوات والأدعية الدينية والشعائر التي اعتبرت شبيهة بالوثنية وما يتبعها من مواكب دينية صاخبة يضج فيه النصارى بالصلوات والأدعية ويرفعون الصلبان الضخمة ولاسيما في أيام الفصح وفي عيد الشعانين.

وقيل أيضا: "إن راهبا قبطيا يدعى يونس نقم على البطريك "زخاريا" لأنه لم يرسّمه أسقفا فتقدم إلى الحاكم ووصف له ما يتمتع به الأحبار النصارى من النفوذ والجاه ، ومظاهر السلطان والعظمة والثراء وكونهم يبيعون المناصب الكنسية وراح يعدد أمام الحاكم ما كان وما لم يكن من العيوب والمقالب التي أثارت سخطه فأصدر أمره بهدم الكنائس ومطاردة النصارى"[4].

---

[1]تاريخ القدس عبر العصور، إسحاق رباح،ص 179.

[2]تاريخ فلسطين،عمر الصالح البرغوثي خليل طوطح، ص 179.

[3]قصة مدينة، يحي فرحان،ص23.

[4]المفصل في تاريخ القدس، عارف العارف، ص 226.

ويبدو أن هذه الشدة التي استعملها الحاكم بأمر الله مع النصارى واليهود، قد أحدثت أثرا سيئا في البلاد، فراح النصارى واليهود يفرون منها إلى الخارج ولهذا عاد وألغى سنة (411هـ/1020م) معظم القوانين والأوامر وأطلق للنصارى واليهود الحرية للقيام بشعائرهم الدينية كما يشاءون، وسمح للنصارى بتجديد ما هدم من كنائسهم وبيعهم وأديارهم ورد لهم ما أخذه منهم كما سمح للذميين الذين دخلوا في دين الإسلام كرها أن يرتدوا ويعودوا إلى دينهم الأصلي فارتد كثيرون [1]، ومن الأمور الدالة على ندم هـ أيضا أنه بعمارة كنيسة القيامة وغيرها من الكنائس على نفقته الخاصة [2]. ولكنه قضى قبل أن تعمر وقد أعيد بناؤها في عهد المستنصر بالله[3].

وتولى الخلافة الفاطمية الظاهر لإعزاز دين الله بعد أبيه الحاكم بأمر الله ومن أهم الأحداث التي وقعت في القدس على عهده، أن النصارى تمتعوا بحريتهم الدينية لدرجة كبيرة كما أعاد بناء كنيسة القيامة ، وقد تمَّ ذلك عملا بالهدنة التي عقدت مع الروم (418هـ/1027م) إذ أعاد الروم بناء جامع القسطنطينية ، وأعاد هو بناء كنيسة القيامة . وقد قال الأنطاكي إن الظاهر شرع في بناء سور القدس وخرب المتولون لعمله كنائس كثيرة في ظاهر المدينة ، وأخذوا حجارتها إلى الأسوار . وفي خلافة الحاكم بأمر الله الفاطمي زلزلت الأرض عام (407هـ/1016م) ، فسقطت على إثرها بعض أجزاء القبة الكبيرة في مسجد الصخرة ، وقسم كبير من سور الحرم فرمّمت في خلافة ولده الظاهر لإعزاز دين الله (413هـ/1022م) . كما قام بإصلاح القبة القديمة ، وضرب عليها قبة أخرى من الخشب لتقيها من عبث الأمطار وتأثير الأجواء ، وعلى عهده أيضا كثرت الزلازل فانثلم سور القدس وانشقت الصخرة وكان هذا سنة (460هـ/1067م).[4]

---

[1] المفصل في تاريخ القدس، عارف العارف،ص 226.

[2] تاريخ فلسطين، عمر الصالح البرغوثي ، خليل طوطح، ص 153.

[3] المفصل في تاريخ القدس، عارف العارف،ص 226.

[4] المرجع نفسه،ص 229.

وقيل أنه عندما تولى المنتصر بالله الخلافة هادن ملك الروم، على أنه يطلق خمسة آلاف أسير، ليتمكن من عمارة كنيسة (القيامة) التي كان قد خرّبها جده الحاكم، فأطلق الأسرى، وأخرج ملك الرومان أموالا عظيمة والذي يظهر هنا أن تخريبها لم يكن تخريبا كليا.

وتنصُّ بعض المصنفات التاريخية أن العلاقات الفاطمية البيزنطية تحسنت بعد تولي (السلطان الظاهر)الحكم، حيث جرت مفاوضات بين الطرفين ولكنها عادت وتدهورت ثانية بعد تسع سنوات، ومن الإشارات التي دلّت على تحسن أوضاع القدس في العهد الفاطمي:

1) وجود وقف خاص لزوار بيت المقدس (نقش مؤرخ سنة 445هـ/1053م).
2) وجود مساكن المسلمين إلى جانب المسيحيين ودون تغير.
3) تغيرت أحياء السكن بعد إنشاء حي البطرك، فظهر حي خاص بالنصارى.
4) دعم الفاطميون نصارى القدس لتحصين سورها وبدعم من البيزنطيين[1].
5) تمويل البيزنطيين لنصارى القدس لإعمار وتحصين السور المخصص بحي النصارى سنة (1063م)، ثم وضع الحي كله تحت سلطة البطرك وعرف باسم (ربع البطرك).
6) أهدى الخليفة الفاطمي المستنصر قبيل العهد التركماني قطعة أرض في حارة النصارى للتجار الأوروبيين[2].
7) بنى التجار الأوروبيون دير القديسة (ماري) اللاتينية ودير الراهبات (دير القديسة مريم المجدلية) ومستشفى القديس يوحنا.
8) وفي سنة (425هـ/1034م) كثرت الزلازل بالشام، فسقطت بعض جدران بيت المقدس، ووقع من محراب داود قطعة كبيرة ومن مسجد إبراهيم الخليل (عليه الصلاة والسلام) قطعة[3].

[1] إسحاق رباح، تاريخ القدس عبر العصور، ص 180.
[2] المرجع نفسه، ص 181.
[3] الأنس الجليل في تاريخ القدس و الخليل، مجير الدين الحنبلي، مج 2، تحقيق عدنان يوسف عبد المجيد نباته، مكتبة دنديس، عمان، (1420هـ/1999م) ص 167.

9) وفي سنة (452هـ/1061م) سقط تنور قبة الصخرة ببيت المقدس، وفيه خمسمائة قنديل، فتطير المقيمون به من المسلمين، وقالوا: ليكون في الإسلام حادث عظيم، فكان أخذ الإفرنج له.

10) وفي سنة (460هـ/1069م) كانت زلزلة بأرض فلسطين فانشقت صخرة بيت المقدس ثم عادت فالتأمت بقدرة الله.

11) وفي سنة (463هـ/1069م) في لأيام المستنصر بالله العبيدي خليفة مصر استولى على القدس والرملة (استرين أوق الخوارزمي صاحب دمشق)[1].

وفي سنة (465هـ/1073م) أقيمت الدعوة العباسية ببيت المقدس، وقطعت دعوة الفاطميين، ثم استولى استز على دمشق بعد استيلائه على القدس والرملة وقطع الخطبة العلوية من دمشق وأقام الخطبة العباسية ولمّا قتل ا ستز سنة (471هـ/1079) استولى بعده تاج الدولة الأمير (تتش بن السلطان ألب أرسلان السلجوقي) وكانت القدس من مضافاته فقلدها للأمير أرتق بن أكسك التركماني واستمر مالكا لها إلى أن توفي سنة (484 هـ/ 1091م) و استمر أمر القدس بيدي ولديه (أبلغازي وسقمان ابني رائق) إلى أن قتل تتش صاحب دمشق سنة (488هـ/1095م) ثم سرار الأفضل بن يدر الجمالي أمير الجيوش من مصر بعسكر الخليفة العلوي وهو المستعلي بأمر الله فاستولى على القدس بالأمان في شعبان سنة (489هـ/1096م)[2].

وتناول المؤرخ ابن الأثير الأحوال السياسية لمدينة القدس في العهد السلجوقي فقال: بيت المقدس كان لتاج الدولة تتش، وأقطعه للأمير سقمان بن أرتق التركماني فلما ظفر الفرنج (الصليبيون) بالأتراك –السلاجقة–على أنطاكية وقتلوا فيهم ضعفوا وتفرقوا – أي السلاجقة الأتراك – فلما رأى المصريون – يقصد الفاطميين – ضعف الأتراك ساروا إليهم ومقدمتهم الأفضل بن بدر الجمالي وحاصروه – بيت المقدس – وبه الأمير سقمان، وإيلغازي ابنا أرتق، وابن عمهما سونج "[3]،

---

[1] "الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل"، مجير الدين الحنبلي، ص167.

[2] المرجع نفسه، ص264.

[3] "الكامل في التاريخ"، ابن الأثير،مج 10، دار صادر، بيروت ص 280.

"وابن أخيهما ياقوتي، ونصبوا عليه نيفا وأربعين منجنيقا. فهدموا مواضع من سوره، وقاتلهم أهل البلد، فدام القتال والحصار نيفا وأربعين يوما، وملكوه بالأمان في شعبان سنة تسع وثمانين وأربعمائة. كما قتل الفرنج بالمسجد الأقصى ما يزيد على سبعين ألفا منهم جماعة كثيرة من أئمة المسلمين وعلمائهم وعبادهم وزهادهم ممن فارق الأوطان وجاور بذلك الموضع الشريف "[1]. وأخرج الفاطميون الأمراء السلاجقة من بيت المقدس وضموه إلى ممتلكاتهم.

وحدث أن ألب أرسلان السلجوقي استولى على القدس والرملة سنة (465هـ/1072م) وأخذتها من خلفاء مصر الفاطميين وبذلك دخلت القدس في العهد السلجوقي ولما مات ألب أرسلان تولى الملك ولده جلال الدولة أبو الفتح محمد ملك شاه، وفي عهده ثار المقدسيون على حاكمهم (470هـ/1077م) فأرسل جيشا بقيادة قائده (أتسز بن أوق) الخوارزمي فحاصر المدينة وكان فيها عسكر مصري ففتحها عنوة ونهبها وقتل أهلها حتى إنه لم ينج منهم من احتمى بالمسجد الأقصى ولكنه كف عمن عاد بالصخرة[2].

وجاء في التاريخ أيضا أنه عندما أغار على القدس قتل من سكانها ثلاثة آلاف إنسان ونهب أموالهم وسبى نسائهم واستعبد أحرارهم.

ومن عمّال ملك شاه الذين تولوا إدارة القدس الأمير (ارتق بن أكسك) التركماني الذي استولى بدوره على القدس بحد السيف وأسس فيها دولة عرفت بدولة الأرتقيين سنة (470هـ/1077م) ولما توفي ارتق حكم القدس ولداه (ألغازي) وسقمان.

وهناك مصادر أخرى ذكرت أنَّ السلطان ملك شاه كان – قبل موته – قد أقطع أخاه تاج الدولة الأمير (تتش بن السلطان ألب أرسلان مدينة بيت المقدس وغيرها عام 486هـ/1093م)[3]

[1] "الكامل في التاريخ"، ابن الأثير،مج 10، دار صادر، بيروت (ص282-283).

[2] تاريخ فلسطين، عمر الصالح البرغوثي، خليل طوطح، ص 157.

[3] المفصّل في تاريخ القدس ، عارف العارف ، ص242.

ولكنه لم يهنأ بها كثيرا ، إذ ما كادت سنة (489هـ/1095م) تهل حتى جاء الأفضل أمير الجيوش من مصر إلى القدس يسعى لتخليصها من الأرتقيين فسار إليها على رأس جيش جرار وكان بها [1]. أنداك الأخوان سقمان بن ارتق وألغازي وابن عمهما سونج فحاصر القدس ونصب عليها المنجنيق وقاتلهم أربعين يوما وأرسل أهل القدس من يفاوضه وطلبوا منه الأمان فأمنهم وفتحوا له الباب[2].

وقد كانت بيت المقدس مهوى القلوب منذ القدم ،وعلى مفترق طرق القوافل ومقصدا من مقاصد كل رحالة ومن بين هؤلاء الرحالة محمد بن أحمد المقدسي الذي قال عنها : "ليس في مدائن الكور (الاقليم) أكبر منها لا شديدة البرد وليس بها حرّ وقلّما يقع بها ثلج جمع الله فيها فواكه الأغوار والسهل والجبال والأشياء المتضادة كالأترج واللوز والرطب والجوز والتين والموز بنيانهم حجر لا ترى أحسن منه ولا أتقن من بناءها ولا أعف من أهلها ولا أطيب من العيش بها ولا أنظف من أسواقها ولا أكبر من مسجدها ولا أكثر من مشاهدتها فيها كل حاذق وطيب وإليها قلب كل حبيب ولا تخلوا كل يوم من غريب عليها حصن بعضه على جبل وعلى بقيته خندق ولها ثمانية أبواب" باب صهيون وباب التيه وباب البلاط وباب أرميا ، باب سلوان، باب أريحا، باب العمود، وباب محراب داود. والماء بها واسع قل دار ليس بها صهريج وأكثر وبها ثلاث برك عظيمة "بركة بني إسرائيل، بركة سليمان، بركة عياض. حماماتهم لها دواع من الأزقة وفي المسجد عشرون جبا متبحرة وقل حارة إلا وفيها جب مسبل غير أن مياهها من الأزقة وقد عمد إلى واد فجعل بركتان يجتمع إليهما السيول في الشتاء وشق منهما قناة إلى البلد تدخل وقت الربيع فتملأ صهاريج الجامع وغيرها" [3].

---

[1] المفصل في تاريخ القدس، عارف العارف، ص 242.

[2] المرجع نفسه ، ص 242.

[3] أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، المقدسي، ص 144.

وهناك وصف آخر لمدينة القدس على عهد الفاطميين للرحالة الفارسي ناصر خسرو في كتابه (سفر نامة) (ت 450هـ) و الذي وصفها وصفا دقيقا فقال: "دخلت بيت المقدس في اليوم الخامس من شهر رمضان سنة (438هـ/1047م) .... إن السكان السوريين وسكان البلاد المجاورة يسمون هذه المدينة (بيت المقدس) أو (البيت المقدس) ويسمونها أيضا (القدس) إن القرى والأرياف[1]. الكائنة حول بيت المقدس واقعة على سفوح الجبال والأراضي مزروعة زرعا جيدا ينبت فيها القمح والتين والزيتون.كما بنيت فيها أنواع كثيرة من الأشجار ورغم أنه لا يوجد بالقرب منها عيون جارية، فإن الخصاب في زروعها كثير الوقوع .[2] ..... والقدس مدينة قائمة على تلال تعيش على مياه الأمطار ليس بها أشجار إذ إنها مبنية على الصخر ..." كما يقول أيضا:

"القدس مدينة عظيمة جدا .... فيها أبنية عالية وأسواق جميلة ومبنية بناء متقنا ونظيفة أسواقها كلها مرصوصة بالبلاط ولقد أزالوا التلال والمرتفعات فجعلوها منبسطة بحيث يتمكنون من تنظيف المكان كله بسهولة كلما هطل المطر .... وعلى بعد نصف فوسخ من المدينة إلى الجنوب وفي أسفل الوادي تجد عينا من الماء تنبع من الصخرة وتسمى (عين سلوان) وحول العين أبنية عديدة والماء يجري بانحدار من تلك العين إلى القرية حيث يقوم عدد كبير من المنازل والبساتين .....[3].

[1] سفر نامة، ناصر خسرو، ترجمة يحيى خشاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية، 1993 م، ص 67

[2] سفر نامة، ناصر خسرو، ص 67.

[3] المرجع نفسه، ص 68.

المبحث الرابع

القدس من الغزو الصليبي

حتى

العهد العباسي

القدس والحروب الصليبية:

توالت على فلسطين بعامة والقدس بخاصة حملات شرسة لنزع سيادة أهاليها وسط هيمنتهم عليها فكان من ذلك الحملات الصليبية.

وقد أطلقت هذه التسمية على الحملات التي وجهها المسيحيون الأوروبيون إلى الشرق الإسلامي ابتداء من القرن الخامس إلى القرن السابع الهجري (الحادي عشر إلى الثالث عشر ميلادي) لغرض الاستيلاء ظاهرا على بيت المقدس من أيدي المسلمين وتمتاز هذه الحروب بتداخل عواملها الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية على الرغم من رفع راية الصليب كعنوان لها حتى جاءت التسمية منسوبة للصليب (الحروب الصليبية)[1].

ويرى بعض المؤرخين أن بطرس الناسك هو المسئول الأول عن هذه الحروب وحجتهم في ذلك أنه ذهب للحج إلى بيت المقدس قبيل هذه الحرب ببضع سنوات حيث التقى ببطريق[2].

"هذه المدينة الذي حدثه عما يقايسه الحجاج إلى الأراضي المقدسة على أيدي السلاجقة وسلمه البطريق رسالة للبابا يطلب فيها النجدة والمساعدة" [3].

ويبدو أن آراء المؤرخين قد تعددت حول أسباب وقوع هذه الحرب وكان من أهمها:

- ظهور السلاجقة في بلاد التي انتزعوها من الدولة البيزنطية (أواخر القرن الخامس الهجري – الحادي عشر الميلادي) في الأناضول وآسيا الصغرى، هدد العاصمة البيزنطية (القسطنطينية)[4]

---

[1]تاريخ القدس عبر العصور، إسحاق رباح،ص 182.

[2]دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، جوزيف نسيم يوسف، مؤسسة شباب الجامعة الاسكندرية 1988م، ص20.

[3]المرجع نفسه، ص21.

[4] تاريخ القدس عبر العصور، إسحاق رباح، ص 182.

- ثم جاء انتزاعهم بيت المقدس من الفاطميين عام(471هـ/1078م) الأمر الذي اقتضى وقت قدوم الحجاج المسيحيين إلى الأماكن المقدسة في الشرق.
- ولشدة تعلق الصليبيين بالحج وجهلهم لأمور الدين في العصور الوسطى اعتقدوا أن الحج إلى بيت المقدس يؤدي إلى الغفران والسعادة الأبدية وقد اعتبروا أن أعظم الثواب قتال المسلمين وتخليص الأماكن المقدسة منهم[1].

ودكرت المصادر التاريخية أن هذه الحرب ظهرت لعامة شعوب أوروبا بمظهر ديني ، فقد أشاعوا أن السلجوقيين أهانوا الحجاج المسيحيين واعتدوا عليهم ،غير أنَّ التاريخ العربي لم يرو هذا الخبر قطعا ، بل ذكرت أنَّ المسيحيين كانوا ينعمون بحريتهم مثل المسلمين ، وما كان يقترفه بعض الملوك مثل الحاكم بأمر الله الفاطمي من الجور والظلم كان يشمل المسلمين والمسيحيين على السواء[2].

وما يؤكد هذا الأمر الرسالة التي بعث بها "ثيودوسيوس" بطريق بيت المقدس عام (256هـ/869م) إلى زميله" أجناي توس" بطريق القسطنطينية "وفيها يؤكد رضاه عن معاملة المسلمين للمسيحيين وتسامحهم التام فقد كانوا يصرحون للمسيحيين ببناء ما يرغبون من الكنائس بغير اعتراض أو مضايقة أما فترات تعرض المسيحيين لبعض الضبط أو الاضطهاد أحيانا فقد كانت حالات فردية لا تسمو إلى مرتبة الحرص الإسلامي على التسامح التام مع المسيحيين واليهود ولكن الاضطهاد كان يأتي من جانب بعض الأباطرة الذين أرغموا غير المسيحيين على الدخول في المسيحية[3].

---

[1]تاريخ القدس عبر العصور، إسحاق رباح،ص 182.

[2] تاريخ فلسطين، عمر الصالح البرغوثي خليل طوطح، ص 159.

[3]تاريخ الحروب الصليبية في مصر والشام، محمود السيد،مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية 2002م، ص13.

بالعودة إلى الراهب الفرنسي (بطرس الناسك) الذي زار القدس عام (1093م)، و راح يدعوا الناس لإنقاذ المسيحيين في الأرض المقدسة من العبودية وانتشرت الفكرة بمساعدي البابا الذي خطب معلنا ضرورة [1] . إنقاذ ضريح السيد المسيح من أيدي الكفار ومنحهم غفرانا تاما من جميع ذنوبهم ما تقدم منها وما تأخر ووعد الذين يموتون فيها جنات الخلد (1095م) كما أعفاهم من دفع الضرائب فهل حقا كان المسيحيون مضطهدين في ذلك الحين.

وقال (سيد أمير علي في هذا الشأن: "أما مناصب الدولة فكانت مفتوحة أبوابها أمامهم دون تفرقة بينهم وبين المسلمين، باستثناء أيام الحكام المتعصبين وكانت الكنائس والأديرة المسيحية قائمة في كل مكان وكان الحجاج المسيحيون يؤمون القدس من كل حدب وصوب بسلام آمنين ولم يت يسر لهم ذلك إلا بفضل احتلال العرب لتلك البلاد وفي بيت المقدس الذي يحترمه معتنقوا الديانة المسيحية والإسلامية خصص حي كامل لسكن البطريق والكهنة (1063هـ/1110م)[2].

ولكن بعض المهووسين من الحجاج المسيحيين كانوا ي غلون في التظلّم، كما كانوا ينظرون إلى بقاء المسلمين في القدس بعين البغض والاستنكار ، وكانوا يعودون إلى بلادهم وقلوبهم مملوءة بالحسد والحقد.

وعندما وصف المقدسي (بيت المقدس) أثناء رحلته إليها قال: "حيثما ذهبت وجدت اليهود والنصارى أصحاب الكلمة العليا" والمعروف عن المقدسي أنه زار القدس قبل الحروب الصليبية وكان ذلك سنة [3]

---

[1] المفصل في تاريخ القدس، عارف العارف، ص 245.

[2] المفصل في تاريخ القدس، عارف العارف،ص245.

[3] المرجع نفسه ، ص 246.

(985هـ/1093م) وهذه الرواية تدل على أن النصارى كانوا يومئذ معززين غير مضطهدين،

و هذا يناقض السبب الذي اختلق بعدئذ لأجل القيام بالحملة الصليبية على بيت المقدس. ولقد أيّد هذه الرواية .[1] (غاي لوستريبخ) فقال: "يجدر بنا أن نعترف أن المسيحيين لم يكونوا مضطهدين ذلك الاضطهاد الذي اتخذوه سببا لحملاتهم الصليبية."[2]

يمكننا القول من خلال هذا الكلام أنَّ ال هدف الديني المعلن كان افتراءا مزيَّفا، لأنَّ المسلمين لم يضطهدوا الحجاج المسيحيين وهذا الادعاء كان تغطية مكشوفة لدوافع أخرى.

ويذكر المؤرخ الفرنسي (مكسيموس موند) ما يأتي : "عقد البابا أوربانوس الثاني الاجتماع الأول لأجل ترتيب الحملة الصليبية في مدينة (بلاصانس)،حيث اجتمع ما يزيد على مائتي أسقف و رئيس أساقفة و أربعة آلاف إكليركي و ثلاثين ألفا من العلمانيين المنتمين إلى مختلف الأقطار و الأمصار.اجتمع هؤلاء في الهواء الطلق في مكان فسيح خارج المدينة فقرروا إرسال حملة صليبية إلى أورشليم، ليأخذوا قبر المسيح من أيدي المسلمين" . و لكن الاجتماع الأول لم ينجح ، فقد انعقد آخر سنة (1095م) في مدينة كليرمون، و كان الفصل شتاء و البرد قارصا. خطب البابا و خطب بطرس الناسك. فادعى :أنه شاهد المسيحيين مثقلين بالسلاسل الحديدية، يعاملون معاملة الأسرى و العبيد . و أنه رأى قبر المسيح مهانا، وزواره مضطهدين من قبل أعداء الله و البشر[3].

---

[1] المفصل في تاريخ القدس ، عارف العارف ، 245 .

[2] المرجع نفسه، ص 246.

[3] المرجع نفسه ،ص 248.

لقد دخل الصليبيون فلسطين عن طريق الساحل، فمروا بعكا و قيسارية من دون قتال بسبب عدم تعرض هاتين المدينتين لهم، و هرب سكان الرملة فدخلها الصليبيون و هي خالية منهم. أما بيت لحم، فقد استقبلهم سكانها المسيحيون بالترحاب . و استمر الصليبيون في سيرهم نحو بيت المقدس، و وقفوا أمام أسوار المدينة المقدسة مساء السابع من تموز /يوليو 1099م.[1]

و إذا أردنا أن نعرف اتساع الحملة الصليبية التي استولت أخيرا على بيت المقدس فإن الذهبي في سير أعلام النبلاء ينقل عن يوسف بن الجوزي قوله:" سارت الفرنج و مقدمتهم –أي ملكهم– جندفري في ألف ألف مليون إنسان– منهم خمسمائة ألف مقاتل–جندي محترف– و هذا ولا شك عدد ضخم منه جزء كبير كان من بر الروم. و قد انطلقت طلائعهم من أوربة بحرا إلى بحر القسطنطينية، فاستولوا على بعض المدن من الروم بالقهر ابتداءا ثم بالاتفاق أخيرا."[2]

لقد هرعت الجموع للاشتراك في هذه الحرب . فريق منهم محارب . و آخرون فلاحون التحقوا بالحملة على أمل الغنم، سواء من الناحية المادية أو المعنوية، رجال و نساء . قسس و رهبان، مشاة، و راكبين، مدججين، بالدروع و السيوف و الرماح.[3]

و الظاهر من خلال هذا الكلام أن هذه الحرب أو هذه الحملة الشرسة، كانت بعيدة كل البعد عن النظام، بل كانت حملة عشواء، و لكن بأهداف محددة من أعداء الإسلام و المسلمين.

---

[2]تاريخ القدس عبر العصور، إسحاق رباح،ص 186.

[2]سير أعلام النبلاء، شمس الدينالذهبي،السيد حسين العفاني ، سعيد خيري ، المكتبة التوقيفية ، القاهرة ،د ت ، ص 432 .

[3] المفصل في تاريخ القدس ، عارف العارف ، ص242 .

و بعد قتال عنيف استولى الفرنجة على أنطاكية سنة (491هـ/1096م) و منها انحدروا إلى المدن الساحلية كطرابلس و بيروت و صيدا و صور و عكا و يافا مجدين في سيرهم مصممين على فتح

بيت المقدس[1]. فلما عرف الفاطميون بقدومهم و رأوا الخطر المحدق بهم طلبوا مصالحتهم على شرط أن يسهلوا الطرق لمن أراد زيارة القدس من المسيحيين، فرفض الفرنجة و قصدوا الرملة، فذهب إليهم نفر من أهالي بيت لحم و رحبوا بهم و حثوهم على قتال الفاطميين. فصعدوا من الساحل إلى القدس و كان عددهم أربعين ألف مقاتل.[2]

استعد افتخار الدولة الفاطمي حاكم المدينة (القدس) للقتال بكل الوسائل الممكنة، فطمر الآبار خارج المدينة، و دعم الأسوار بأكياس القطن و الدريس، و وزع عليها حامية المدينة من الجند العرب و السودانيين، و أبقى على اليهود داخل المدينة و أخرج المسيحيين منها، و كان ذلك لأنهم ما كانوا ليحملوا السلاح لقتال المسيحيين مثلهم، فضلا عن ضرورة توفير المؤن للمقاتلين. و أحاط الصليبيون بأقرب القطاعات و البوابات، و كان على رأس كل جماعة أمير، بقيادة (غودفري دي بويون) أمير مقاطعة اللورين.[3]

و هناك إشارات دلَّت أن الصليبيين عانوا صعوبات شديدة منها:

- "قلة الماء لأنهم كانوا ينقلونه من البيرة و عين كارم و لفتا.
- نفاذ الذخيرة فقد عانى الجند من الجوع و العطش .[4]

[1] تاريخ فلسطين ، عمر الصالح البرغوثي ، خليل طوطح ، 161

[2] تاريخ الحملة إلى القدس، فوشيه الشارتري،ص73-74-75.

[3] المفصل في تاريخ القدس، عارف العارف،ص 242.

[4] تاريخ فلسطين ، عمر الصالح البرغوثي ، خليل طوطح ، ص 162 .

- قلة لوازم الحصار من أخشاب و أدوات أخرى. فهم لم يحضروا معهم شيئا، و كانت البلاد قاحلة و الأحراش بعيدة عن القدس، و لولا قدوم السفن الإيطالية التي كان معها كثير من الأخشاب لما قدروا على بناء الأبراج و لما استطاعوا تسلق جدران المدينة."[1]

و لكنهم ذللوا كل هذه الصعوبات و حاصروا المدينة و دخلها غودوفري من باب الساهرة و هو أول الداخلين ثم فتحت جميع الأبواب.[2]

و من ضمن الصعوبات التي تعرض لها الصليبيون خلال حصارهم لبيت المقدس أنداك حسب المصادر التاريخية العربية خلو مخازن المدينة من الغلال و المؤن على عكس ما توقع الصليبيون، فطول مدة الحصار و انشغال الناس في الحرب ضيع ثروات البلد، و لم يبق شيء يعتمد عليه في مخازنها.[3]

و بالمقابل يذكر فوشيه الشاتري مشاهداته و يقول فيها أن الصليبيين هاجموا القدس في اليوم السابع من وصولهم إلى أطراف المدينة، معتمدين على سلالم من خشب للتسلق إلى أسوارها المنيعة و لكنهم فشلوا في البداية، مما جعلهم يبحثون عن وسيلة أخرى، و استقر رأي قوادهم على بناء آلات حرب منها المنجنيقات و أبراج من خشب و هاجموا المدينة مرة ثانية، و نجحوا هذه المرة، و يضيف أيضا [4]

---

[1] تاريخ فلسطين، عمر الصالح البرغوثي خليل طوطح، ص 161.

[2] المرجع السابق، ص 162.

[3] قصة الحروب الصليبية من البداية حتى عهد عماد الدين زنكي، راغب السرجاني،مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، الطبعة الثانية، يناير 2009م، ص129.

[4] تاريخ الحملة إلى القدس ، فوشي الشارتري ، ص 73 .

أنه من بين العوائق التي واجهت جيش الصليبيين خلو المنطقة من الماء، مما اضطرهم إلى جلبه من أماكن بعيدة، إضافة إلى مشكلة الخشب لصناعة الأبراج و يذكر أنهم أحدثوا ثغرة في أحد أسوار المدينة و استطاعوا الدخول إليها و أطلق على هذا اليوم باليوم المهيب. و أن سكانها (أي الشرقيين أو الكفار) حسب قوله فروا في أزقة المدينة و شوارعها الضيقة، و أخذوا يقفزون من أسوارها، خوفا و جزعا من الجنود الفرنجة الذين قطعوا رؤوس ما يقرب عشرة آلاف شخص في الهيكل، و أن طرقات المدينة امتلأت بالدماء، حتى أنَّهم لم يرحموا امرأة و لا طفلا و لا شيخا[1].

وقد نصت المصادر التاريخية العربية في هذا الشأن أنه عندما تقرر الهجوم في ليلة 13-14 حزيران (يونيو) كان الصليبيون قد فرغوا من بناء الأبراج من دون أن تشعر بهم حامية المدينة وكان القتال ضاريا، ونجحت عملية الهجوم من بعض المواقع، على الرغم من القذائف والقوارير الملتهبة لمنع الاقتراب من السور ولما تأكد للمدافعين انهيارهم، لجئوا إلى الحرم الشريف وكان افتخار الدولة مازال يقاوم من الناحية الأخرى بضراوة ولما تأكد من حتمية الهزيمة طلب الأمان والصلح والخروج من المدينة مع حرسه خمسة عشر حزيران (492هـ/1099م) وقَبل "ريموند" ذلك لقاء مبلغ كبير من المال وفعلا رافقوهم إلى خارج المدينة وقد توجهوا إلى عسقلان ويقدر عدد الناجين هؤلاء بثلاثمائة فقط[2].

"ولما وصلوا إلى بيت المقدس حاصروه نيفا وأربعين يوما، ونصبوا عليه برجين أحدهما من ناحية صهيون وأحرقه أتاهم المستغيث بان المدينة قد ملكت من الجانب الآخر وملكوها من جهة الشمال منه ضحوة نهار يوم الجمعة لسبع بقين من شعبان"[3].

[1]تاريخ الحملة إلى القدس، فوشيه الشارتري، ص (73 – 74 – 75).

[2]تاريخ القدس عبر العصور، إسحاق رباح،ص 187.

[3]الكامل في تاريخ، ابن الأثير ،ص283.

"وقد ارتكب الصليبيون مجازر مروعة في بيت المقدس ولبثوا يفتكون بالنساء والشيوخ والأطفال ومرضى المسلمين لمدة أسبوع"[1].

"وقتل الفرنج بالمسجد الأقصى ما يزيد على سبعين ألفا منهم جماعة كثيرة من أئمة المسلمين وعلمائهم وعبادهم وزهادهم ممن فارق الأوطان وجاور بذلك الموضع الشريف، و أخذوا من الصخرة نيفا و أربعين قنديلا من الفضة، وزن كل قنديل ثلاثة آلاف وستمائة درهم، وأخذوا تنورا من فضة وزنه أربعون رطلا بالشامي، وأخذوا من القناديل الصغار مائة وخمسين قنديلا ونقرة، ومن الذهب نيفا وعشرين قنديلا وغنموا منه ما لا يقع عليه الإحصاء"[2].

"كما ذكر وليم الصوري وهو أحد مؤرخي الحروب الصليبية أن بيت المقدس شهد عند دخول الصليبيين مذبحة رهيبة حتى أصبح البلد مخاضة واسعة من دماء المسلمين أثارت الرعب والاشمئزاز "[3].

وذكر المؤرخ الفرنسي " ميشو " بهذا الخصوص: "كان المسلمون يذبحون ذبح الأنعام في الشوارع والمنازل ولم يجد أهل المدينة محلا أمنيا يعتصمون به ، فألقى بعضهم نفسه من فوق الأسوار وازدحم الآخرون في القصور والمساجد والحصون ولكن ذلك لم يجدهم نفعا فقد قتلوا جميعا بوحشية دون شفقة أو رحمة حتى أنهم وطئوا بخيولهم الجثث المكدسة أثناء مطاردة الهاربين كما أحرقوا بعضهم وهم أحياء ومثلوا بالجثث أشنع تمثيل، والذي نجا من سكان بيت المقدس عومل معاملة الرقيق ."[4]

[1]تاريخ فلسطين، عمر الصالح البرغوثي ، خليل طوطح، ص 163.

[2]الكامل في تاريخ، ابن الأثير ،ص284.

[3]قصة الحروب الصليبية من البداية حتى عهد عماد الدين زنكي، راغب السرجاني، ص150.

[4]المفصل في تاريخ القدس، عارف العارف، ص 257.

ويعترف فوشيه الشارتري بهذه الوحشية فيقول: "كم كانت تصيبك الدهشة لو أنك شاهدت رجالنا من المشاة وحملة الترس، بعد أنَّ اكتشفوا ألاعيب الشرقيين، يبقرون بطون من ذبحوا ليستخرجوا من أمعائهم الدنانير الذهبية التي كانوا قد ابتلعوها وهم على قيد الحياة ، وللسبب ذاته وبعد بضعة أيام ، جمع رجالنا كومة عظيمة من الجثث وأحرقوها رمادا لكي يسهل عليهم الحصول على هذا الذهب.

ثم إن"تنكويد" اندفع إلى هيكل الرب وجمع كثيرا من الذهب والفضة والأحجار الكريمة ولكنه أعادها واضعا الأشياء أو ما يعادلها في المكان المقدس هذا مع أن الخدمات الإلهية لم تعقد بعد هناك حتى ذلك الوقت لقد مارس الشرقيون هنا عبادتهم الوثنية بشعائر خزعبلية كما أنهم لم يسمحوا بدخول المسيحيين إليه.

أولئك الذين يستعطفون الرحمة، و تساقط الجمع كما يتساقط التفاح المتعفن من الأغصان المهزوزة أو جوز البلوط من الشجر المتمايل"[1].

"وقد اختلف المؤرخون في تحديد عدد القتلى الذين قتلهم الصليبيون يوم الفتح فقال قائل: "إنهم مئة ألف نسمة" ولكن الأكثرية قدروهم بسبعين ألفا فقط. وكان أول عمل قاموا به، بعد هذه المجزرة البشرية الهائلة أنهم كتبوا إلى البابا يهنئونه بفتح بيت المقدس قائلين: "إذا أردت أن تعلم بما جرى لأعدائنا فثق أنه في إيوان سليمان ومعبده، كانت خيلنا تخوض في بحر من دماء العرب المسلمين إلى ركبتها"[2].

أما عن رد فعل الفاطميين اتجاه هذه الأحداث الجسيمة تمثلت في محاولة أمير جيوشهم الأفضل للتصدي للزحف الصليبي ولكنه واجه هزيمة قاسية في عسقلان"[3].

---

[1]تاريخ الحملة إلى القدس، فوشيه الشارتري،ص75.

[2]المفصل في تاريخ القدس، عارف العارف،ص 258.

[3]تاريخ بلاد الشام في العصور الإسلامية، إبراهيم بيضون، ص 255.

ويذكر فوشيه شارتري: "أما (لافيد اليوس) أي الأفضل الذي لم يضمر للفرنجة حتى ذلك الوقت غير الاحتقار، فقد ولى الأدبار وأزمع على الفرار إثر لقائه الأول معهم فهجر خيمته مرغما. وقد كانت مقدسة بالنفائس والأموال فذهب إليها الفرنجة تملؤهم نشوة النصر واجتمعوا وقدموا الشكر لله"[1].

" أمًا فيما يخص العالم الإسلامي فقد سادته موجة كئيبة من الحزن، شلًت المسلمين عن الحركة. كما تركت هذه المذبحة أثرا عميقا في العالم، كما أدت إلى خلو المدينة من سكانها المسلمين و اليهود. بل إن كثيرا من المسيحيين اشتد جزعهم كما حدث ."[2] بينما حاولت فلول المسلمين التي قدر لها العيش من مذبحة القدس، استنهاض أمراء الشام، و بعضها تابع السير إلى العراق مستغيثا بالخليفة العباسي (المستظهر بالله) الذي اكتفى بدعوة الفقهاء إلى الخروج لتحريض الملوك السلاجقة في الشام، الذين حالت خلافاتهم دون اتخاذ موقف ما إزاء المحنة العظيمة التي نزلت بالمسلمين"[3].

أما الموقف الشعبي في الساحل الشامي و فلسطين فقد استبسل أهلها في الدفاع عن القدس و في ذلك يقول وليم صوري: "بالغ المواطنون في الدفاع عن مدينتهم و تحصينها، و راحوا يراقبون كل حركة من حركات جيشنا".وقد ظهرت مقاومة شعبية في القدس تمثلت في صور مختلفة منها:

رفضهم زراعة الأرض لصالح الفرنجة، وهجرة بعض أهلها إلى الجبال و منهم إلى شرق الأردن و جنوب دمشق وفي ذلك يقول وليم صوري أيضا : "رفضوا زراعة الأرض حيث يبقوا شعبنا في جوع دائم"[4].

---

[1]تاريخ الحملة إلى القدس، فوشيه الشارتري،ص78.

[2]تاريخ القدس عبر العصور،إسحاق رباح، ص 188.

[3]تاريخ بلاد الشام في العصور الإسلامية، إبراهيم بيضون،ص255

[4]تاريخ القدس عبر العصور، إسحاق رباح،ص 192.

في الوقت نفسه عمَّت الفرحة أرجاء العالم المسيحي، فبيت القدس لم يحكمها النصارى منذ خروج الدولة النورمانية (عام 16هـ/ 637م) ، أي منذ أكثر من أربعمائة و سبعين سنة[1].

و بعد دخولها(القدس)أسس الصليبيون فيها مملكة لاتينية صغيرة و اختاروا "غودوفري دو بوبون"أميرا عليهم، فأخذوه إلى كنيسة القيامة و انتخب بعده "بلدوين الأول" و في زمنه (1100-1118م) أصبحت القدس عاصمة تمتد من بيروت إلى العقبة. و كان لها أسطول في ميناء "العقبة". و كانت إراداتها وفيرة، مصدرها الرسوم المستوفاة من القوافل التي كانت تسيير بين سوريا و مصر و الحجاز، و الضرائب المفروضة على حاصلات البلاد، و الرسوم التي تجنى من القوارب التي كانت تسيير في البحر الميت.[2]

كما تمكنوا من الاستيلاء على جزيرة فرعون الصغيرة، و بذلك أصبحوا يتحكمون في طرق التجارة التي تصل بين دمشق و الحجاز و مصر. و عندما مات "بلدوين الأول "عام (1118م) كانت مملكة بيت القدس قد بلغت أوجها فكانت تمتد من العقبة إلى بيروت أما في الشرق فكانت لا تتجاوز وادي "الأردن". و جاء بعد "بلدوين الأول"، "بلدوين الثاني "(1118م-1131م) و هو ابن عم الملك المتوفى، أُسر في أحد المعارك التي خاضها ضد المسلمين وظل أسيرا حتى أواخر عام (1124م) ، حيث عاد إلى عاصمة المملكة القدس عام (1125م). و لقد تميز عهد هذا الملك بنشاط الفرسان (الاستبدادية و الداوية) . وخلف هذا الأخير (فولك أوف أنجو) (1131-1143م) و تميز عهده بتشييد القلاع للدفاع عن مملكته،و بسط سيطرته على طرق التجارة ، و عندما توفى خلفه "بلدوين الثالث"(1143-1162م) و من أهم الأحداث التي حدثت إبان حكم هذا الأخير كان سقوط إمارة "الرها" .[3]

---

[1] قصبة الحروب الصليبية من البداية حتى عهد عماد الدين زنكي، راغب السرجاني،ص 151.

[2] "القدس الشريف"، شوقي شعب،آفاق ثقافية مقدسية، العدد(74) حيرزان2009، ص 19.

[3] المفصل في تاريخ القدس، عارف العارف،ص 261.

الصليبية بيد المسلمين ، و في عام (1162م/556هـ) توفي "بلدوين الثالث"و خلفه أخوه "ألمريك"في نفس السنة، و قد كانت . [1] سياسته خرقاء أضرَّت بالمسألة اللاتينية. ومنذ ذلك الحين بدأت مملكة القدس بالاضمحلال و التدهور. لأنه بدلا من أن يحتفظ بصداقة الفاطميين بمصر، سار لفتح مصر و انتزاعها من بين أيديهم فأضاع بذلك حليفا قويا. و قوى به عدوه "نور الدين". فرفض كثيرا من جماعة فرسان الهيكل التعاون معه في هذه الحملة لاعتقادهم بأنه لا نفع يرجي من ورائها. و كان نصيبه فعلا الفشل .[2]

و في سنة (1174م) تولى حكم القدس"بلدوين الرابع"الذي حكم القدس من (1174م إلى 1185م)، ف "بلدوين الخامس" من (1185 إلى 1186م). و أخيرا جاء (جاي لوزجنان) 1186م–1187م) الذي أسر بموقعه حطين(583هـ/ 1187).[2]

امتد حكم الإفرنج للقدس ما يقارب الثماني و الثمانين سنة. قاموا خلالها بمحاولة تغيير معالم هذه المدينة المقدسة فحولوا المسجد الأقصى إلى مقر الفرسان الداوية، و نصَّبوا بطريركا لاتينيا بدلا من البطريك الأرثوذكسي، كما أقاموا نزلا يتَّسع للكثير من الحجاج المسيحيين القادمين من الخارج[3].

---

[1] "القدس الشريف"، شوقي شعث،آفاق ثقافية مقدسية، العدد(74)، ص19.

[2] المرجع نفسه ، ص 20 .

[3] القدس الشريف،شوقي شعث،في آفاق ثقافية العدد(74)، ص20

كان من أهم مظاهر الحياة العلمية في فلسطين في عصر الحروب الصليبية، قدوم عدد كبير من الرحالة و الحجاج الأوروبيين إليها، وقد تعددت الدوافع التي دفعت بهم إلى هـ ذا، ومن أبرزها، الرغبة في الحج، و الكتابة عن الأراضي المقدسة من حيث الاقتصاد و السياسة، و الاجتماع فوصفوا المدن و القرى،و جعلوا جُلّ اهتمامهم على زيارة الأماكن الدينية المسيحية التي ارتبطت بسيرة السيد المسيح عليه السلام ووصفها كما شاهدوها[1].

وبهذا فقد حظيت مدينة القدس بمعظم الزيارات من الرحالة العرب و الأجانب،ويحسن أن نشير هنا إلى أن رحلة "سايوليف"الإنجليزي كانت من رحلات الأجانب المبكرة إلى القدس و يزعم أنها كانت سنة (1102م/1103م)[2].

و يقول في أحد النصوص الموجودة في رحلته عن القدس:"و عرّجنا من يافا(joppa) إلى بيت المقدس (jerusaleun) في رحلة استغرقت يومين على طول طريق الجبلي و صخري و على جانب كبير من الخطورة، إذا أن العرب يكمنون دائما و يختبئون في الأماكن المجوفة من الجبال، و الكهوف الصخرية، و يقومون بمراقبة الطريق نهارا وليلا، ومهاجمة من تخلّفوا عن جماعتهم، بفعل الإرهاق و الإجهاد،و في خلال لحظة تراهم يقدمون من كل حدب و صوب، و يختفون من فورهم بصورة كاملة، وفي إمكان أي شخص يقوم بهذه الرحلة أن يرى بنفسه ذلك ... وعدد الجثث البشرية الخامدة سواء في الطريق أو على جانبه إذ تلتقي الوحوش الضارية، و البعض يتملكه العجب، إذ كيف ترقد جثث [3]

---

[1] قصة مدينة، يحي فرحان، ص24.

[2] الرحالة الأوربيون في مملكة بيت المقدس الصليبية(1099/1187م)، محمد مؤنس أحمد عوض، ص262.

[3] المرجع نفسه ، ص 262 .

المسيحيين هنا دون أن تقبر، غير أن ذلك ليس مثار تعجب البتة، ذلك أنه لا توجد إلا أراضي محدودة. و ليس في الإمكان الحفر في الصخور في سهولة، أضف إلى ذلك أنه في حالة وجود الأرض الصالحة، فأين ذلك الأحمق الذي سيكون وحيدا و يترك جماعته ليحفر قبر الرفقة إذ أنه لو فعل ذلك فعندئذ سيحفر قبرا لنفسه لا لرفقائه، و في هذا الطريق يتعرض للخطر ليس فقط الفقير و الضعيف بل و حتى الثري و القوي"[1].

و الأمر الواضح في هذا النص أن الرحالة تطرق إلى عدة جوانب، منها الطريق الوعرة والصخرية،حسب قوله إضافة إلى ذكر بعض الأمور المتعلقة بالمقاومة الإسلامية ضد الحجاج القادمين من أوروبا، فقد قام المسلمون بإعداد كمائن على طول الطريق الممتدة من يافا حتى بيت المقدس، كما أشار إلى جثث القتلى التي لم تكن تجد من يدفنها بسبب الخوف الذي كان يسيطر عليهم (أي الحجاج الأجانب).

ويبدوا أنَّ سايوليف تناول الكثير من الجوانب الهامة في رحلته(سواء على المستوى السياسي أو الاجتماعي أو الحربي أو الديني، إلا أنه تجاهل أو غفل عن ذكر مذبحة المسجد الأقصى الوحشية ضد المسلمين التي حدثت يوم الجمعة(22شعبان492هـ/15يوليو1099م) و استمرت عدة أيام، مع أنه زار بيت المقدس بعد عامين من أحداث المذبحة المروعة[2].

---

[1] بيت المقدس في عيون الرحالة المسلمين و الأجانب في القرنين الخامس و السادس الهجريين، رشاد المدني، ص 1077.

[2] بيت المقدس في عيون الرحالة المسلمين و الأجانب في القرنين الخامس و السادس الهجريين،رشاد المدني، ص 1077

وتعتبر هذه الرحلة من الرحلات المبكرة و المهمة، لأنها جرت خلال السنوات الأولى من تاريخ الاستقرار الصليبي في بلاد الشام و هي تعطي لنا صورة هامة عن الصراع الإسلامي الصليبي خلال ذلك العهد المبكر، و ألقت الضوء على الصعاب التي واجهت بعض الحجاج من أجل الوصول إلى الأماكن المقدسة لدى جميع المسيحيين فضلا عن ذلك احتوت الرحلة على مظاهر التدمير، و التخريب اللذين حلا بالعديد من المدن الفلسطينية و منها القدس[1].

كما زارها أيضا سنة 1106م راهب روسي يدعى "دانيال" ومن ضمن ما قاله:"إن القدس مدينة كبيرة تحيط بها أسوار منيعة عالية، و أن أسوارها بنيت بشكل مربع أضلاعه متساوية، و مع ذلك فإن الحكم اللاتيني لم يكن موطد الأركان إلا في داخلها ، أما خارج الأسوار فقد كان الأمن مضطربا، و أن الثوار[2] . العرب كانوا منتشرين في جميع أنحاء البلاد، وأن التلال و الوديان الكائنة بين القدس و وادي الأردن، كانت مسرحا للنمور و الضباع و الأسود ووحوش الفلا و أن المدينة محاطة بعدد من الوديان القاحلة والجبال الجرداء[3].

كما ذكر الراهب "دانيال"أنَّ بيت المقدس هي منطقة جبلية و صخرية و مرعبة[4].

---

[1] المفصل في تاريخ القدس، عارف العارف،ص 270.

[2] بيت المقدس في عيون الرحالة المسلمين و الأجانب في القرنين الخامس و السادس الهجريين، رشاد المدني، ص 1079.

[3] الرحالة الأوروبيون في مملكة القدس الصليبية (1099–1187م)، محمد مؤنس أحمد عوض،ص 42.

[4] المرجع نفسه، ص 79.

و حسب المصادر التاريخية فإن الراهب "دانيال"و من خلال رحلته التي قام بها، قام بوصف أهم المدن و القرى في فلسطين و منها: بيت المقدس، و الناصرة، و عكا، و حيفا... كما احتوت رحلته على الكثير من المعلومات التي أفادت في إلقاء الضوء على جوانب مختلفة و مهمة من مجمل الأوضاع في مملكة بيت المقدس الصليبية خلال تلك المرحلة المبكرة من تاريخها [1].

الرحالة "فتيلوس"سنة(1118-1130م):

و قد كان لهذه الرحلة مكانة هامة من بين الرحلات الأوروبية التي قاموا بها، في أنحاء مملكة بيت المقدس الصليبية خلال القرن الأول من تاريخ الوجود الصليبي في بلاد الشام، و قد ساعدت في إلقاء الضوء على أوضاع مملكة بيت المقدس من الناحية السياسية و الحربية، و علاقتها بالقوى الإسلامية المجاورة ولاسيما أتابيكية دمشق و كذلك الأنشطة الاقتصادية للمملكة و لاسيما التجارية على نحو خاص، بالإضافة إلى اهتمام هذه الرحلة الخاصة بالجانب الديني الكنسي[2].

ونجد أيضا الرحالة الألماني "الورزيرجي"الذي قام برحلته بين عامي(1160م-1170م)، و هي تعد بدورها من أهم الرحلات الأوروبية التي وصفت الأراضي المقدسة خلال فترة الحروب الصليبية، و تكمن أهمية هذه الرحلة في أنَّ صاحبها تناول الجوانب الاجتماعية و الاقتصادية و العسكرية و الكنسية بالإضافة إلى الجوانب الطبية، و كان شاهد عيان عليها ولعل ثراء هذه الرحلة يعود إلى ما احتوته من معلومات عن الجانب الطبي و العلاجي في مملكة القدس الصليبية حينذاك، خاصة في [3]

---

[1] "بيت المقدس في عيون الرحالة المسلمين و الأجانب في القرنين الخامس و السادس الهجريين،رشاد المدني،ص 1079.

[2] الرحالة الأوروبيون في مملكة بيت المقدس الصليبية(1099-1187م)، محمد مؤنس أحمد عوض، ص 104.

[3] بيت المقدس في عيون المسلمين و الأجانب في القرنين الخامس والسادس الهجريين ، رشاد المدني ، ص 1079.

تناوله لهيئة الإستبارية * و دورها العلاجي، فقد ذكر أن مستشفى القدس "يوحنا المعمدان"احتوت على حجرات عديدة،وضمَّت عددا كبيرا من المرضى سواء من رجال أو من نساء، إذ بلغ عددهم ألفي شخص في اليوم منهم من يحتضر، و كان عددهم قد وصل إلى خمسين شخصا في اليوم.وقد استطاع "الوزريرجي" أن يضع هذه الإحصائيات بحكم تواجده في المستشفى. وهذه النسبة من الموت تؤكد عدم قدرة وسائل المعالجة لدى الصليبين، وضعف مستواهم الطبي ، كما ذكر أنً مستشفى بيت المقدس كانت تستوعب ألفي مريض في تلك الفترة.

وأهم ما ميَّز هذه الرحلة هو شعور هذا الرحالة بحسرة على وضع بني جلدته (الألمان)، وذلك لأنه لاحظ أنه لا يوجد في المدينة شارع أو حتى مكان مخصص للألمان وهذا يؤكد أيضا أنه قد يرغب بوجود أكثر للألمان في هذه المنطقة المقدسة[1].

رحلة الرحالة الروسية "أيوفروزين"(1162-1172م):

و تحتل هذه الرحلة بدورها مكانة هامة، على مدى القرن الثاني عشر ميلادي، و هي تفيد في إلقاء الضوء على أوضاع المملكة من زوايا متعددة و بصورة مختلفة، و خاصة فيم ا يتعلق بحركة الحج المسيحي إلى المنطوق[2]

يبدوا من خلال هذا النص أن "أيوفروزين"كان لها خلفية دينية، فالمصادر التاريخية تقول أنها كانت راهبة، هذا من جانب و من جانب آخر، كونها امرأة جعل التنقل صعبا بالنسبة إليها. وربما ه ذا ما جعلها تهتم بالجانب الديني لمدينة القدس خاصة[3].

---

[1]بيت المقدس في عيون الرحالة المسلمين و الأجانب في القرنين الخامس و السادس الهجريين، رشاد المدني،ص 1079.

[2]الرحالة الأوربيون في مملكة بيت المقدس الصليبية (1099 م / 1187 م) ، محمد مؤنس أحمد عوض ، ص 128 .

[3]الرحالة الأوربيون في مملكة بيت المقدس الصليبية (1099م / 1187) ، محمد مؤنس أحمد عوض ، 132.

وقد تميزت هذه الرحلة بميزات خاصة عن الرحلات الأوروبية الأخرى، تمثلت فيما يلي :

أولا: معرفة المؤرخين اسمها، ونسبها، ونشاطها ألديري، أي معرفة المعلومات الوافية عن هذه الرحلة، إذا ما قورنت مع الرحالة الآخرين، الذين كانت المعلومات ناقصة ،و منعدمة في بعض الأحيان.

ثانيا: تكاد تكون "أيوفروزين"الوحيدة التي انحدرت من أصول أرستقراطية نبيلة، فهي أميرة روسية، أما باقي الرحالة فلم تكن لهم الوضعية الطبقية المتميزة.

ثالثا: تكاد تكون صاحبة الرحلة المرأة الوحيدة التي قامت برحلة الحج إلى بيت المقدس خلال ذلك القرن، بينما كافة الرحلات الأخرى كتبها رحالة رجال.

رابعا:و اختلفت أيضا عن الرحالة الأخريين بكونها لم تكتب رحلتها بنفسها، و إنها كتبت على يد أحد المرافقين لها في رحلتها.

خامسا: اختلفت أيضا عن الرحالة الأوروبيين من حيث وضعيتها الدينية، إذ وصفت بأنها"قدسية"، و لعل هذا ما جعل رحلتها ذات طابع ديني واضح المعالم.[1]

---

[1] الرحالة الأوربيون في مملكة بيت المقدس الصليبية 1099م / 1187م ، محمد مؤنس أحمد عوض ، ص146-147.

* هو رحالة يهودي إسباني.

رحلة الرحالة "بنيامين التطيلي"* زار القدس سنة (1163إلى 1170م) ، وهو أحد اليهود الأندلسيين، ألقت رحلته الضوء على أوضاع مملكة بيت المقدس الصليبية و علاقتها بالقوى السياسية المجاورة،و قد قدّم تناولا هاما لتوزيعات العناصر اليهودية و أعدادها، و نشاطها الاقتصادي، و لاسيما على الصعيدين التجاري و الصناعي على نحو لا نجد نظيرا له لدى الرحالة المسيحيين الذين زادوا المملكة من مرحلة زمنية مقاربة[1].

ويبدوا أنَّ هذا الرحالة أهمل جانبا مهمّاً في رحلته، إذ لم يذكر الأماكن والمواقع المقدسة وهو(الجانب الديني).

كما أشار في رحلته إلى فرق الرهبان الفرسان خاصة "الإسبيتارية"و الداوية، فذكر المستشف يين الموجودين بالقدس،حيث يعالج أربعمائة من فرسان "الإسبيتارية"، إضافة إلى المرضى الذين يجهزون بكل ما يلزمهم في الحياة و بعد المم ات، أما الداوية، فأنَّه يذكر أنهم يقيمون في معبد سليمان و عددهم يقدر بنحو ثلاثة مائة يقومون بالتدريب على فنون القتال.[2]

ومن بين الرحالة الذين زاروا القدس أيضا الرحالة الألماني"ثيودربش"(1171-1173م) و تميزت رحلة "ثيودريش" بكونها احتوت على عدة معلومات، خاصة فيما يتعلق بالإستبارية و الداوية، و أنشطتهم في الأرض المقدسة سواء من الجانب الحربي أو الجانب الطبي العلاجي، و في معرض حديثة عن فرسان الداوية، ذكر أنهم شيدوا بنايات جديدة لاستغلالها بجوار معبد سليمان، كما أقاموا كذلك كنيسة لهم، وذكر أيضا أنَّ إسطبلاتهم كانت تتسع لألف من الخيول.[3]

---

[1] الرحالة الأوروبيون في مملكة بيت المقدس الصليبية(1099-1187م)،محمد مؤنس أحمد عوض،ص 159.

[2] المرجع نفسه ، ص167 .

[3] المرجع نفسه ، ص182 .

وذكر أيضا أن الصليبين قاموا بتشييد مستوطنة شمال غرب بيت المقدس،بعد أن قاموا بتفريغ القرية من سكانها من الفلاحين المسلمين، و اكتمل تشييد المستوطنة بين عامي (1120–1129م) وتكرر نفس الأمر في قرية "كفرمالك"، حيث منحها الملك "بلدوين الثاني" لكنيسة القيامة[1].

و قال عنها في أحد نصوص رحلته "إنها مدينة جبلية، و لكن صخورها جميلة، فيها الأبيض و الأحمر و الرخام المتعدد الألوان، و كلها صالح لأخذ حجارة البناء. أما حيث يتجمع بعض التراب بين الصور فتتموا جميع أنواع الفواكه، و تكون الجبال مكسورة بالكروم و التين و الزيتون ، و أما الأودية فتملأها الحبوب و البساتين أكثر شوارعها مبلطة بألواح كبيرة من الحجارة و هي مسقوفة بعقود حجرية. فيها نوافذ يدخل منها النور، و بيوتها مبنية من الحجر الجميل النقش، و أسطحتها مستوية[2].

و تحتل رحلة "بتاحيا الراتسوبوني"* مكانة متميزة بين الرحلات التي قام بها الرحالة اليهود في العصور الوسطى في منطقة الشرق الأدنى،وقد قام بها سنة(1174–1187م)، ويبدوا من ثنايا هذه الرحلة أن نشاطه التجاري مكّنه من امتلاك ثروة كبيرة، كانت سببا رئيسيا لقيامه برحلته إلى بيت المقدس و(دراسة نوعيات الأسواق التجارية في المنطقة)،إضافة إلى زيارة الأماكن المقدسة لدى اليهود في بيت المقدس، و يبدو أن" بتاحيا الراتسوبوني" قام برحلته إلى بيت المقدس قبل أن تزول من عليها السيادة السياسية الصليبية عام(1187م)[3].

---

[1] الرحالة الأوربيون في بيت المقدس الصليبية 1099م 1187م ، محمد مؤنس أحمد عوض ، ص 190.

[2] المفصل في التاريخ القدس، عارف العارف، ص 271.

* وهو رحالة يهودي نالت رحلته في العصور الوسطى مكانة متميزة.

[3] الرحالة الأوربيون في بيت المقدس الصليبية (1099–1187م)، محمد مؤنس أحمد عوض، ص 204.

و يلاحظ أنه أشار إلى وجود شخص يهودي واحد في المدينة (القدس) يدفع مالا وفيرا للملك الصليبي من أجل أن يستبقيه بها ، ممّا يعني أن الرحلة جرت قبل عام 1187م،كما ألقت الضوء على ما يمكن وصفه من المزارات اليهودية المقدسة في بيت المقدس و أنحاء فلسطين الأخرى،و أفادت في إلقاء الضوء على توزيعات العناصر اليهودية و نشاطها في المملكة الصليبية[1].

وتكمن أهمية هذه الرحلة في احتوائها على العديد من الجوانب المتعلقة بمملكة بيت المقدس الصليبية، بشكل عام فهي تقدم معلومات و تفاصيل قيِّمة عن الأماكن المسيحية المقدسة في فلسطين، كما تميزت بدرجة كبيرة من الدقة و الصِّدق فقد قام بتدوين كل ما شاهده و تسجيل كل أثر أو حادثة صغيرة كانت أو كبيرة، أما الأماكن أو الأحداث التي لم يشاهدها بنفسه، فقد اعتمد في روايتها على شهود عيان يثق بصدقهم،أو على مصادر كتابية موثقة لديه، و هذا ما أكده بقوله:"وقد جمعنا جزءا مما رأيناه بأنفسنا، و جزءا مما سمعناه من التقارير الصادقة.[2]

ومن المعلومات المهمة التي ذكرها "ثيودريش"، عن الإسبتارية، هو وصفه لمستشفى القدس" يوحنا المعمدان"، وهو يروي أن بنائها جميل" و أنها مزودة بالحجرات و الأسرة و المستلزمات الأخرى اللازمة لعلاج المرضى، و فيها أسرَّة تقدر بألف سرير" كما أورد أيضا عدد الوفيات من المرضى و المرجح أنه كان شاهد عيان على هذه الأحداث[3].

---

[1]الرحالة الأوربيون في مملكة بيت المقدس الصليبية ، محمد مؤنس أحمد عوض ، ص 207.

[2]بيت المقدس في عيون الرحالة المسلمين و الأجانب في القرنين الخامس و السادس الهجريين،رشاد المدني، ص 1079.

[3]بيت المقدس في عيون الرحالة المسلمين و الأجانب في القرنين الخامس و السادس الهجريين،رشاد المدني، ص 1080.

أما الرحالة"يوحنا فوكاس"الذي زار الأراضي المقدسة عام(1177م)وعمل في السلك الديراني ، حيث كان للجانب الديني الأثر الواضح في شخصيته، و الذي لمسناه من خلال حرصه في الحديث عن الكنائس و الأديرة المنتشرة في كافة المملكة الصليبية، و من بينها الموجودة في القدس، كما انعكس ارتباطه بالإمبراطورية البيزنطية من خلال مديحه للإمبراطور (مانويل كومنين) [1].

---

[1] الرحالة الأوروبيون في مملكة بيت المقدس الصليبية(1099–1187م)، محمد مؤنس أحمد عوض، ص 214.

لقدس في العهد الأيوبي:

ظلت بيت المقدس تعاني من الاحتلال الصليبي، و في هذه الأثناء برز زعماء يعملون على توحيد الأمة الإسلامية بدءا بتقوية الجبهة المصرية و إسقاط الحكم الفاطمي فيها، و إعادة الأمر إلى الخلافة العباسية التي أوكلت مهامها إلى كل من نور الدين زنكي و من بعده صلاح الدين الأيوبي الذي آلت إليه السلطة على مصر و الشام. ما مكنته من الجهاد ضد الصليبيين و كانت معركة حطين سنة(583هـ/1187م) التي استسلم فيها أمراء الصليبيين و قادتهم، الطريق أمام تحريري بيت المقدس[1].

إذ شوهدت طلائع جيش صلاح الدين تقترب من أسوار بيت المقدس إلى الغرب آتية من الخليل ، و قد كانوا مزيجا من العرب و الأكراد و الأتراك. فعسكروا في "النيكوفورية"بين المحطة وبركة ماملا. و لكن سرعان ما ظهر لصلاح الدين أن هذا المكان ليس بمناسب لأجل الشروع في عمليات الحصار و أن الصليبيين المحاصرين قد يستغلونه لمصلحتهم لأن السور الغربي المشيد على أكمة مرتفعة ، و على السور في تلك الناحية أبراج مسيطرة على المواقع التي احتلتها، مما يعيق بناء الأبراج التي كان لابد من بنائها لضرب المدينة بالمنجنيقات، و الأراضي هناك الناحية الطبوغرافية لا تسمح بمثل هذه العمليات[2].

إضافة إلى هذا أيضا أن الشمس التي تشرق من الشرق ، ستكون دوما معاكسة للجيش الذي يأتي من الغرب طوال النهار من ساعة إشراقها من وراء جبل الزيتون حتى غروبها وراء ظهورهم، فلا يستطيع [3]

[1]تاريخ القدس و حاضرها، عزت جرادات، ص 18.

[2]المفصل في تاريخ القدس، عارف العارف، ص 277.

[3] تاريخ العرب من بداية الحروب الصليبية إلى نهاية الدولة العثمانية ، عيسى الحسن ، ص 273 .

هذا أن يحارب خلال تلك المدة . ولهذا أرسل صلاح الدين طلائعه ليستكشف الجهات الأخرى. و لما أتم كشفه في اليوم الخامس، نقل جيشه إلى الناحية الشمالية لأنه أضعف الأسوار المحيطية بالقدس و أكثرهم انخفاضا."و لقد كان في مدينة القدس آنذاك بطريركها و ملكها (باليان بن بازران) صاحب الرحلة، و الفرسان الذين نجوا بالهرب من حطين و عسقلان و المدن الأخرى التي استسلمت".

و كثير من الخلق، لدرجة أنَّ الأزقة و الطرق اكتظت بهم،و بقي صلاح الدين خمسة أيام يعرض السلم عليهم. [1] حيث بعث في طلب أشراف المدينة و خاطبهم بقوله:

" "إنني أحترم مدينة القدس، و لا أرغب في انتهاك حرمتها بإراقة الدماء فيها، و لهذا أنصحكم بترك المدينة، و أتعهد من جهتي بأن أعوضكم عن أموالكم بالأموال و الأراضي"،و لكنهم رفضوا الإذعان لنصحه [2].

و بعد خمسة أيام من الحصار، أمضاها صلاح الدين في دراسته أوضاع السور المنيع، ابتدأ الهجوم بالمنجنيق من جهة باب العمود، و كان قتالا في غاية الضراوة ، فكل فريق يرى في القتال واجبا دينيا مقدسا.و استمر القتال أسبوعا كان خلاله خيالة الإفرنج يخرجون للمبارزة، و كان المجاهدون يقتربون من السور حيث أحدثوا بيه ثغرات عديدة. [3] و قام قتال عنيف بين الفريقين، مات فيه خلق كثير من الجانبين و لكن كفة المسلمين كانت راجحة.

---

[1]تاريخ العرب من بداية الحروب الصليبية إلى نهاية الدولة العثمانية، عيسى الحسن ، ص 273.

[2]عارف العارف، المفصل في تاريخ القدس، ص 278.

[3]إسحاق رباح،تاريخ القدس عبر العصور، ص201.

و لما رأى الفرنجة عبث المقاومة خرج وفدهم يفاوض على التسليم بالأمان، و لكن صلاح الدين رفض في بداية الأمر ثم عاودا، فأرسلوا "باليان" ليفاوض صلاح الدين و مما قاله هذا لصلاح الدين:"أنه إ ذا ظلَّ مصرا في طلبه، فإنهم لن يسلموا . إن في البلاد عدد كبير من الناس ، إنهم لن يسلموا بسهولة [1]، وسوف يذبحون نساءهم لئلا تقع في يد المسلمين، و يهدمون الصخرة و الأقصى، و يقتلون المسلمين من الأسرى الذين كانوا في المدينة و عددهم خمسة آلاف. ثم يحاربون حرب الأبطال".

"استشار صلاح الدين قواده و رجاله، و بناءا على مشوراتهم منح الصليبيين ما يطلبون ، و أتاح لهم مغادرة المدينة لقاء الجزية، التي قدرت بعشرة دنانير بالنسبة للرجال و خمسة للنساء و ديناران بالنسبة للأطفال، على أن تؤدي خلالا أربعين يوما/ ووضع على أبواب المدينة أمناء ليحصلوا الجزية"[2].

"دخل صلاح الدين الأيوبي و جيشه بيت المقدس في 27 رجب 583هـ/02 أكتوبر 1187م، و الحكايات التي تروي عن رأفته و رحمته و إبائه لا حصار لها ، فقد سمح للإفرنج بأن يأخذوا ما يشاءون من الأموال، و أرسل ملكة القدس إلى زوجها "لوزينيان"الملك الأسير في قلعة نابلس، مع مالها و حشمها ، و لما خرج البطريرك و معه من الأموال ما لا حصر له، لم يأخذ منه سوى الدنانير العشرة(الفدية المطلوبة)"[3].

بعد استرجاع القدس انتشر جنود صلاح الدين في شوارع المدينة و أحيائها يحفظون الأمن و النظام. و يحولون دون الفوضى و السرقات ، فلا نهب، ولا نزاع ، و قد رفعت الأعلام الإسلامية على أسوار بيت المقدس[4].

---

[1] عيسى الحسن، تاريخ العرب من بداية الحروب الصليبية إلى نهاية الدولة العثمانية، ص 273.

[2] المفصل في تاريخ القدس، عارف العارف،ص 279

[3] تاريخ القدس عبر العصور ،إسحاق رباح،ص202.

[4] المفصل في تاريخ القدس، عارف العارف، ص 282.

شرع بعد هذا في تنظيم المدينة و بدأ بالمسجد الأقصى الذي كان مملوء بالقاذورات، فقد كان يستعمل كالإسطبلات للخيول و مستودعا للأسلحة، و كمساكنكما قام بإزالة ما بالأقصى و بقية الصخرة من آثار للنصرانية (نقوش وصلبان كان الصليبيون قد قاموا برسمها على الجدران الصخرة الداخلية) .[1] وغطّاها بالرخام، وغسل الصخرة بماء ورد، و بخرت و فرشت ، و أمر بعمارة المسجد الأقصى و تخشيبه و رصفه بالفسيفساء و الرخام. ثمَّ أمر بترخيم المحارب العمري القديم و بنقل المنبر الذي أمر نور الدين زنكي بصنعه في حلب(564هـ/1168م) إلى المسجد الأقصى[2].

و تشير بعض المصادر التاريخية أن صلاح الدين كان قد دخل إلى القدس و هو يج رُّ هذا المنبر ووضعه في المكان الذي اختاره .[3]

أمَّا كنيسة القيامة . فقد اكتفى بإغلاقها لفترة ريثما انتهى القتال، و لما ثبت له الأمر، عاد فأمر بفتحها. ففتحت و قد سمح للمسيحيين بحرية العبادة فيها، على أن يدفع كل شخص يدخلها من الإفرنج قطعة نقدية و استثنى من ذلك ، النصارى سكان البلاد كما قام بوضع قصر البطريكية بإدارة الوقف الإسلامي، و هدم الكنيسة التي أقيمت على جزء من المستشفى و أعاده إلى سابق عهده .[4] و أعاد بناء السور الذي كان يحيط بالمدينة خشية أن تتعرض إلى الهجوم آخر من الصليبيين.[5]

---

[1] تاريخ القدس عبر العصور ،اسحاق رباح، ص202.

[2] المفصل في التاريخ القدس،عارف العارف،ص284.

[3] القدس في العصر البيزنطي و الإسلامي(364هـ/1917م)، إبراهيم الفني،ص 171.

[4] المرجع نفسه ، 172

[5] المرجع نفسه ، ص171

كما أزال الصليب عن قبة الصخرة، ووضع فيها المصاحف، و عين لها أئمة، و دشن إنشاءات إسلامية كثيرة في القدس أهمها مدرسة للشافعية (الصلاحية)، و مستشفى كبير(بيمارستان) و أشرف بنفسه على تلك الإنشاءات، بل شارك بيده في بناء سور القدس و تحصينه، و عقد في المدينة مجالس العلم.[1]

لقد نجح صلاح الدين في إعادة القدس للإسلام و في تعمير الأماكن المقدسة الإسلامية، و إقامة مؤسسات دينية جديدة، و تسهيل وصول الحجاج المسيحيين و اليهود إلى المدينة إلى جانب تطهير قبة الصخرة و المسجد الأقصى و سائر المقدّسات والمساجد الإسلامية. وفق خطة أعادت لهذه المدينة طابعها العربي الإسلامي وقدسيتها الدينية و مكانتها العظيمة في قلوب أصحاب الديانات خاصة من جانب المسلمين[2].

تولى حكم القدس بعد صلاح الدين ابنه الملك الأفضل، الذي وقف المنطقة الواقعة إلى الجنوب الشرقي من الحرم على المغاربة، حماية لمنطقة البراق المقدسة، و أنشأ فيها مدرسة و ممن حكم القدس من الأيوبيون بعد الأفضل الملك المعظم عيسى بن تحمد بن أيوب، الذي أجرى تغيرات في كل من المسجد الأقصى و الصخرة و أنشأ ثلاث مدارس للحنيفة[3].

ولكن هذا الملك الذي عمَّر القدس، وجدَّد فيها الكثير من الآثار، عاد فأمر بتخريبها (1616هـ/1219م)، خشية أن يستولي الإفرنج عليها ، فعندما بلغه أن الإفرنج اعتزموا أخذ القدس ، استشار الأمراء في تخريبها،فأشاروا عليه بتخريبها و بالفعل خربت أسوار المدينة و أبراجها كلها ، [4]

[1]تاريخ القدس عبر العصور، إسحاق رباح ، ص 210.

[2] قصة المدينة ، يحي فرحان، ص25.

[3] تاريخ القدس عبر العصور،إسحاق رباح،ص 299

[4] المرجع نفسه ، ص 299

خلا برج داود، ووقع في المدينة ضجة عظيمة ، و خرج النساء و البنات و الشيوخ و غيرهم إلى الصحراء و الأقصى، فقطعوا شعورهم ومزًقوا ثيابهم. ثم خرجوا هاربين و تركوا أموالهم و امتلأت بهم الطرقات فتوجه بعضهم إلى دمشق. و كانت البنات تمزقن ثيابهم و تربطنها على أرجلهن من الحصا و مات خلق كثير من الجوع و العطش و نهبت الأموال التي كانت لهم في القدس ، و بلغ ثمن القنطار من الزيت عشرة دراهم و الرطل النحاس نصف درهم[1].

ونقل "المعظم" ما كان في القدس من أسلحة و آلات قتال فشق ذلك على المسلمين و ذموا عمله[2]

وتلا "المعظم"بعد فترة وجيزة أخوه الكامل، الذي عقد اتفاقا مع فريدريك الثاني ملك الفرنجة، سلمه بموجب القدس ما عدا الحرم الشريف ، وسُلِّمت المدينة وسط مظاهر الحزن و السخط و الاستنكار سنة(626هـ/1290م)[3]ووصف شاهد عيان ما حدث فقال:"و كان يوما مشهودا، و علا يومئذ ضجيج الناس و بكائهم و عويلهم!!" . وفي هذه الأثناء دخل "فيدريك"القدس ، حيث توَّج نفسه ملكا عليها في كنيسة القيامة .[4] و بقيت في أيديهم حتى سنة(637هـ−1239م)، عندما استردها الملك الناصر داود ابن أخ الكامل، ثم عادت إلى المسلمين نهائيا سنة(642هـ/1244م) عندما استردها الخوارزمية الملك نجم الدين أيوب ملك مصر[5].

---

[1]تاريخ القدس عبر العصور ، إسحاق رباح ، ص 299.

[2] المرجع نفسه ، ص 300 .

[3]قصة مدينة، يحيى فرحان، ص 25.

[4]القدس و المسجد الأقصى البارك حق عربي و إسلامي عصي على التزوير ،حسن موسى، باحث للدراسات، بيروت،لبنان،2016ص32.

[5]قصة مدينة،يحي فرحان،ص 25.

القدس في عهد المماليك:

عندما دخل المسلمين المدينة المقدسة، عاد إليها طابعها العربي الإسلامي الأصيل و استتبت فيها الأمن و السلام، و عاد إليها النشاط الاقتصادي،وغدا المسجد الأقصى مرة أخرى مقصد العلماء و الفقهاء و رجال العلم و المتعلمين، كما بقي في المدينة المقدسة المسيحيين الأرثوذكس و اليهود و استمرت المدينة تتمتع بسلطة الأيوبيين، الذين خلفوا صلاح الدين و الذين حرصوا على الحفاظ عليها و الدفاع عنها، إلى أن آل الأمر إلى المماليك*.[1]

(*) المماليك لغة: جمع مملوك، و هو العبد الذي لا يملك حريته، بل كان ملكا لغيره.

تطلق دولة المماليك على المماليك الذين اشتراهم الملك صالح نجم الدين أيوب ليكونوا له جندا و حرسا، لأنه لم يكن محبوبا من الأكراد جيش الدولة الأيوبية و عمادها و في ذلك يقول ابن خلدون: و أراد (الملك صلاح) الإكثار من العصابة لحماية الدولة، و إقامة رسوم الملك، و أن ذلك يحصل باتخاذ المماليك و الإكثار منهم. و أخذ التجار في جلبهم إليه فاشترى منهم أعدادا و أقام لتربيتهم أساتيذ معلمين لحرفة الجندية من الثقافة و الرمي ، بعد تعليمهم الآداب الخلقية و الدينية، إلى أن اجتمع منهم عدد كبير يناهز الألف . و هؤلاء المماليك الذين اشتراهم الصالح أيوب يرجعون إلى الجنس التركي، و قد جلبوا من بلاد القوقاز و سواحل البحر الأسود. و قد بني لهم قلعة بجزيرة الروضة بالنيل، و لذلك يقال لهم المماليك البحرية أو التركية، و ظهر منهم نواب غ القواد إذ كان لهم ولع بالحرب و الفروسية. و مازال أمرهم يعلوا حتى دبروا و استمروا سلاطين على مصر و الشام 784هـ. وكان من أشهر ملوكهم (المظفر قطز)، و الظاهر بيبرس، و قلاوون الصالحي،و ابنه الأشراف الخليل) ووضعهم في قلعة صلاح الدين و لذلك سموه ا بالبرجية تميزا لهم عن المماليك البحرية. (تاريخ العرب من بداية الحروب الصليبية إلى نهاية الدولة العثمانية، ص299.)

[1]تاريخ القدس و حاضرها، عزت جرادات، ص19.

بعد مقتل (توران شاه) سنة (648هـ/1250م) تأسست دولة جديدة على أنقاض الدولة الأيوبية، و هي دولة المماليك، و قد اقتضى الأمر حوالي ثلاثة عشرة سنة لإدخال الممتلكات السورية الأيوبية في ملك المماليك.

و في هذه الفترة كان وضع القدس غير مستقر و في سنة(1251م) عرض "الناصر يوسف"سلطان حلب أن يتخلى عن القدس للصليبين بقيادة "لويس التاسع"، مقابل حلف يعقد بينهما ضد المماليك[1].

و كانت هذه الصفقة تنُّص على "القدس مقابل حماية عرشه" و لكن "لويس"رفض هذا العرض للضعف الذي حلً بالصليبين.[2]

بعد ثلاثة سنوات أي سنة (651هـ/1253م) ينسحب "ناصر يوسف"من القدس و فلسطين و يسلمها إلى السلطان المملوكي "أيبك" و لكن فلسطين و القدس أعيدتا إلى الأيوبيين سنة(1256م) نتيجة ارتداد مماليك منشقين و التحاقهم ببلاطات أيوبية مختلفة في بلاد الشام"[3].

اتفاقية الكامل مع فريدريك حول تسليم القدس لمدة عشرة سنوات انتهت بموت الكامل الذي مات قبل انتهاء العشر سنوات، (مات عام 1338 و بداية عام 1339م).

وكانت الأحداث تتسارع من واقع المتمردات في كل من الخليل و نابلس و التي كانت تطالب بتحرير القدس، هذه الأحداث هي التي شجعت "الناصر داود" كي يحشد قوة عسكرية و يقوم بتحرير القدس في نهاية عام (1239م) .[4]

---

[1]تاريخ القدس عبر العصور،إسحاق رباح،ص211.

[2]القدس في العصر البيزنطي الإسلامي (364هـ-1917م)،إبراهيم الفني،ص 197.

[3]تاريخ القس عبر العصور، إسحاق رباح، ص 212.

[4]القدس في العصر البيزنطي والإسلامي (364 م / 1917م) ، إبراهيم الفني ، ص 203 .

و يذكر المقريزي أن الصليبيين كانوا يحتسون الخمر و يقترفون الموبقات في مبنى الصخرة و قاموا بقرع الأجراس من الأقصى، هذه التصرفات دفعت صالح كي يرسل فرقة الخوارزميين إلى القدس، و بهذا حررت القدس نهائيا من الصليبيين على يد الصالح أيوب عام 1244م.[1]

وعندما تعرضت فلسطين بما فيها القدس لخطر المغول، هبَّ المماليك للدفاع عنها فهيأ الله المجاهد الكبير(قطز) فدحرهم في معركة "عين جالوت"عام(1260م)، و بذلك كُتب للمماليك السيطرة على تلك الأرض.[2]

و في عصر المماليك حظيت المدينة باهتمام ملحوظ، وقام سلاطينهم: "الظاهر بيبرس"، و"سيف الدين قلاوون"، و "الناصر محمد بن قلاوون"، و "الأشرف قاتيباي" و غيرهم من السلاطين المماليك بزيارات عدة للقدس، و أقاموا منشآت دينية و مدنية مختلفة فيها، كانت آية في العمارة، و أجروا عمارات كثيرة في قبة الصخرة و المسجد الأقصى ، و من المنشآت التي أقامها المماليك زهاء خمسين مدرسة و سبعة رباطات،و عشرات الزوايا ، و في سنة(777هـ) جعلوا القدس نيابة مستقلة،تابعة للسلطان في القاهرة مباشرة بعد أن كانت تابعة لنيابة دمشق ، و من آثار المماليك في القدس أنهم سحبوا المياه من عين العروب إلى الحرم الشريف ، و من أشهر المدارس التي أنشئوها (المدرسة السلطانية الأشرفية و المدرسة التنكزية)[3].

---

[1] القدس في العصر البيزنطي و الإسلامي(364هـ-1917م)،إبراهيم الفني،ص203.

[2] محمد عوض الهزايمة، القدس في الصراع العربي الإسرائيلي، دار الحامد للنشر و التوزيع، الأردن ، الطبعة الأولى،1432هـ2011م ، ص 38

[3] يحي فرحان، قصة مدينة، ص 26.

و لم يكن السلاطين و الأمراء وحدهم من شيَّد عمائر دينية في القدس في فترة الممالك ، فقد قام خصي كان مسئولا عن حريم السلطان "خشقدم"(و هو جوهر القنقباي) ببناء مدرسة دعيت بالمدرسة الجوهرية سنة(844هـ−1440م)، و في أماكن أخرى في المدينة قام مواطنون عاديون بتمويل إنشاء مبان لأغراض دينية، فالمدرسة الإسلامية مثلا التي بنيت سنة (700هـ/1300م) أنشأها التاجر الشهير و الوكيل الدبلوماسي لدى المماليك، "الخواجا مجد الدين أبو الفداء إسماعيل السالمي". كما قامت نساء ثريات ذوات أصل أجنبي اخترن القدس مكانا للإقامة برعاية المعاهد. و على سبيل المثال وقفت الحاجة[1]. "سفرة خاتون"(و يفترض أنها من زوجات و بنات التجار) المدرسة البارودية سنة(768هـ/1367م) و تولت سيدة من بلاد الشرق هي (أغل خاتون القازانية البغدادية ببناء المدرسة"الخاتونية"سنة (782هـ/1380م)، و بنت أميرة من أكابر الروم (أصفهان شاه خاتون) المدرسة "العثمانية"سنة (840هـ/1437م) في فترة المماليك البرجية[2].

ومن أهم المتغيرات التي حصلت في القدس في العصر المملوكي:

- تحقق الاستقرار و الأمن الإسلامي و السيادة على هذه المدينة المقدسة. لذلك لم يروا سببا لإعادة الترميم و بناء الأسوار المدينة طوال حكمهم لهذه المدينة مدة (قرنين و بصف قرن) بحيث لم تتعرض لتهديد أو حملات سواء من المغول أو الصليبيين[3].
- "إعادة المدينة إلى نمطها الإسلامي و بهذه العودة عاد لزيارتها الحجاج و قصدتها الكثير من المسلمين من جميع الأقطار العربية كي يقيموا فيها و يعيشوا على أرضها و بهذا أصبحت هذه المدينة المركز الديني للمسلمين[4].

---

[1] تاريخ القدس عبر العصور، إسحاق رباح ،ص (214−215)

[2] المرجع نفسه ، ص (214−215)

[3] المرجع نفسه ، ص222.

[4] القدس في العهد البيزنطي و الإسلامي(364هـ/1917م)،إبراهيم الفني، ص203.

- ومن أهم المراكز العلمية في العالم الإسلامي كله، فكان يفد إليها الدارسون و المدرسون من مختلف الأقطار، و قد اكتشفت في الحرم القدسي سنة(1974م) عدة وثائق مملوكية تلقي الضوء على تاريخ المدينة[1].

و من الوقائع المهمة التي حدثت في عهد الملك "المنصور قلاوون"و التي لها صلة تاريخية بمدينة القدس:

- اعتقال ملك الكرج"توماسوطابنكلياري" عند زيارته لبيت المقدس (681هـ/1282م)وإرجاعه إلى بلاده[2].
- "أصدر مرسوم يقضي بأن لا يستخدم أحد من أهل الذمة– اليهود و النصارى–في خدمات الدولة، فصرفوا عنها (684هـ/1285م).
- عين "بدر الدين محمد بن جماعة"خطيبا بالقدس: خلفا للشيخ "قطب الدين عبد المنعم بن يحي بن إبراهيم القرشي"الذي وافته المنية(687هـ/1288م).[3]
- " إن الأمان و الهدوء و الاستقرار،عوامل جعلت القدس ملجأ الكثير من الملوك و الأمراء خلال الفترة المملوكية، إضافة إلى قربها من مصر و خلوها من التحصينات القوية و من العدد الكبير من الجنود الذين يمكن أن يخدموا مصالح الأمراء الساخطين"[4].

[1] قصة مدينة،يحي فرحان،ص26.

[2] المفصل في تاريخ القدس،عارف العارف،ص318.

[3] المرجع نفسه ، ص 318.

[4] تاريخ القدس عبر العصور، إسحاق رباح، ص 214.

القدس في العهد العثماني:

بدأ نجم العثمانيين يبزغ عندما أخذت المماليك تنهار شيئا فشيئا ، وفي عام (1517م)، انتقلت القدس إلى عهدة العثمانيين بعد انتصارهم على المماليك في معركة"برج دابق" قرب حلب (1516م).[1]

دخل السلطان العثماني الأول القدس يوم 4 ذي الحجة سنة 922هـ الموافق ل. 28كانون الأول (1516م)، دامت زيارته لها يومين: قدم فيها العلماء له مفاتيح المسجد الأقصى و قبة الصخرة ، ثم قدم السلطان الهدايا لأعيان بيت المقدس عامة و أعفاهم من الضرائب و ثبتهم في وظائفهم .[2] كما قام بزيارة قبور الأنبياء، و قبل أن يغادر المدينة أقام له سكناها وليمة في الفناء الواسع حول الصخرة.

حيث أخبروه عن تسلط العربان (القبائل) و سكان القرى المجاورة ، فقرر تعمير القدس ، أو بالأحرى إعادة بناء سوره ا، و سمح بعد رجاء من ملك اسبانيا الذي بعث سفيره إلى السلطان بذلك- للحجاج النصارى أن يفيدوا إلى بيت المقدس للزيارة إذا دفعوا الرسم المقرر عليهم من قبل[3].

و لما توفي السلطان"سليم الأول" تتبأ العرش ولده السلطان سليمان الأول الملقب بالقانوني سنة (1520م)، حكم القدس ما بين (1552م/1566م)، وفي تلك الفترة أعاد لبيت المقدس مجدها ، لأنها حظيت بمكانة خاصة في وجدانهم، كما لقبوها(بعين التراث) و كا ن أول أمر أصدره السلطان سليمان هو إجراء الإصلاحات في قبة الصخرة، و أمره الثاني تعلق بزخرفة واجهة الصخرة كما جدد عمارة [4]

[1]القدس و المسجد الأقصى المبارك حق عربي و إسلامي عصي على التزوير، حسن موسى،ص 34.

[2]تاريخ القدس عبر العصور ،إسحاق رباح، ص 229.

[3] المفصل في تاريخ القدس، عارف العارف، ص411.

[4] القدس في العصر البيزنطي و الإسلامي (364هـ/1917م)، إبراهيم الفني، ص230.

سور القدس و القلعة يبن الأعوام(1527م و1540م) .[1] حتى يمنع تسلل الأجانب إلى بيت المقدس، ثانيا لمنع البدو من القيام بغزوات على المدينة.

ومن خلال القراءة في وثائق المحكمة الشرعية بالقدس، تمَّ العثور على سجل خاص يحتوي على تفاصيل عن المخيمات التي تم إنشاءها من أجل العمال ال ذين كانوا يعملون في سور المدينة ، وقد أوضحت أنَّ أعدادا كبيرة من سكان فلسطين قد عملوا في بناء هذا السور الذي استغرق العمل به خمس سنوات. كما حلَّ مشكلة الماء في القدس حيث رصد لها أموالا كثيرة ، وقام ببناء أبنية لحفظ الماء و إيصاله لبيت المقدس (أقنية، برك، حمامات) أما القناة الرئيسية التي كانت تزود القدس بالماء فقد تم تسميتها (بقناة السبيل) و تم ترميمها وإصلاحها[2].

و بالإضافة إلى هذا، اعتنى بالأسبلة الواقعة فيها(القدس)، و رمم القلعة التابعة للمدينة، و أعاد تبليطها و رمم جدران الحرم القدسي والباب الذهبي، وبني تكية "خاصكي سليمان"(و هي عبارة عن رباط وخان و مسجد ومطبخ ضخم لإطعام الفقراء و المحتاجين)، و بني المسجد "القيميري" و مسجد "الطور" و قبتي "الأرواح و الخضر"و حمأمين و مقام النبي داود عليه السلام و مئذنة مسجد القلعة[3].

ثم وظف إيرادات الأوقاف لغرض الإنفاق على المؤسسات الاجتماعية و التعليمية و الدينية و أهم أوقافه سنة (1551م) (وقفي خاصكي) زوجة السلطان الروسية الأصل ووقف السلطان سليمان إضافة إلى أوقاف أخرى، إضافة إلى هذا أنشأ مسجدا فوق جبل الزيتون (الطور) سنة(1517م) في الموضع الذي كانت تقوم عليه كنيسة الصعود ، و على عهده أيضا سكت نقود جديدة سميت باسمه (القطع السليمانية) (أو الفضة السليمانية) و فرض على الحجاج المسيحيين رسوما،يدفعونها لدى ولوجهم [4]

---

[1] القدس في الصراع العربي الإسرائيلي، محمد عوض الهزايمة، ص41.

[2] القدس في العصر البيزنطي و الإسلامي(364هـ1917م)، إبراهيم الفني، ص232.

[3] القدس في صراع العربي الإسرائيلي، محمد عوض الهزايمة،ص41.

[4] تاريخ القدس عبر العصور،إسحاق رباح، ص 230.

كنيسة القيامة، كما عهد بحراسة طريق القدس و يافا إلى آل "أبي غوش"، و أجاز لهم أن يحصلوا من السياح الذين يسلكون تلك الطريق بعض العوائد المقررة(926هـ-1520م)[1].

في عام (1518م) قدمت الحكومة الإسبانية مذكرة إلى الدولة العثمانية طالبت فيها بإعفاء المسيحيين من دفع رسوم الدخول لزيارة القدس .

و في عام (1528م) قدمت الحكومة الفرنسية طلبا يتعلق باستعادة المدرسة الصلاحية و ضمها إلى الكنيسة السيدة "أنّا" و لكن هذا الطلب قوبل بالرفض من قبل السلطان.

أما سنة (1535م) فقد سمحت الدولة العثمانية بالتبادل التجاري مع فرنسا مع منح التجار الفرنسيين رعاية بترويج بضائعهم في الأراضي العثمانية و خاصة في القدس، وقد تم توقيع اتفاقية بين السلطان سليمان الأول و فرنسيس الأول ، مكّنت الفرنسيين اللأُتين من التمتع بنشاط ديني في القدس، كما مكنهم من القيام بإعادة ترميم الأماكن المسيحية القائمة على جبل الزيتون و كان هذا الاتفاق نقطة .[2]

بداية للفرنسيين اللاّتين في استعادة جميع الأماكن المقدسة لدى المسيحيين في القدس ، و في هذه الفترة زار القدس أحد الرحالة اليهود و هو يدعى (ديفيد روس) و هو إيطالي الجنسية و كان قد اختلط بالمجتمع اليهودي في القدس فقال:"نحن هنا لسنا كما في إيطاليا فنحن نتمتع بكل الحقوق و لنا حرية العبادة، و لا يوجد ما يمنع اليهودي من فعل ما يريد و يذكر أنه شاهد في القدس كاهنا يدرس اليهود في مدرسة يهودية، و عن التعامل بين اليهود و الدولة العثمانية يذكر أن هناك حساسية"[3].

---

[1] المفصل في تاريخ القدس،عارف العارف،ص413.

[2] القدس في العصر البيزنطي و الإسلامي (364 م / 1917 م) ، إبراهيم الفني ، ص 235 .

[3] المرجع نفسه ،ص -235.

و قصارى القول، كان عهد السلطان سليمان من أكثر العهود التركية خصبا من الحوادث و المنشآت، و هي مليئة بالحوادث الجسام[1].

تولى السلطنة بعده ابنه السلطان"سليم الثاني"(1566م)، فالسلطان "مراد الثالث ابن سليم الثاني" (1574م)،فالسلطان "محمد الثالث ابن مراد الثالث"(1594) فالسلطان"أحمد الأول ابن محمد الثالث" (1617) فالسلطان"مصطفى الأول ابن محمد الثالث"للمرة الثانية (1621م). و لم يرد ذكر الكثير عن القدس في أيام هؤلاء السلاطين، سوى أن (التبغ) عرف لأول مرة في هذه البلاد على عهد السلطان "أحمد الأول"(1603م) و في زمنه أيضا حرم بيع الخمور. أمًا في زمن السلطان "مراد الرابع"(1622م) فقد حدثت بالقدس حوادث تستحق الذكر: منها أنه حظر على الناس شرب القهوة و تدخين التبغ سنة(1633م)[2].

تراجعت قوة الدولة العثمانية أواخر القرن السادس عشر و السابع عشر، و ظهرت فيها تصاعدات خطيرة في الأوضاع و استمر هذا في أكثر من قرنين.

و تعمق هذا الانحطاط في أواخر القرن السابع عشر،مما أثر سلبا على مدينة القدس حيث زادت تعديات البدو و هجومهم على قوافل الحجيج في بيت المقدس، و لمواجهة ذلك لجأت الدولة العثمانية إلى تعيين شيوخ البدو كأفراد سناجق، و أنشأت مستوطنات للبدو الرحل ، مما أثار سخط أهل القدس و جعل السلطان العثماني يقوم بإلغاء هذا التعيين ، وفي عام(1597و1598م) صدرت أوامر بتفتيش الأديرة لأنها كانت تستخدم كمخازن للأسلحة[3].

---

[1] المفصل في تاريخ القدس، عارف العارف، ص 415.

[2] المرجع نفسه ، ص414.

[3] تاريخ القدس عبر العصور، اسحاق رباح، ص 230.

وبعد وفاة السلطان "مراد الرابع"تولى السلطنة "إبراهيم بن أحمد الأول"(1639م) ثم ابنه "محمد الرابع" سنة (1648م) و على عهده بنيت المئذنة الكائنة داخل القلعة(1655م) و أنشأ المصلى الكائن بجانب سبيل" شعلان" سنة(1651م)/ و أحسن وصف للقدس، خلال ذلك العهد للرحالة التركي أوليا جلبي الذي زارها حوالي سنة 1670م، قال:"القدس بلاد عظيمة، كائنة على هضبة مرتفعة، هوائها عليل[1] ، و ماؤها عذب،و سكانها نظار الوجوه ، إنها هوى أفئدة الكثيرين من الناس لا من حيث قدسيتها فحسب، بل من حيث اقتصادياتها ووفرة حاصلاتها أيضا[2].

و يظهر من الأسلوب الذي اتبعه هذا الرحالة في وصف القدس، أنه كان مرتاحا لكل ما رآه فيها و سمعه عنها، ما عدا مسألة (الأمن) فقد قال عنه:"أنه كان مفقودا بالمرة" ، حتى عندما أبدى رغبته في زيارة الخليل أرفقه الأمير بعشرين خيالا كانوا في حراسته منذ أن غادر القدس إلى أن وصل إلى .[3]

الخليل و رجع منها ، و ذلك لأن قطَّاع الطرق و الأشقياء كانوا يوقفون السابلة،و يسلبونهم كل ما يجدونه معهم من أمتعة و نقود. كما أنهم كانوا يخَّربون ينابيع المياه الواقعة على الطريق و كثيرا ما قاسى أهل القدس الأمرَّين من جراء انقطاع الماء عنهم ، الأمر الذي حد ا بفاتح بغداد السلطان "مراد"إلى إقامة حرس قوي عند برك سليمان ، و قد أنشأ لهم قلعة أسماها (قلعة مراد) يقوم على حراستها دزدار و أربعون جنديا ، مزودون بالمدافع و الأسلحة و الذخائر الحربية الكافية. و في داخل هذه القلعة مسجد للصلاة و خمسون دارا معدة لسكن الجنود ، ولم يأت سلطان من بعده إلا و قد أولاها جانبا من اهتمامه، و بهذه الطريقة تمكن الجميع من صون الينابيع و الطرق[4].

---

[1] المفصل في تاريخ القدس/ عارف العارف، ص 415

[2]المرجع نفسه ، ص 415.

[3]المرجع نفسه ، ص 417 .

[4]المفصَّل في تاريخ القدس ، عارف العارف ،ص 417.

و في عام 1673م نجحت فرنسا من تج ديد الامتيازات الأجنبية و تأكيد دورها كح امية للكاثوليك، و في عام 1642م حصلت النمسا على حق رعاية اللاتين، وحصلت بولندة عام 1699م على حق إعادة (الفرنسيسكان) إلى القبر المقدس، و حصلت النمسا عام 1699م على حق تمثيل المصالح المسيحية في القدس، وهذا إلى جانب تحمل العثمانيين صعوبات جمة في محاولتهم حل التناقضات و النزاعات بين الطوائف المسيحية خصوصا بين اللاتين و الروم و الأرمن[1].

و في سنة (1696م) زار القدس أيضا رحالة إفريقي يدعى (هنري موندرل) ووصفها في كتاب أسماه(رحلة من حلب إلى القدس) و قد ذكر:

أنّ القدس كانت تابعة إلى طرابلس الشام، و انه عندما زار القدس ورفقاءه انتظروا مقدار نصف ساعة عند باب المدينة الغربي، كما ذكر أن وافدين على المدينة كانوا يحتاجون إلى إذن من الباشا .[2]

للدخول إليها، إذ كان محرما على الفرنجة دخولها أو حتى الدنو من أسوارها دون إذن ، كما كان على الزائرين تسليم أسلحتهم إلى الجند المرابطين على الأبواب ، و ذكر أيضا أنه عند لوصولهم إلى كنيسة القيامة،رأوا على أبوابها عددا من الجند المعروفين (بالانكشاريين)* و معهم عدد من الضباط أقيموا هناك ليراقبوا الزائرين و يحصلوا منهم على (ضريبة الغفر)[3].

---

[1]تاريخ القدس عبر العصور ،إسحاق رباح،ص230.

[2] المفصَّل في تاريخ القدس ، عارف العارف ، 418 .

* هم صنف من الجند استخدمهم الأتراك العثمانيين، و كانوا في بادئ الأمر يعتمد عليهم في حروبهم. و لما عانوا في البلاد فسادا، رأى السلطان محمود أن يتخلى عنهم. فراح يطاردهم. ونجح في مطاردتهم(عارف العارف،ص 424).

[3] المفصل في تاريخ القدس، عارف العارف،ص 418.

و كانت عبارة على أربعة عشرة دولارا عن كل واحد من اللاتين، و نصف هذا المبلغ عن كل واحد من الرؤساء الروحيين،و إنهم بعد انتهاءهم من زيارة الأماكن المقدسة في المدينة غادروها في قافلة بلغ عددها ألفين من جميع الأجناس و الطوائف، مع مرافقة حاكم المدينة و عدد غير قليل من جنده ، وأكد أن دخول غير المسلمين إلى الحرم القدسي كان ممنوعا ، و بعد ذلك لم نسمع عن القدس إلا النزر اليسير.

لقد كان القرن السابع عشر قرن مرحلة انتقال بين رخاء القرن السادس عشر و انحدار القرن الثامن عشر، و هكذا كان الأمر بالنسبة للقدس، حيث فقدت فيها المدارس و الربلطات و الزوايا، والبيمرستان حيويتها.[1] فكانت الإضافات و التعميرات قليلة، منها ترميم السبيل الأيوبي و جامع الحنابلة، و قبة الصخرة، والحرم القدسي، و مقامات الأنبياء و الأولياء[2].

أما عن القدس و نابليون فقد كان الناس يظنون أنه بعد فتحه لمدينتي الرملة و يافا، أنه سيولّي شطر بيت المقدس ليفتحها هي الأخرى ، حتى أنَّ الأتراك سجنوا في كنيسة القيامة يومئذ جميع الروم الأرتودكس. و لما سئل عن سبب عزوفه عنها قال بحدة:"لا فإن بيت المقدس غير مذكور في الخطة التي توخيت المسير عليها"[3].

---

[1] تاريخ القدس عبر العصور، إسحاق رباح، ص 231.

[2] المرجع نفسه ،ص 231.

[3] المفصل في تاريخ القدس، عارف العارف،ص 421.

وفي عام 1703م شهدت القدس انتفاضة ضد حاكم القدس (محمد باشا) بسبب كثرة الضرائب و لما عجزت الدولة العثمانية عن إخماد الانتفاضة لجأت إلى وسيلتين:

* **أولهما:** تعيين عدد من الأعيان الفلسطينيين من ذوي النفوذ حكاما للقدس و على بعض القرى الأخرى في فلسطين.

* **ثانيهما:** زادت في القدس مكانة العائلات و أعيانها في السلطة (من العائلات:طوقان، النمر، العسيلي)، وشهد حكم "عمر النمر" تأمين الحج و عمارة سور القدس قرب باب الأسباط، و مقام الشيخ "محمد العلمي" في جبل الطور ، وهذا زاد من سلطة عائلات القدس خاصة الحسيني، و الخالدي ، و أبو اللطف، حتى أصبحوا أهم أدوات الحكم ، و على الرغم من اعتماد هذين الأسلوبين إلا أن ذلك لم يحقق هدف الدولة من حل المشكلة الأمن و الطرق و غزوات البدو ، حيث كانت تضطر أحيانا لإسناد هذه المهمات لوالي دمشق[1].

بعد السلطان سليم الثالث تولى الملك السلطان مصطفى الرابع ابن السلطان عبد الحميد الأول(1807م) وبعده تولى الحكم أخوه السلطان محمود الثاني(1808م) و على عهد السلطان وقعت في القدس وقائع كثيرة منها:

أن السلطان ألغى نظام (الانكشارية) و طارد رجالها مطاردة لا هوا دة فيها حتى أنه منع الناس من ذكرهم و قد أمر المسيحيين الأرثودكس أن لا يعمروا أي قسم من كنيسة القيامة أو أي معبد من معابدهم. أما اللاَّتين فقد سمح لهم ببناء غرف جديدة في ديرهم، كما سمح لهم بتعمير القسم الذي يخصهم من كنيسة القيامة .[2]

[1] القدس عبر العصور ،إسحاق رباح، ص (231-232).

[2]المفصل في تاريخ القدس، عارف العارف، ص 424 – 425.

و يمثل عام 1808م-1831 نهاية الفترة الأولى من الحكم العثماني، وقد عاشت القدس فيه سلسلة من الاضطرابات و الثورات.

و تعرضت المدينة للتخريب خاصة سنة (1808م) حيث شب حريق دمَّر الجزء الغربي من كنيسة القيامة (القبر المقدس)،و في سنة (1809م) حدثت فيها ثورة و تمرَّد تم فيه طرد متسلم القلعة. و في سنة(1821م) و بعد حدوث الثورة اليونانية على العثمانيين، تعاطف مسيحيو القدس مع الثورة ، فأصدر العثمانيون على إثرها أمرا بجمع السلاح من المسيحيين ، و في عام (1824م) شهدت القدس ثورة مشابهة للثورة السابقة، تباينت حولها الأسباب و الدوافع خاصة في باب تزايد عبئ الضرائب على أهل القدس و استبداد الحكام بهم[1].

" و في عام (1825) حدث تمرد و استئناف للثورة السابقة تمَّ فيها احتلال أهل القدس للقلعة وقد خربوا أبوابها، لكن العثمانيين أخمدوها بالقوة"[2].

ولقد استمر الاهتمام بالمدينة المقدسة، طيلة حكم الحلفاء من بني عثمان، وقدر لها أن تقع تحت إدارة إبراهيم باشا ابن محمد علي (عام 1831-1840م)، فشهدت المدينة تحديثا في الإدارة فنشر روح التسامح، و فرض التجنيد الإجباري، و جمع السلاح، و أزال نفوذ الإقطاع و المشايخ الأمر الذي عجل في نهاية حكمه، ثم عادت المدينة لإدارة العثمانيين المباشرة[3].

---

[1]تاريخ القدس عبر العصور، إسحاق رباح،ص 234.

[2]المرجع نفسه ، ص 235.

[3]القدس في صراع العربي الإسرائيلي، محمد عوض الهزايمة ، ص 42.

وقد حدث نوع من التطور العمراني خلال فترة الحكم المصري على بيت المقدس و خاصة بعد أن سمح (إبراهيم باشا) للمسيحيين ببناء كنائس و إقامة الضواحي السكينة لليهود خارج أسوار المدينة و خاصة في منطقة وادي الجوز، كنائس و أديرة خارج أسوار القدس، حيث أقيمت (المسكوبية) في ذلك العام، ثم دارا لأيتام (شلنر) عام 1860م منذ عام 1865م شرع بإقامة مجموعة من الضواحي السكينة اليهودية، "و كان من أوائلها ضاحية (منتفيوري) و (اشكانو تشينانيم) كما أنشأت مجموعة من الضواحي للإرساليات الأجنبية".

تميز الحكم العثماني منذ القرن السابع عشر بالخلافات بين الطوائف المسيحية المختلفة، ونزاعها على النفوذ على الأماكن المقدسة وكان من نتائج هذه الخلافات حرب القزم سنة (1835) بين روسيا التي ادَّعت حماية اللاتين. و في إعقاب هذه الحرب أدخلت الدولة العثمانية بعض الإجراءات الإصلاحية التي تقضي بالمساواة بين جميع الرعايا العثمانيين و أخدت تسمح تعيين قناصل لإنجلترا و فرنسا و غيرها من الدول الغربية ، و بدأ التغلغل الاستعماري في البلاد و جرً معه ازدياد الهجرة اليهودية و تفاقم عدد اليهود في القدس تدريجيا ، و مع نهاية الحرب العالمية الأولى(1917م) قضي على الحكم العثماني الذي امتد على بيت المقدس 400 سنة من (1517 حتى 1917م)[1].

[1] قصة مدينة، يحي فرحان، ص 27.

الفصل الثاني

المبحث الأول

البعد الديني لبيت المقدس

البعد الديني:

القدس في الديانات الثلاث:

القدس عاصمة القداسة في العالم، فهي مدينة يقدسها ثلثا سكان الأرض، و هي المدينة الوحيدة في العالم التي ترتبط بها الرسالات السماوية الثلاث: اليهودية، و المسيحية و الإسلام.

هاجر ابراهيم الخليل من أور إليها، و منها هاجر آل يعقوب إلى مصر نحو سنة (1656 ق.م) و عبر موسى البحر إليها لكنه توفي عام (1656 ق.م) قبل أن يدخلها. و اتخذها نبي الله داود عاصمة لدولته سنة (1004 ق.م) و خلفه عليها ابنه سليمان، و كانت المدينة مسرحا لدهوة سيدنا زكريا و يحيى، و من بعدهما المسيح عليه السلام. و منها عرج بمحمد صلى الله عليه و سلم إلى السماء ليلة الإسراء و المعراج.

القدس في اليهودية:(التوراة) :

يعد التلموذ كتاب اليهود الحقيقي، أما التوراة فهو مجرد كتاب تاريخي أسطوري في معظمه. و لا خوف مطلقا على (التلمود) طالما أنه لا و لن يقع بيد العامة، حتى اليهود منهم، و طالما أن كتب فيه منذ أقدم العصور لم يتم تحريفه أو تعديله في الطبعات المتتالية[1].

و بهذا تكون التوراة التي يعتمد عليها اليهود هي في الواقع ليست يتوراة موسى بن عمران عليه السلام و لم ترد فيها مطلقا اسم أورشيلم أو القدس. و إنما التوراة المحرفة التي كتبت بفترات متقطعة من الزمن على أيدي أحبارهم و كهنتهم، حيث كانوا يكتبون ما تمليه عليهم ميولهم و أهواءهم، و وفق أغراضهم، و هو يصور حياة بني اسرائيل، و مآسيهم و سبيهم عبر الأحداث التاريخية، أكثر مما يصور حقيقة المدينة المقدسة [2].

هناك روايتان بهذا الخصوص الأولى يذكرها اليعقوبي و هي:

خرج موسى من مصر و اتجه إلى مدين و لما قضى الأجل سار بامرأته يريد بيت المقدس [3]، على ما قص الله عز و جل في كتابه العزيز.

وجعل بنو إسرائيل يستعجلونه ليدخل الأرض المقدسة (بيت المقدس). فأوحى الله عز وجل إلى موسى أن يكتب العشر الآيات أو (الوصايا العشر) في لوحي زمرد، فكتبها على طور سيناء، وقد استبطأه قومه، وعملوا عجلا فعبدوه وبعد رجوع موسى إليهم اشتد غضبه عليهم، فألقى الألواح وكسرها[4].

---

[1] التوراة تاريخها و غاياتها، سهيل ديب، دار النفائس، بيروت، الطبعة الأولى (1392 هـ / 1972 م)، ص 42.

[2] تاريخ القدس عبر العصور، اسحاق رباح، ص 54.

[3] تاريخ اليعقوبي، اليعقوبي، دار صادر، مج1، بيروت، ص 37.

[4] المصدر نفسه ، ص 37.

وقد ذكر القرآن الكريم قبل زهاء أربعة عشر قرنا أن اليهود قد حرفوا التوراة الأولى. فقال تعالى: (يحرفون الكلم عن مواضعه) (46)[1] وقال أيضا: (يسمعون كلام الله ثم يحرفونه) (75)[2]. وقد أثبت البحث الدقيق والتقدم العلمي الكبير حقيقة هذا التحريف، كما قال العالم اليهودي (أبا هليل سلفر): (حتى الوصايا العشر التي يكاد يجمع العلماء أنها الشيء الوحيد المتبقي من التوراة الأصيلة لم تكن بكمالها، وعلى هيئتها الحالية كالتي أتى بها موسى)[3].

أما الرواية الثانية، فقد ذكرها المسعودي وهي: أن السامريين أو الأسامرة وهم أحد الفرق الإسرائيلية، والذين استوطنوا مدينة (نابلس) منذ القدم والذين اختلفواوانشقوا عن سكان يهوذا، ادعوا أن التوراة الحقيقي (توراة موسى) كان بأيديهم، وهم يعتقدون أنه لا نبي بعد موسى عليه السلام وفي رأي الأسامرة هؤلاء أن نابلس هي (بيت المقدس) وليس القدس الحالية[4].

كما خلص فاضل الربيعي إلى نتيجة مؤداها أن القدس الواردة في التوراة موضع يقع إلى الجنوب من مدينة تعز باليمن وأن كل ما يقال عن المكان الوارد ذكره في التوراة باسم (قدش – قدس) قصد به المدينة العربية، أمر يتنافى مع الحقيقة التاريخية والوصف الجغرافي، ولا صلة له بالعلم، وأن القدس ليست هي أورشليم كما تزعم الكتابات المعاصرة للكتاب المقدس، أما القدس العربية فقد كان اسمها التاريخي الذي عرفه العرب في الجاهلية ثم الإسلامي يتداخل مع اسم (بيت المقدس) باعتبار أن تسمية "القدس" العربية بهذا الاسم حديثه نسبيا ولاحق على التوراة[5].

---

[1] سورة النساء، الآية 46 .

[2] سورة المائدة، الآية 41 .

[3] تاريخ القدس عبر العصور، اسحاق رباح، ص 55.

[4] مروج الذهب، المسعودي، ج1، بيروت، 1965، ص 72-74

[5] تاريخ القدس عبر العصور ، إسحاق رباح ، ص 56

عندما خرج بنو إسرائيل من مصر على عهد فرعونها ر عمسيس الثاني وولده مرن بتاح، وكان ذلك عام (1350 ق.م) اجتازوا بقيادة موسى عليه السلام صحراء سيناء وقد تاهوا فيها أربعين عاما، حاولوا في بادئ الأمر دخول فلسطين من ناحيتها الجنوبية، فوجدوا فيها قوما جبارين، عندئذ ذهبوا إلى جال آدوم وموآب والبلاد الواقعة شرقي الأردن، في تلك الآونة كان موسى قد مات، وقبل أن يموت حمل إلى جبل نبو بالقرب من مأدبا حيث ألقى نظرة على أرض الميعاد [1].

(قال له الرب هذه الأرض التي أقسمت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب قائلا لنسلك أعطيها، قد أريتك إياها بعينيك، ولكنك إلى هناك لا تعبر)[2].

ولهذا يزعم اليهود أنهم أصحاب حق في فلسطين والقدس من بين مدنها باعتبارها الأرض التي وعدهم الله بها، ويذكر محمد فيصل عبد المنعم أننا إذا سلمنا بصحة هذا الزعيم فإن هذا الوعد الإلهي ليس موجها إلى اليهود فقط، وإنما هو وعد لسيدنا إبراهيم عليه السلام وذريته من بعده، يتساوى في ذلك إسرائيل (يعقوب) وذريته وإسماعيل وذريته أيضا، مما يعني أن الوعد ليس مقصورا على بني إسرائيل وحدهم وإنما هو لسلالة إبراهيم على الإطلاق، وقد ثبت أن أنبياء الديانات الثلاثة: (موسى، عيسى، محمدصلى الله عليه وسلم كلهم يرجعون إلى جدهم الأكبر سيدنا إبراهيم عليه السلام، وبالتالي فكلهم أصحاب حق في فلسطين، وليس اليهود وحدهم [3].

تولى قيادة بني إسرائيل بعد موسى لارتياد فلسطين، ولمامات يوشع بعد أن حكم سبعا وعشرين سنة، تولى القيادة بعده يهوذا وأخوه شمعون وقد غزا بنو إسرائيل على عهد هما الكنعانيين مرة أخرى، وحاولوا إخضاعهم، وتمكنوا من الزحف إلى أورشليم "وحارب بنو أورشليم وأخذوها وضربوها بحد السيف، وأشعلوا المدينة بالنار وبعد ذلك نزل بنو يهوذا لمحاربة الكنعانيين سكان الجبل والجنوب والسهل"[4].

---

[1] المفصل في تاريخ القدس، عارف العارف، ص 47.

[2] سفر التثنية، الإصحاح 34.

[3] فلسطين قلب العروبة، محمد فيصل عبد المنعم، دار المعارف ، مصر ، 1967م ، ص 20

[4] المفصل في تاريخ القدس، عارف العارف، ص 47-48.

حصل انشقاق بين اليهود والسامريين حولي (432 ق.م) بعد عودة عزرا ونحميا من السبي، حيث دافعا عن فكرة النقاوة العنصرية وطردا من أورشليم حفيد الكاهن الأعلى لزواجه من ابنة الحاكم السامري، ويبدوا أن الشاب المطرود أصبح كاهن السامريين وبنى هيكل لأجله على جبل (جريزيم) لينافس هيكل أورشليم، وكان كتاب اليهود المقدس حينذاك يتألف من الكتب الخمسة فقط، ولذا فإن هذا القسم من العهد القديم ظل منذ ذلك الحين الكتاب المقدس الوحيد للسامريين، وقد نقلوه في نوع قديم من الحروف العبرية، وجريزيم وليس صهيون هو المكان المقدس الحقيقي بالنسبة لهم، وقد ازداد العداء بين اليهود والسامريين مع الزمن، ليس حول ثوراتهم فحسب، بل حتى حول مدينة القدس ومكانها أو موقعها الجغرافي، هذا فيما يتعلق بتوراة موسى بن عمران وتوراة السامريين، أما الأسفار التي كتبها جماعة من الأنبياء في أوقات مختلفة، كتبوا أكثرها في فلسطين، وأما ما تبقى منها مثل (حزقيال) و(المزامير) فقد كتب في وادي الفرات أيام السبي[1].

وفي هذا الشأن يقول الجويني ت (478هـ).

أن التوراة التي كتبها عزرا قبل بعثة المسيح بخمسمائة وأربعين سنة. ويقول: (سكندركيدس) وهو من فضلاء المسيحية المعتمدين في ديباجة الكتاب المقدس: "ثبت لي بظهور الأدلة الخفية ثلاثة أمور جزما[2]. أن التوراة الموجودة ليست من تصنيف موسى، والثاني أنها كتبت في كنعان أو أورشليم، يعني ما كتبت في عهد موسى، (كان بنو إسرائيل في هذا العهد في التيه)، والثالث: لا يثبت تأليفها قبل سلطنة داود والأمر المؤكد هنا أن تأليفها كان بعد خمسمائة سنة من وفاة موسى.[3]

---

[1] تاريخ القدس عبر العصور، إسحاق رباح، ص 56.

[2] مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية و القانونية، المجلد 23، العدد الثاني، 2007، مقال: ابن حزم الأندلسي رائد الدراسات النقدية للتوراة، ص 454.

[3] ابن حزم الأندلسي رائد الدراسات النقدية للتوراة ، إبراهيم أحمد الديبو، مجلة دمشق للعلوم الاقتصادية و القانونية ، المجلد 23 ، العدد الثاني ، 2007م ، ص454 .

إن التوراة التي يعتمد عليها اليهود هي في الواقع ليست بتوراة موسى بن عمران عليه السلام، ولم ترد فيها مطلقا سم "أورشليم" أو القدس، وإنما التوراة المحرفة التي كتبت في فترات متقطعة من الزمن، على أيدي أحبارهم وكهنتهم، حيث كانوا يكتبون ما تمليه عليهم ميولهم وأهوائهم، ووفق أغراضهم.

ومن خلال كل ما ورد سابقا يمكننا القول إن التوراة لم تحفظ وإنما فقدت، وضاع أصلها لأسباب كثيرة أهمها: ما تعرض له بني إسرائيل من سبي وقتل واضطهاد عبر التاريخ، كما أن ملوكهم لم يكونوا أهلا لحفظ التوراة، بل كانوا ينتقلون من سيئ إلى أسوأ منه.

ويظهر لنا أن أورشليم ليس لها أثر أو موقع أو ذكر في الديانة اليهودية الموسوية، ولم تأخذ قداستها إلا في زمن داود وسليمان، و اتخذت هذه القداسة الدنيوية موضعا دينيا بعد كتابة التوراة البابلية وفي زمن الأسر البابلي، على شكل حنين إلى فردوس مفقود[1].

وأقدم أسفار التوراة هو سفر عاموس (AMOS) ويرجح أنه كتب حوالي سنة (750 ق.م) وأما آخر ما كتب منها، فهو سفر "دانيال" (DANIEL) والإصحاحان الرابع والخامس من سفر "المزامير" وقد كتبت هذه في القرن الثاني قبل المسيح، وإضافة إلى التوراة هناك التلمود (Talmod) الذي يكمل أحكام التوراة، وهناك نوعان من التلمود: التلمود الفلسطيني، أو التلمود الأورشليمي (Yeruschalmi) كما يسميه العبرانيون اختصارا، والتلمود البابلي نسبة إلى بابل بالعراق ويعرف عندهم باسم (بابلي) اختصارا، أما التلمود الفلسطيني فقد وضع في فلسطين، وقد تعاونت على تعبيره المدارس اليهودية في الكنائس (الكنيس).

وقد كانت هذه مراكز الحركة العلمية عند اليهود في فلسطين وأعظمها مركز (طبرية) وفي هذا المحل وضع الحبر (رابي يوحنان) التلمود الأورشليمي في أقدم صورة من صوره في أواسط القرن الثالث الميلادي، وتلاه أحبار آخرون وضعوا شروحا، وتفاسير عدة تكون منها هذا التلمود الذي اتخد هيئته النهائية في القرن الرابع الميلادي[2].

---

[1] هيكل سليمان بين الحقيقة و الخيال، محمد سمحان، ص 27.

[2] تاريخ القدس عبر العصور، إسحاق رباح، ص 57.

أما التلمود البابلي فقد بدأ كتابته الحبر (رابي – أشي) المتوفى (430م)، وأكمله الأحبار من بعده، واشتغلوا فيه حتى اكتسب صيغته النهائية في أوائل القرن السادس للميلاد.

و لكل تلمود طابع خاص به ولذلك يغلب على التلمود الفلسطيني طابع التمسك بالرواية والحديث والتلمود البابلي يظهر عليه الطابع العراقي المتميز بعمق التفكير والتوسع في الأحكام، والمحاكمات، وغني في المادة وهناك تلمود آخر يسمى "بالتوراة اليوناني" [1]

يذكر مجير الدين في كتابه: "الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل" : أنه لما تولى بطليموس الثاني (ملك اليونان) والمسمى عند اليهود (تلماي) أرسل رسولا وهدايا إلى بني إسرائيل المقيمين بالقدس الشريف، وطلب أن يرسلوا له بعضا من علماء بني إسرائيل، لنقل التوراة وغيرها إلى اللغة اليونانية، فسارعوا إلى الامتثال لأمره، وتزاحموا في الذهاب إليه، واختلفوا، ثم اتفقوا على أن يبعثوا إليه من كل سبط من أسباطهم الستة، فبلغ عددهم اثنين وسبعين رجلا، ولما وصلوا إلى بطليموس أحسن قيامهم، وصيرهم ستا وثلاثين فرقة، وخالف بين أسباطهم، وأمرهم فترجموا له ستا وثلاثين نسخة من التوراة، وقابل بعضهما ببعض فوجدها مستوية، وفرق النسخ المذكورة في بلاده وكانت التوراة المنقولة لبطليموس هي التوراة اليونانية[2].

ظهر الكاهن عزرا من بيت صادوق بعد سيطرة الكهنة الصدوقية على أهل السبي واليهوديين وقد هيأته قدرته الدينية والثقافية للقيام بدور تاريخي كبير في التاريخ الدين اليهودي بشكل متسلسل، ويتعاون مع فريق من الكهنة اللاويين والكتبة حيث بدأ بجمع المرويات الشعبية الشائعة في البلاد يهوذا وتم عرضها بطريقة دينية ثم قام الكتبة بتشجيع من الكهنة اللاويين بكتابة (سفر اللاويين) وسفري (العدد والتثنية) في الشريعة وأما سفر (عزرا).[3]

---

[1] تاريخ االقدس عبر العصور، إسحاق رباح، ص 57.

[2] الأسس الجليل بتاريخ القدس و الخليل، مجير الدين الحنبلي، ص (155-156).

[3] تاريخ القدس عبر العصور ، إسحاق رباح ، 94 .

فقد كتب لاحقا بعد عزرا (لأن مضمونه لا يشير إلى عزرا) ولقد عاد مع عزرا إلى القدس فرد حسب العهد القديم فوجد أهل السبي والكهنة، وقد اختلطوا بالشعوب الأخرى وتزوجوا من نساء أقوام أخرى، فأعتبر ذلك إثما عظيما سيعاقب عليه الرب، وطلب منهم أن يستغفروا ثم عاد عزرا إلى بابل و استمر في إعادة كتابة المرويات، بعدما جمع من التراث الكنعاني ما طاب له وقد أدخله مع تراث يهوذا السابق.

و في عام (445 ق.م) زار عزرا القدس ثانية بعد أن أكمل كتابته للشريعة، وجاء بها إلى أهل يهوذا ليهديهم إلى السنة الصحيحة كما ذكرها سفر نحميا وشهدت الفترة اللاحقة تزمتاً شديدا في الدين اليهودي، وزاد ترسخ القدس كمدينة مركزية استأثرت بالعبادة الحقيقية، وتوجب الاحتفال بالأعياد الكبرى (الفصح) على رابية صهيون، وحج دوري سنوي إلى الهيكل، وترسخ أيضا اعتبار (يهوا) إلى وحيد في العالم وللعالم، وبهذا وفي أجواء مركزية الهيكل والرب والأعياد والشعائر، نشأت الأصولية اليهودية متزمتة مطلقة ومغلقة على نفسها ويبدوا أن عام (330 ق.م) شهد فراق نهائي بين يهود أورشليم والسامريين[1].

ذكرت القدس في العهد القديم في مواطن عدة باسم "أورشليم"، وهو الاسم الكنعاني لها وأطلقوا عليها اسم "أورشليم" و أور معناها مدينة أي مدينة السلام وقلب اليهود السين شينا على عاداتهم فصارت "أورشليم"، ولغتهم كما هو معروف مأخوذة عن اللغة الكنعانية، [2] وجاء في سفر صموئيل: كان داود ابن ثلاثين سنة حين ملك، وملك أربعين سنة في حبرون ملك على يهوذا سبع سنين وستة أشهر وفي أورشليم ملك ثلاثا وثلاثين سنة على جميع إسرائيل يهوذا، وزحف الملك ورجاله على أورشليم، على اليبوسيين، سكان تلك الأرض ملك داود وقالوا: إنك لا تدخل إلى هنا، فحتى العميان والعرج يصدونك... لكن داود أخذ حصن صهيون.[3]

---

[1] تاريخ القدس عبر العصور، إسحاق رباح ، ص 94-95.

[2] تاريخ القدس وحاضرها ، عزت جرادات ، ص37 .

[3] سفر صاموئيل الثاني ، الإصحاح 5 ، (5 ، 6) .

لقد غزا العبرانيون فلسطين، وبعد مرور مأتي سنة لم يتمكنوا من دخول القدس (يبوس)، ويقول سفر القضاة في قرابة 1095 ق.م عن إسرائيلي وامرأته وخادمه وكانوا يمرون بمدينة يبوس حين غربة عليهم الشمس[1].

"وفيما هم عند يبوس والنهار قد انحدر جدا قال الغلام لسيده تعال نميل إلى مدينة غريبة لا أحد فيها من بني إسرائيل"[2].

ذكرت المدينة منذ بدايات ظهور إبراهيم عليه السلام في سفر التكوين [3]، الإصحاح الرابع عشر: "وملكي صادق، ملك شالمي أخرج خبزا وخمرا وكان كاهنا لله العلي وباركه وقال: مبارك أبرام* من العلي ملك السماوات والأرض"[4]. ولكن لم تكن هناك كلمة تدل على تفضيل لهذه المدينة من قبل إله إسرائيل: أو أمرا بتقديسها ولم تشر الأسفار الخمسة إلى أية خاصية تتمتع بها المدينة كما لم يذكرها موسى عليه السلام عندما مضى إلى ربه أما سفير (يسوع والقضاة) فلم يخبرنا شيئا عن أورشليم، يوحي بقداستها أو خصوصيتها كما لم يذكرها سفرا صموئيل، ولم يخبرنا الملك شاؤل شيء عنها ولم يكن مهتما بها (أو لم تكن ضمن مخططاته العسكرية والملكية) وبالمثل أيضا بالنسبة إلى داود الذي لم يذكرها حتى عندما وصى ابنه سليمان، كل هذا يجعلنا نتأكد من أنها لم تكن ذات ميزة خاصة دينية كانت أو سياسية أو عسكرية بالنسبة إلى بني إسرائيل آنذاك كما يزعمون[5].

---

[1] هيكل سليمان بين الحقيقة و الخيال، محمد سمحان، دار البداية، عمان، الطبعة الأولى، (2013 م / 1434 هـ)، ص 23

[2] سفر القضاة، الإصحاح الأول ، (6 2)

[3] أورشليم القدس في الفكر الديني الإسرائيلي، محمد جلا ء إدريس، مركز الإعلام العربي، الطبعة الأولى، أفريل 2001، ص 58.

* أبرام: معناه إبراهيم عليه السلام.

[4] الإصحاح 14، سفر التكوين، ص 10.

[5] أورشليم القدس في الفكر الديني الإسرائيلي، محمد جلا ء إدريس، مركز الإعلام العربي، الطبعة الأولى، أفريل 2001، ص 59.

ذكرت القدس في العهد القديم في مواطن عدة باسم "أورشليم"، و هو الاسم الكنعاني لها و أطلقوا عليها اسم (أورسلايم) و أور معناها مدينة، أي مدينة السلام، و قلب اليهود السين شينا على عاداتهم فصارت "أورشليم"، و لغتهم كما هو معروف مأخوذة من عن اللغة الكنعانية [1]، و جاء في سفر صموئيل: كان داود ابن ثلاثين سنة حين ملك، و ملك أربعين سنة في حبرون ملك يهوذا سبع سنين و ستة أشهر. و في أورشليم ملك ثلاثا و ثلاثين سنة على جميع إسرائيل و يهوذا، و زحف الملك و رجاله على أورشليم، على اليبوسيين، سكان تلك الأرض، فكلموا داود و قالوا: إنك لا تدخل إلى هنا، فحتى العميان و العرج يصدونك... لكن داود أخذ حصن صهيون [2]

وورد في سفر إخبار الأيام: "وسمعت ملكة سبأ بخبر سليمان فأتت تمتحن سليمان بمسائل إلى أورشليم، بموكب عظيم جدا [3] ، وورد في أشعياء: "ويكون في آخر الأيام أن جبل بيت الرب يكون ثابتا في رأس الجبال، ويرتفع فوق التلال، وتجري إليه كل الأمم، وتسير شعوب كثيرة، ويقولون: "هلم نصعد إلى جبل الرب، إلى بيت إله يعقوب، فيعلمنا من طرقه ونسألك في سبيله لأنه من صهيون تخرج الشريعة، ومن أورشليم كلمة الرب"[4].

ويذكر إصحاح أشعياء (أورشليم) أي القدس ربما في الكل رؤيا وكل ترنيمة والجدير ذكره عموما أن التوراة مدحت أورشليم وتغنت بها كثيرا وهذا كله من وضع حاخاماتهم وكتاباتهم في فترة الشتات بعد موسى عليه السلام بألف عام.

لقد جاء تقديس اليهود للقدس من نزوحهم إليها بعد انهيار سد مأرب في اليمن مثلهم مثل القبائل العربية التي نزحت إليها، وبوجودها في قبائل مهاجرة لا دولة لهم، كانت تقوم بأعمال تسوء الآشوريين والكلداينين والفرس والفراعنة والرومان وتغضبهم، فكانوا يبطشون بهم ويأسرونهم، وفي هذه الأثناء أكبر الله أنبياءهم لإصلاحهم فكانوا يعصونهم ويقتلونهم كما أخبر القرآن الكريم عنهم[5].

---

[1] تاريخ القدس و حاضرها، عزت جرادات، ص 37.

[2] الإصحاح 5، سفر صموئيل الثاني، (5،6).

[3] سفر أخبار الأيام الثاني، الإصحاح 9، (8،9)

[4] سفر إشعياء، الإصحاح 2، (1،2)

[5] تاريخ القدس و حاضرها، عزت جرادات، ص 38.

حكم سليمان من (960 – 931 ق.م) وفي عهده تم بناء الهيكل الذي عرف فيما بعد ب "هيكل سليمان" وقد بناه بناءون كنعانيون على نمط هياكلهم تماما، وكان مهندسه (حيرام أبي)[1].

ويقول كعب الأحبار: "إن سليمان بني بيت المقدسة (الهيكل) على أساس قديم (أي على أساس هيكل ملكي صادق) ملك يبوس أوان وصول إبراهيم الخليل إلى يبوس (القدس)[2].

ويؤيده في هذا مجير الدين الحنبلي حيث يقول: "هذه الأقوال تدل على أن بناء داود وسليمان أنما كان على أساس قديم لأنهما ليسا المؤسسين له بل المجددان"[3]. تماما كما أن إبراهيم وإسماعيل قبلهما كانا مجددين في بناء الكعبة ولم يكونا مؤسسين[4].

وذكرت التوراة أن الله أعطى سليمان ملكا عظيما، فملك من النهر إلى فلسطين، وإلى تخوم مصر، وخضع له عدد كبير من الجنود، وبني بيت الرب، وجدد بناءه، وجعل فيه مكانا للتابوت، وجعل الله المسجد الذي بناه سليمان قبلة بني إسرائيل في صلاتهم[5].

وقدسية المدينة في تصورهم العقائدي تعود إلى عدة اعتبارات، منها: اعتبارها مركز تراثهم الديني كالهيكل والحائط المبكي، والكثير من مجامعهم، الأمر الذي لفها بثوب القدسية عندهم، وقد تبلورت قدسيتها اليهودية أيام الشتات والاضطهاد والمعاناة، والذي نتج عنه تعزيز لمكانة المدينة في قلوبهم والاستحواذ على خواطرهم و يجدر الإشارة أيضا إلى أن القدس والصهيونية مرتبطتان معا في الفكر العقدي اليهودي فقلما نجدهم يذكرون أورشليم دون أن تكون مقرونة بصهيون في الكتاب المقدس[6].

"سبحي يا أورشليم الرب، سبح إلهك يا صهيون"[7].

---

[1] هيكل سليمان بين الحقيقة و الخيال، محمد سمحان، ص 25.

[2] المرجع نفسه، ص 26.

[3] الأسس الجليل في تاريخ القدس و الخليل، مجير الدين الحنبلي، ص

[4] هيكل سليمان بين الحقيقة و الخيال، محمد سمحان، ص 26.

[5] قصص التوراة و الإنجيل في ضوء القرآن و السنة، دار النفائس للنشر و التوزيع، عمر سليمان الأشقر، الطبعة الأولى، 1432 هـ / 2011 م، ص 288.

[6] القدس في الصراع العربي الإسرائيلي، محمد عوض الهزايمة، ص 74.

[7] سفر المزامير، المزمور 137: (12–13)

"لأنه من صهيون تخرج الشريعة، من أورشليم كلمة الرب"[1].

فهنا ربط بين صهيون (جبل من جبال القدس) وبين المدينة، فهنا إشارة دينية وسياسية في آن واحد لجعل مشاعر اليهود تتلف شوقا وحنينا نحو ذلك المكان الذي يعتبرونه منبع شريعتهم، ومصدر كلمة الرب[2].

من مظاهر أهمية المدينة الدينية عند اليهود، ورودها في التوراة وبأسمائها المختلفة ما يعادل (1200 مرة)، مع تضمين هذه النصوص بعض التعاليم والطقوس الدينية المرتبطة بالديانة اليهودية ارتباطا وثيقا، وإبراز فضائلها وعظمتها الأمر الذي جعل منها قدس الأقداس في ديانتهم.

وتعتبر الديانة اليهودية زيادة القدس ضرورة ملحة لكل يهودي لأنها تحقق غاية التعارف والإتحاد بين اليهود، والزيارة لمرة واحدة في العام لا تكفي، بل لابد من زيارتين، ومدة الزيارة أسبوع تبدأ من يوم الجمعة ويقام فيها الاحتفالات والأناشيد بقيادة الكهنة والأحبار [3].

---

[1] سفر أشعيا، الإصحاح 2: (4).

[2] القدس في الصراع العربي الإسرائيلي، محمد عوض الهزايمة، ص 75.

[3] المرجع نفسه ، ص 73.

القدس في المسيحية :

الإنجيل هو الكتاب الذي أنزله الله على عيسى عليه السلام، وهو كتاب واحد، وقد ضاع هذا الكتاب، وحلت مكانه كتب أخرى نسبت إلى الدين كتبوها، وقد بلغت هذه الكتب عددا كبيرا، إلا أن الكنيسة رضيت بأربعة ولاحقت الأخرى بالشطب والحرق، ولم تبح من الأناجيل الكثيرة التي حاربتها الكنيسة إلا إنجيل واحد وهو إنجيل (برنابا). وقد نالت يد التحريف الأناجيل الأربعة، ويدل على مدى هذا التحريف تناقض كل إنجيل مع نفسه، ثم تناقضها فيما بينها.

والمعلوم أن إنجيل" متَّى" يحتوي على ثمانية وعشرين إصحاحا، وإنجيل "مرقس" ستة عشرة إصحاحا، وإنجيل" لوقا" أربعة وعشرين إصحاحا، أما إنجيل" يوحنا" فيحتوي على واحد وعشرين إصحاحا ، وقد تناقضت جميعها في حقيقة المسيح، ففيها أنه هو ابن الإنسان، وابن داود، وابن الله، والمعلم، والنبي، والمرسل[1].

وقد وردت القدس عدة مرات في الإنجيل، مما يدل على أهمية هذه المدينة في التصور العقائدي المسيحي، فأورشليم كما وردت في الإنجيل ملازمة لرحلة المسيح، لهذا تحرَّوا أماكن إقامته فيها، والأماكن التي تنقل منها وعليها، فشيدوا فوق ذلك المكان كنيسة أو ديرا [2].

يجل المسيحيون القدس لأسباب مختلفة، منها تاريخه الذي ورد ذكره في العهد القديم، إضافة إلى دوره في الحياة يسوع المسيح، فالعهد الجديد نص أنَّ يسوع أُحضر إلى القدس بعد ولادته بفترة قصيرة: ويقول إنجيل" متى": الإصحاح الثاني: إذا مجوس من المشرق قد جاءوا أورشليم.

قائلين: (أين هو المولود ملك اليهود؟ فإننا رأينا نجمه في المشرق وأتينا لنسجد له).

فلما سمع "هيرودس" الملك اضطرب وجميع أورشليم معه[3].

---

[1] قصص التوراة و الإنجيل في ضوء القرآن و السنة، عمر سليمان الأشقر، ص 318.

[2] القدس في الصراع العربي الإسرائيلي، محمد عوض الهزايمة، ص 85.

[3] الإصحاح الثاني، إنجيل متى، ص 1.

هبط السيد المسيح القدس، وكانت على عهده تدعى أورشليم هبطها مرة في نعومة أظافره، وثلاث مرات بعد نشر رسالته الأولى في الثامن عشر من شهر أكتوبر سنة 28 للميلاد، والثانية بعد ذلك بشهرين، أي في ديسمبر من تلك السنة، وفي الثالثة أعتقل، وسيق إلى المحاكمة، وحكم عليه بالموت[1].

ويقول إنجيل" لوقا"، الإصحاح الثاني:

(وكان أبواه يذهبان كل سنة إلى أورشليم في عيد الفصح، ولما كانت له اثنتا عشرة سنة صعدوا إلى أورشليم كعادة العيد، وبعدها أكملوا الأيام بقي عند رجوعهما الصبي يسوع في أورشليم، ويوسف وأمه لم يعلما، وإذا ظناه بين الرفقة، ذهبا مسيرة يوم، وكانا يطلبانه بين الأقرباء والمعارف، ولما لم يجداه رجعا إلى أورشليم يطلبانه) [2].

عندما بلغ عيسى عليه السلام الثلاثين من عمره، شرع يبث دعوته وينشر مبادئه وتعاليمه بين قومه وأهله في الجليل وبين بسطاء الناس في الناصرة وحول طبريا ونهر الأردن ثم انتقل إلى أورشليم مركز التعصب الذميم والتقليد الأعمى فجاهر بدعوته[3].

وبهذا يكون عيسى عليه السلام قد ذهب إلى القدس ليواجه أشرس خصومه.

"لما قربوا من أورشليم وجاءوا إلى البيت فاجي عند جبل الزيتون..." [4]

نفس الإنجيل والإصحاح:

" ولما دخل أورشليم ارتجَّت المدينة كلها قائلة: من هذا؟ فقالت الجموع: هذا يسوع النبي الذي من ناصرة الجليل" [5].

---

[1] المفصل في تاريخ القدس، عارف العارف، ص104.

[2] الإصحاح الثاني، إنجيل لوقا، ص 52.

[3] تاريخ فلسطين، عمر الصالح البرغوثي، خليل طوطح، ص 61.

[4] الإصحاح الواحد و العشرون، إنجيل متى، ص 20.

[5] المصدر نفسه، ص 20.

لم تكن تعاليم عيسى عليه السلام التي كان يلقيها سياسية البتة، ولم يكن يستهدف بنشرها السلطة الرومانية التي كانت مسيطرة على البلاد في ذلك الحين، وإنما كان يتوخى إصلاح المجتمع الذي يعيش فيه، إنقاذه من حمأة الشرور التي كان منغمسا فيها، وكان أكثر غضبه منصبا على حماة الهيكل ورؤساء الكهنة[1].

من بني إسرائيل الذين وصفهم (بالذئاب الكاسرة).وقال عنهم: إنهم جعلوا الهيكل مغارة للصوص والعصابات[2].

" ودخل يسوع إلى هيكل الله، وأخرج جميع الذين كانوا يبيعون ويشترون في الهيكل، وقلب موائد الصيارفة وكراسي باعة الحمام، وقال لهم: مكتوب: بيتي بيت الصلاة يدعى، وأنتم جعلتموه مغارة لصوص" [3].

وقال عنهم هذا لكثرة الضرائب التي كانوا يجبونها والأموال التي يبتزونها من الزائرين، ولأنهم كانوا يبيعون الغنم والحمام والبقر داخل الهيكل، حيث يقيم صيارفتهم، لقد كان عيسى عليه السلام يعرف اليهود معرفة تامة، ولاسيما يهود أورشليم[4].

أثار عيسى عليه السلام غضب اليهود وكهنتهم، سيما وأنه قام ببعض أعماله ومعجزاته في يوم سبت، وللسبت حرمته عند اليهود، فراحوا يفكرون في رفع أمره إلى السلطات الرومانية عسى أن تخلصهم منه، و بدءوا في حَبك المؤامرات ضد المسيح عليه السلام[5] .

---

[1] المفصل في تاريخ القدس، عارف العارف، ص 104.

[2] المرجع نفسه ، ص 104

[3] الإصحاح 21، إنجيل متى، ص 20.

[4] المفصل في تاريخ القدس، عارف العارف، ص 104.

[5] المرجع نفسه، ص 105.

وقد أخبر عيسى الناس عندما كانوا في الهيكل أن الهيكل سيهدم ويزول، قال لهم: (إنه لا يترك هاهنا حجر على حجر لا ينقض).

وقد أطال عيسى في حديث مع تلامذته وهو جالس على جبل الزيتون عن وقائع آخر الزمان، وما يجري فيه من فتن وأهوال، وأشار إلى التغيرات التي تقع في الكون، وما يحدث للشمس والقمر، وحديثه عن نزوله في ذلك الوقت، وأخبرهم أنه لا أحد يعلم متى يكون ذلك إلا الله وحده[1].

ومازال جل أتباع العقيدة المسيحية يؤمنون بإقامة أو إعادة بناء هيكل اليهود (هيكل سليمان وداود) وخاصة الطائفة البروتستانتية، لكن المسيح في حديثه مع المرأة السامرية في شكيم وكما يروى يوحنا في إنجيله في الإصحاح الرابع: " قالت له المرأة يا سيد أرى أنك نبي، وآباؤه سجدوا في هذا الجبل "عيبال" وأنتم تقولون في أورشليم الموضع الذي ينبغي أن يسجد فيه، قال لها يسوع يا امرأة صدقيني أنه تأتي ساعة لا في هذا الجبل ولا في أورشليم تسجدون للرب، أنتم تسجدون لما لستم تعلمون أما نحن فنسجد لما نعلم لأن الخلاص هو من اليهود"[2].

وفي الإصحاح الثالث والعشرين من إنجيل متى يقول النص: "هو بيتكم يترك لكم خرابا"[3]. وهو يقصد الهيكل.

و في الإصحاح الرابع والعشرين من إنجيل متى يقول النص أيضا: "ثم خرج يسوع ومضى من الهيكل فتقدم تلاميذه لكي يروه أبنية الهيكل، فقال لهم يسوع أما ينتظرون جميع هذه؟ الحق أقول لكم أنه لا يترك هاهنا حجر على حجر لا ينقض"[4] .

[1] قصص التوراة و الإنجيل في ضوء القرآن و السنة، عمر سليمان الأشقر ، ص 321.

[2] هيكل سليمان بين الحقيقة و الخيال، محمد سمحان، ص 121.

[3] الإصحاح الثالث و العشرين، إنجيل متى، ص 23.

[4] الإصحاح الرابع و العشرون، إنجيل متى، ص 23.

هاجم اليهود عيسى عليه السلام، وكادوا يقتلونه، ففر من أمتمهم، وغادر المدينة، وفيما كان يسير على جبل الزيتون،التفت إلى أورشليم التي أقصوه عنها، وخاطبها قائلا: "يا أورشليم. يا أورشليم. يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين، كم مرة أردت أن أجمع أولادك، كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا. هو ذا بيتكم يترك لكم خرابا"[1] .

لم يكن السيد المسيح عليه السلام يحب أورشليم. وكان يذيع رسالته في ريفها، خشية أن يغدر به اليهود، ومن أقواله المأثورة في هذا الباب: (لا كرامة لنبي في وطنه).

ولما دخل القدس في (عيد المظال) لينشر رسالته، ويسمع للعالم اليهودي صوته، مغتنما فرصة العيد، ولما لم يجد أي تجاوب من يهود أورشليم، اضطر إلى الهروب إلى قرية (بيت عنا)*[2] .

وقفي إنجيل يوحنا يقول: "و لما كان في أورشليم في عيد الفصح، آمن كثيرون باسمه، إذ رأوا الآيات التي صنع، لكن يسوع لم يأتمنهم على نفسه، لأنه كان يعرف الجميع"[3].

كان على السلطات في أورشليم أن تكون حذرة، لأن أي محاولة لإلقاء القبض على عيسى عليه السلام جهرة ستعجّل الثورة. و كان قد اختفى عن الأنظار. ويقال أن (نيقود يموس)، وهو عضو في مجلس السنهدريم، ولكنه عاد فرجع إليها في عيد الفصح ودخلها للمرة الثالثة علنا مع علمه أن مصيره سيكون الموت المحتم، مع بعض تلامذته، وقد دخلها من جهة (وادي قدرون). وقبض بالفعل على عيسى عليه السلام، وجاءوا به إلى دار الولاية صباحا حيث استقبله (بيلاطس والي أورشليم)، وجرى بينهما حديث طويل. ثم فال لليهود: أنا لم أجد فيه أية علة تستحق الإعدام، لكن اليهود صاحوا قائلين بصلبه، فأسمه إليهم ليصلب[4].

[1] الإصحاح الثالث عشر، إنجيل لوقا، ص 67.

* العيزرية، و هي قرية تبعد عن القدس نحو ميل واحد إلى الشرق.

[2] المفصل في تاريخ القدس ، عارف العارف ، ص 108

[3] الإصحاح الثاني، إنجيل يوحنا، ص 81.

[4] المفصل في تاريخ القدس، عارف العارف، ص (108–109).

ونص إنجيل لوقا في الإصحاح الثالث والعشرين: "ولما مضوا به... وتبعه جمهور كثير من الشعب، والنساء اللواتي كنَّ يلطمن.... فالتفت إليهن يسوع وقال: (يا بنات أورشليم، لا تبكين علي بل ابكين على أنفسكن وعلى أولادكن"[1].

وأخذوه إلى موضع" الجمجمة" ويقال له (جلجثة) وصلبوه مع اثنين آخرين[2].

وورد في نص من إنجيل" لوقا" في الإصحاح الثالث والعشرين: "ولما مضوا به إلى الموضع الذي يدعى "جمجمة" صلبوه هناك مع المذنبين"[3].

وأصبحت في نظر المسيحيين مقدسة، وزادت عندهم قداسة لما تنصَّرت الإمبراطورة الرومانية وبنت الإمبراطورة "هيلانه" كنيسة القيامة وكنيسة المهد، كما بنت كنائس أخرى، وأصبحت القدس محجًا للمسيحيين. والقدس للرسل والأنبياء عامة[4].

كما ورد في إنجيل لوقا في الإصحاح الثالث عشر: (في تلك الساعة دنا بعض الفريسيين فقالوا له: أخرج فاذهب من هنا لأن هيرودس يريد أن يقتلك. فقال لهم: اذهبوا فقولوا لهذه الثعلب: ها إني أطرد الشياطين وأجري الشفاء اليوم وغدا، وفي اليوم الثالث ينتهي أمري. ولكن يجب علي أن أيسر اليوم وغدا واليوم الذي بعدهما لأنه لا ينبغي لنبي أن يهلك في خارج أورشليم"[5].

ويذكر بعضهم أن الحج المسيحي إلى الأماكن المقدسة في مدينة القدس يعود إلى القرن الثاني، مع أن هذه الأماكن هي أحدث بقرن واحد فقط من الكتاب المقدس نفسه، وكل هذه الأماكن هي مرتبطة بيسوع. وقد حددت في أربعة أماكن: بركتان: واحدة في سلوام (سلوان) التي أرسل إليها المسيح الرجل [6].

---

[1] الإصحاح الثالث و العشرون ، إنجيل لوقا، ص 77.

[2] المفصل في تاريخ القدس، عارف العارف، ص 109.

[3] الإصحاح الثالث و العشرون، إنجيل لوقا، ص 78.

[4] تاريخ القدس و حاضرها، عزت جرادات، ص 39.

[5] الإصحاح الثالث عشر، إنجيل لوقا، ص 67.

[6] تاريخ القدس عبر العصور ، إسحاق رباح ، 123 .

الذي ولد أعمى فارتد بصيرا، لكن البركة رممت في زمن الرومان ولا يمكن أن نعرف شكلها زمن يسوع أما البركة الثانية فهي بركة بيت حسدا حيث شفي المسيح الرجل الذي كان مصابا بالشلل. والمكان الثالث هو حديقة الجسمانية وقد اختفت كحديقة منذ حصار الرومان (سنة 70م) لأن الرومان استعملوا جميع الأشجار كدعامات للمتاريس في أثناء الحصار. والمكان الأخير المرتبط بيسوع هو الجمجمة (الجلجثة) حيث صلب. وحسب ما نص عليه الإنجيل فإن القبر المقدس الذي دفن فيه يسوع كان قريبا من هذا المكان لأن حادثة صلب المسيح كانت علنا.

وبعد هذه الحادثة بقي أفراد الطائفة المسيحية في القدس مع أنهم كانوا غير مرغوب بهم من قبل السلطات اليهودية في القدس[1].

انتشرت الرذيلة وعم الفساد في صفوف اليهود عندهابعث الله سبحانه من بينهم رسولا ليردهم لإلى جادة الصواب، فكان ذلك عيسى عليه السلام. وكان ذلك إبان حكم "هيرود الثاني". و إزاء أحوال مزرية، جاءت رسالة المسيح بأهدافها السامية، فتوجه منذ نعومة أظافره إلى القدس، وكانت أكبر مما كانت عليه أيام سليمان مساحة وسكانا. حيث أقام فيها مدة من الزمن. ولكنه عاد من حيث أتى لكراهيته الشديدة ليهود القدس. ولكنه عاد إليها ثلاث مرات ليذيع تعاليمه الهادفة لإصلاح المجتمع اليهودي في القدس[2].

كانت القدس في التصور العقائدي المسيحي، تنبع من صله المدينة المباشرة برحلة السيد المسيح، فإليها توجه مند نعومة أظافره، ومنها نشر تعاليم رسالته، وعلى إثر هذا حاولوا صلبه، فهي بحق المدينة التي قضى فيها معظم حياته، مما استوجب شد أنظار أهل هذه الديانة إليها، بعاطفة دينية يتذكرونها كلما ذكروا المسيح ابن مريم[3].

---

[1] تاريخ القدس عبر العصور، إسحاق رباح، ص (123-124)

[2] القدس في الصراع العربي الإسرائيلي، محمد عوض الهزايمة، ص (83-84).

[3] القدس في الصراع العربي الإسرائيلي، محمد عوض الهزايمة، ص 82.

* من الجماعات و الفرق المسيحية المقدسية و التي تحتفظ لها بتراث داخل القدس الروم الأرثوذوكس، الروم الكاثوليك، الأرمن السريان، الأقباط، الحبش، الموارنة، القدس في الصراع العربي الإسرائيلي، محمد عوض الهزايمة، ص 83.

يبدوا أن أتباع الديانة المسيحية فرق متعددة وجماعات مختلفة * وعلى اختلاف تشعباتها فهي مقرة بقدسية المدينة، ولهذه القدسية قامت ببناء الكنائس والأديرة واهتمت بكل مكان ظنت أن السيد المسيح أقام فيه أو درج على تراه[1].

أدت القدس دورا مميزا في تطوير الفكر المسيحي، خلال حقب الزمن الممتدة من القرن الميلادي الأول وحتى الآن، ففي القرن الميلادي الأول لاقترنت بمحاولة صلبه، وبهذا كانت القدس ملازمة للسيد المسيح، وفي العصور الوسطى اكتسبت المدينة أهميتها من المقولة القائلة أن القدس هي المكان الوحيد الذي اختاره الله ليقيم علاقته الخاصة مع الشعب اليهودي، ووجود الإله هناك جعل منها موضعا للقدسية.

فأمّها المصلون، وتضرع أمام هيكلها الداعون، وقدم التضحيات على عتباتها الأتباع.

ولأجل هذا فإن المدينة تبقى أبد الدهر محج المسيحيين من مشارق الأرض ومغاربها، ومورد الإيمان الصافي، ففيها يلقي الحاج ما غلى كاهله من متاعب، ويتضرع إلى الله بالخلاص، وبعودة المسيح إلى الأرض ليخلص الناس من أدران الشر والشرك، هذه مكانة القدس في المسيحية[2].

[1] القدس في الصراع العربي الاسرائيلي، محمد عوض الهزايمة، ص 83.

[2] المرجع نفسه ، ص (87-88)

القدس في الإسلام:

غلب على المدينة بعد الفتح الإسلامي اسم "بيت المقدس"، وهو دليل صدق على أن من استعمله أراد لهذه المدينة أن تكون مقدسة طاهرة فتعلقت بها قلوب المسلمين، وحنوا إليها.

ولبيت المقدس مكانة كبيرة في العقيدة الإسلامية، وترتكز هذه المكانة على ثلاثة أصول مترابطة:

الأول أن القدس مدينة عدد من الأنبياء والرسل عليهم السلام.

الثاني أنها المكان الذي أسرى الله سبحانه برسوله محمد صلى الله عليه وسلم إلى السماء.

والثالث أنها القبلة الأولى للمسلمين، وتتفرع عن هذه الأصول الثلاثة فضائل بيت المقدس الكثيرة[1].

وفضائل بيت المقدس المنبثقة من هذه الأصول الثلاثة تشمل فضل علاقتها بمكة والمدينة، وفضل الإقامة فيها وزيارتها، وفضل الإهلال بالحج والعمرة منها، وفضل الصلاة فيها.

وقد خص الله سبحانه وتعالى القدس ببعض آياته نذكر منها:

قوله سبحانه وتعالى: {وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ}[2]، قيل بوأهم الشام وبيت المقدس[3].

وقال أيضا سبحانه: {وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ}[4].

هي القدس وما حولها، وتبريكها سابق على مجيء إبراهيم إليها أيام أسسها وبناها العرب[5].

ويقول تعالى في متابه العزيز: { وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ ۖ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ }[6]. قال ابن عباس: القرى التي باركنا فيها هي القدس والبركة

---

[1] الخطر يتهدد بيت المقدس، أحمد صدقي الرجاني، مركز الإعلام العربي، الطبعة الأولى، أكتوبر 2000، ص 25.

[2] الآية 93 من سورة يونس.

[3] زبدة كشف الممالك، غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري ص 17.

[4] الآية 71 من سورة الأنبياء.

[5] تاريخ القدس و حاضرها، غرت جرادات، ص 40.

[6] الآية 18 من سورة سبأ.

هنا حسية ومعنوية لما فيها من ثمار وخيرات، ولما خصت به من مكانة ولكونها مقر الأنبياء و مهبط الملائكة[1]، و قال تعالى أيضا: {وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ}[2].

والأرض المقدسة هي القدس، حيث كان عليه السلام يرتحل في أول النهار من بيت المقدس، تغدوا به الريح فتضعه بإصطخر مسيرة شهر، فيقيم هناك إلى آخر النهار، ثم يعود إلى بيت المقدس[3].

كما ربط الله جل وعلا بين القدس ومكة، حيث يقول في كتابه العزيز: { وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ وَطُورِ سِينِينَ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ}[4]، الزيتون إشارة إلى طور زيتا في بيت المقدس، ويقال إشارة إلى بيت المقدس. وقد وقد أقسم الله سبحانه وتعالى بالمقدس وفي هذا دليل على أهميتها العقائدية[5].

ويبدوا أن أغلب المفسرين أجمعوا على أن القصد "بالزيتون" بيت المقدس.

ويقول تعالى أيضا: { فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ }[6]، قيل هو سور بيت المقدس باطنه أبواب الرحمة وظاهره واد جهنم[7].

قال تعالى: {وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ }[8]، "فلم يخلص الله تعالى مسجدا سوى بيت المقدس بأن وعدهم أن يغفر لهم خطاياهم بسجدة فيه دون غيره"[9].

---

[1]فلسطين دراسات منهجية في القضية الفلسطينية، محمد محمد صالح، ص 53.

[2] الآية 81 من سورة الأنبياء.

[3] تاريخ القدس و حاضرها، عزت جرادات، ص 40.

[4] الآية (1-3)، سورة التين.

[5] في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق ، الطبعة الأولى ، 1972م ،ص 342.

[6] الآية 13 من سورة الحديد.

[7] إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى، شمس الدين السيوطي، ص 97.

[8] الآية 58 من سورة البقرة.

[9] إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى، شمس الدين السيوطي، تحقيق أحمد رمضان أحمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج1، 1982م، ص 96

"والمقصود بحطة هو باب من أبواب القدس مشهور بحطة"[1].

ويقول تعالى أيضا: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ}[2]، قيل هو بخت نصر و أصحابه لما خربوا بيت المقدس[3].

{يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ}[4]، "قال الزجاج: المقدسة الطاهرة، وقيل سماها المقدسة، لأنها طهرت من الشرط وجعلت مسكنا للأنبياء والمؤمنين"[5].

وقد سماه الله مرة مباركا ومرة مقدسا.

ويقول تعالى: {يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ}[6]، قيل هي الأرض المقدسة، وقوله عن إبراهيم عليه السلام: {إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي}[7]، وفي بعض الأقوال أي الأرض المقدسة[8].

وقوله تعالى عز وجل: {يَوْمَ يُنَادِ ي الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ}[9]، قيل أنه ينادي من صخرة بيت المقدس[10].

وقال أيضا في كتابه العزيز: {سُبْحَانَ الَّذِي أسرى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ }[11]،

---

[1] زبدة كشف الممالك، غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري، ص 17.

[2] الآية 108 من سورة آل عمران.

[3] زبدة كشف الممالك، غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري، ص 17.

[4] الآية 21 من سورة المائدة.

[5] فلسطين دراسات منهجية في القضية الفلسطينية، محسن محمد صالح، دار الإعلام العربي، الطبعة الأولى، 1424 ه / 2003 م، ص53.

[6] سورة الأنبياء، الآية 105 .

[7] سورة الصافات ، الآية 99 .

[8] زبدة كشف الممالك، غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري، ص 17.

[9] سورة ق ، الآية 41 .

[10] إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى، شمس الدين السيوطي، ص 97.

[11] سورة الإسراء ،الأولى .

والقصد من المسجد الأقصى هو بيت المقدس الذي بإيلياء[1].

دلت هذه الآية أيضا على عظمة مكانة بيت المقدس وعلى غلو شأنها ورفعة قدرها وفي ذلك قال الرحالة المقدسي بأنه لو لم يكن من الفضل لبيت المقدس غير هذه الآية لكانت كافية، وبجميع البركات وافية، لأنه إذا بورك حوله فالبركة فيه مضاعفة[2].

ويبدوا أنَّ الله سبحانه وتعالى لم يختر بيت المقدس مكانا لإسراء بيته عبثا، ولكنها مشيئة إلهية وإستراتيجية سماوية رسمت منذ دلك التاريخ وإلى الأبد علاقة بين ملايين المسلمين وبيت المقدس[3].

ويقول سبحانه وتعالى أيضا: {قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُمَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ }[4].

وبتدبير إلهي عجيب اقترنت القدس بالركن الثاني من أركان الإسلام وهو الصلاة لأنها كانت القبلة الأولى للمسلمين.

فقد توجه الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين بصلاتهم نحو بيت المقدس مدة ستة عشر شهرا، أو سبعة عشر شهرا بعد الهجرة. وقد فرضت الصلاة ليلة الإسراء والمعراج في سماء بيت المقدس، وصلى عليه الصلاة والسلام بالأنبياء جميعا في المسجد الأقصى[5].

"وعن أبي هريرة قال: قلت يا رسول الله أي مسجد وضع في الأرض أولا؟ قال: المسجد الحرام. قلت: ثم أي قال: المسجد الأقصى. قلت: كم بينهما؟ قال: أربعون سنة"[6].

---

[1] مختصر تفسير ابن كثير، محمد علي الصابوني، شركة الشهاب، ج2، 1410 هـ / 1990 م، ص 354.

[2] مثير الغرام إلى زيارة القدس و الشام، شهاب الدين أبي محمود ابن تميم المقدسي، ص 69.

[3] المصدر نفسه ، 100

[4] سورة البقرة ، الآية 144 .

[5] محمد عوض الهزايمة، القدس في الصراع العربي الإسرائيلي، ص 95.

[6] صحيح مسلم، النووي، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، ج 5، 1401 هـ / 1981 م، باب كتاب المساجد و مواضع الصلاة، ص 2.

"وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى"[1].

"وعن مكحول أن ميمونة رضي الله عنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيت المقدس، ومن صلى فيه صلاة بألف صلاة فيما سواه. قالت: فمن لم يطلق ذلك؟ قال: يهدي له زيتا" [2]. يمكن القول أن فضل الصلاة في المسجد الأقصى تتراوح ما بين ألف صلاة إلى خمسين ألف صلاة.

وشجع الرسول صلى الله عليه وسلم الهجرة إلى بيت المقدس والصلاة في مسجده فقال: "إن خيار أمتي من هاجر بعد هجره إلى بيت المقدس، ومن صلى ببيت المقدس بعد أن توضأ وأسبغ الوضوء ركعتين أو أربعا غفر له ما كان قبل ذلك"[3].

هذا الحديث الشريف يدل على أن الصلاة في بيت المقدس تطهر الإنسان من الذنوب، فيخرج الإنسان الذي صلى فيها من دون أي ذنب.

وعن معاذ رضي الله عنه قال فال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا معاذإن الله عز وجل سيفتح عليكم الشام من بعدي من العريش إلى الفرات رجالهم ونساؤهم وإماؤهم مرابطون إلى يوم القيامة، فمن اختار منكم ساحلا من سواحل الشام أو بيت المقدس فهو في جهاد إلى يوم القيامة"[4].

وعن أبي ذر قال : "قلت يا رسول الله أخبرنا عن بيت المقدس. قال: أرض المحشر والمنشر إيتوه فصلوا فيه"[5].

---

[1] الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل ، مجير الدين الحنبلي ، ص 231 .

[2] نهاية الإرب في فنون الأدب، النويري ، ص 332.

[3] الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل ، مجير الدين الحنبلي ، ص 229 .

[4] المصدر نفسه ، ص 228 .

[5] المصدر نفسه ، ص 135 .

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن سليمان عليه السلام سأل ربه ثلاثا، فأعطاه اثنتين ونحن نرجو أن يكون قد أعطاه الثالثة، سأله حكما يصادف حكمه فأعطاه إياه وسأله ملكا لا ينبغي لأحد من بعده فأعطاه إياه وسأله أيما رجل خرج من بيته لا يريد إلا الصلاة في هذا المسجد أن يخرج من خطيئته كيوم ولدته أمه، فنحن نرجو أن يكون قد أعطاه إياه"[1].

لقد أسهمت الأحاديث النبوية الشريفة في ترسيخ حرمة بيت المقدس عند المسلمين.

كما دلت النصوص النبوية الشريفة على جملة من المعاني والدلالات التي تظهر مكانة القدس والمسجد الأقصى الرفيعة منها أنها:

كانت القبلة الأولى للمسلمين.

مسرى الرسول صلى الله عليه وسلم ومنطقة عروجه.

أن الأقصى هو ثاني المسجدين وضعا في الأرض، وأن الصلاة فيه بخمسمائة صلاة، وأنها أرض المحشر والمنشر.

أنها مكان مبارك تضاعف فيه الحسنات وتغفر فيه الذنوب.

وأنها أرض الرباط والجهاد في سبيل الله إلى يوم القيامة.

الطائفة المنصورة في بيت المقدس وما حولها[2].

كما حظي بيت المقدس بمكانة عظيمة في حياة الصحابة والتابعين، ويمكننا أن نلحظ تلك المكانة فيما ورد على ألسنتهم الطاهرة من أقوال منها على سبيل المثال، لا الحصر: قول عطاء بن أبي رباح: "لا تقوم الساعة حتى يسوق الله خيار عباده إلى بيت المقدس فيسكنهم الله إياها"[3].

---

[1] الأنس الجليل بتاريخ القدس و الجليل، مجير الدين الحنبلي، ص 229.

[2] المكانة الدينية للمسجد الأقصى، ماهر حامد الحولي، الجامعة الإسلامية بغزة، 1430 هـ / 2009 م، ص 4.

[3] إتحاف الأخصا في فضائل المسجد الأقصى ، شمس الدين السيوطي ، ص 101 .

وقال أنس بن مالك رضي الله عنه: "إن الجنة لتحن شوقا إلى بيت المقدس وبيت المقدس من جنة الفردوس"[1].

كما روي عن كعب أنه قال: "إن الله عز وجل ينظر إلى بيت المقدس كل يوم مرتين"[2].

وغير هذه الفضائل كثيرة كلها تبين لنا أن بيت المقدس تتمتع بمكانة عظيمة على مدار التاريخ الإنساني عامة والإسلامي خاصة.

نظر المسلمون إلى بيت المقدس على أنه: مزار شريف ومنزل مبارك، فأحاطوه برعايتهم الدينية الكريمة، وقصد معظم الحجيج المسلمين بيت المقدس، في ذهابهم إلى مكة وفي عودتهم منها، حتى أضحت بيت المقدس مزارا يتبرك به المسلمون تبركهم بالكعبة المشرفة، فاستحبوا الإحرام بالحج والعمرة منه[3].

ففي سنن أبي داود من الحديث أم سلمة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أهل بحجة أو عمرة من المسجد الأقصى غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر ووجبت له الجنة"[4].

كما قال صلى الله عليه وسلم: "من أحرم من بيت المقدس، قدم مكة مغفورا له"[5].

ومن خلال هذه الأحاديث الشريفة ندرك أن الرسول صلى الله عليه وسلم حث المسلمين على زيارة بيت المقدس وقد أحرم الخليفة عمر بن الخطاب نفسه للحج والعمرة من المسجد الأقصى، كما أحرم منه سعيد بن العاص، وقدم سعد بن أبي وقاص إلى المسجد الأقصى فأحرم منه بعمرة، وكذلك فعل الصحابة عبد الله بن عمر، عبد الله بن عباس، ومحمود بن الربيع الأنصاري الخزرجي .[6]، كما شجع

---

[1] الأنس الجليل بتاريخ القدس و الخليل، مجير الدين الحنبلي، ص 239.

[2] نهاية الإرب في فنون الأدب، النويري، ص 330.

[3] تاريخ مدينة القدس، معين أحمد محمود، ص 165.

[4] الأنس الجليل بتاريخ القدس و الخليل، مجير الدين الحنبلي، ص 231.

[5] إتحاف الأخصا في فضائل المسجد الأقصى ، شمس الدين السيوطي ، ص 151 .

[6] المكانة الدينية للمسجد الأقصى، ماهر حامد الحولي، ص 8.

الصحابة أيضا على زيارة بيت المقدس من خلال بعض الروايات، فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: "من حج وصلى في المدينة والمسجد الأقصى في عام واحد خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه"[1].

تستند العقيدة الإسلامية في أصولها إلى الإيمان بالرسل والأنبياء والرسالات، ويبدوا أن العديد من الأنبياء والرسل ممن وردت أسماؤهم في القرآن الكريم، قد أقاموا في القدس أو كانت لهم صلة بها بشكل أو آخر [2]، فهذا آدم عليه السلام أوصى أن يدفن ببيت المقدس، وأوتيت مريم عليها السلام فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء في بيت المقدس[3].

وهذا إبراهيم عليه السلام يهاجر إليه، وهذا لوط يرافقه في هجرته، وهذا إسحاق ثم يعقوب يولدان ويعيشان فيه، ليأتي بعدهما يوسف والأسباط وتبدأ الصلات القوية في عهدهما بين بيت المقدس ومصر، ثم يكون موسى عليه السلام الذي يقود بني إسرائيل ومعه أخوه هارون نحو العودة إلى بيت المقدس، ويستكمل طريق العودة طالوت وداود، ويوطن بني إسرائيل في بيت المقدس سليمان عليهما السلام، ثم تتوالى طوائف من الأنبياء لا حصر لها كزكريا و ابنه يحيى وعيسى عليهم جميعا وعلى نبينا أفضل الصلوات وأتم التسليم، هؤلاء وغيرهم كثير، كان محياهم في بيت المقدس أو مماتهم فيه[4].

وما يعزز هذا (ارتباط القدس بالأنبياء) قول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما طبقا لما جاء في الآثر: "بيت المقدس بنته الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وعمرته، وما فيه موضع شبر إلا وقد سجد عليه ملك"[5].

نظر المسلمون إلى بيت المقدس نظرة تقديس، وعلى أنه مركز ديني كبير تحب حمايته، وهم يربطون ربطا وثيقا بين المسجد الحرام في مكة، والمسجد الأقصى في القدس، فإليهما يشدون الرحال، وفي

---

[1] تاريخ بيت المقدس، معين أحمد محمود ، تحقيق محمد زينهم عزب، مكتبة الثقافة الدينية، 1421 هـ / 2001 م، ص 48.

[2] المكانة الدينية للمسجد الأقصى، ماهر حامد الحولي، ص 10.

[3] الأنس الجليل بتاريخ القدس و الخليل، مجير الدين الحنبلي، ص 240.

[4] إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى، شمس الدين السيوطي، ص 108-109.

[5] إتحاف الأخصا في فضائل بيت المقدس و المسجد الأقصى ، شمس الدين السيوطي ، ص 103.

كليهما تراث ديني ممتد في التاريخ، فإذا كان أبو الأنبياء إبراهيم قد وضع قواعد الكعبة في مكة، فإن جسده الشريف يرقد على مقربة من القدس في الخليل[1]،

و لم يمض عهد من عهود الإسلام إلا وأضاف المسلمون إلى المدينة جديدا وأصلحوا قديما، فقد بني عبد الملك بن مروان مسجد الصخرة وأنفق عليه خراج مصر لسبع سنوات، وبني في عهد ابنه المسجد الأقصى ومسجد عمر، فكانا من أجمل ما خلده الفن المعماري من آثار في العالم، وأوقفوا عليه معظم الأراضي المحيطة ببيت المقدس، كما تقرب الخلفاء والصالحون إلى الله تعالى بتعمير هذين المسجدين وخدمتهما، إضافة إلى تعمير العديد من المساجد والقبب والمحاريب والأروقة والمآذن والمدارس حتى أصبحت بيت المقدس متحفا لا مثيل له، يعلو اسم الله كل جنباته، و اتخذ المسلمون من ساحة الحرم الشريف والمسجدين الكبيرين والأروقة مدارس يدرسون فيها علوم الدين[2].

[1] المكانة الدينية للمسجد الأقصى، ماهر حامد الحولي، ص 15.

[2] تاريخ مدينة القدس، معين أحمد محمود، ص 164.

المبحث الثاني

البعد الاقتصادي لبيت المقدس

القدس اقتصاديا:

تحكمت عوامل الطبيعة ، من موقع جغرافي و طبيعة الأرض في اقتصاد بيت المقدس فأرضها كانت في أغلبها أرضا صخرية ليست صالحة للزراعة ، بما أنها أقيمت على أربعة جبال هي : جبل موريا ، و جبل صهيون ، و جبل أكرا ، و جبل بزيتا ، كما أحيطت بعدد كبير من الجبال أهمها : جبل أبو عمار ، و جبل الزيتون (جبل الطور) ، و جبل المشارف ، و جبل المنظار ، و جبل النبي صموئيل[1] . و قد أشارت المصادر العربية إلى جغرافية بيت المقدس و أرضها الصخرية ، و من بين هده المصادر معجم البلدان لياقوت الحموي الذي ذكرها فقال : " إن أرضها و ضياعها كلها جبال شامخة و ليس حولها و لا بالقرب منها أرض وطيئة البتة ... و أما نفس المدينة فهي على فضاء في وسط الجبال و أرضها كلها من حجر الجبال التي هي عليها " [2].

و كان لطبيعة الأرض الصخرية في بيت المقدس تأثير كبير على الحياة الاقتصادية إذ كانت الأراضي الصالحة للزراعة قليلة ، إضافة إلى وقوعها فوق هضبة ترتفع بحوالي 2500 قدم فوق سطح البحر ، و تعرضها لأنواع مختلفة من الرياح[3] .

كما لعبت المياه دورا هاما في حياة مدينة القدس ، فعلى الرغم من أنها مدينة بوجودها لمياه عين أم الدرج التي كانت السبب في قيام مستوطنة القدس الأولى لقربها ، إلا أن المدينة عانت كثيرا من شح المياه فيما بعد ، و لم تعد كافية لسد حاجات السكان اليومية ، إلا أن السكان حاولوا بشتى الطرق إقامة عدد من المنشآت المعمارية كالحمامات و الأسبلة و القنوات و البرك و الصهاريج ، [4]و

---

[1]- بيت المقدس في العصر المملوكي ، محمد حافظ النقر ، دار البداية ناشرون و موزعون ، عمان ، وسط البلد ، الطبعة الأولى ، 1430هـ / 2009 م ، ص 120 .

[2]- معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، مج5 ، دار صادر ، بيروت ، ص 168 .

[3]- بيت المقدس في العصر المملوكي ، محمد حافظ النقر ، ص 121 .

[4] القدس الشريف ، شوقي شعث ، العدد 74 ، ص 67

نظرا لتوسع المدينة ، فجيء بالمياه إلى المدينة عبر قناة تبدأ من وادي العروب [1] ، ثم من مصادر أخرى ، كعين فارة ، و رأس العين[2] .

و أما برك القدس فهي : بركة ماملا ، و بركة السلطان ، و بركة سلوان أو البركة الحمراء ، و بركة أم الدرج ، و بركة حزقيا التي تقع داخل باب الخليل ، و ماؤها يأتي في قناة من بركة ماملا[3] .

و قد ورد في بعض المصادر التاريخية أن القدس اليبوسية كانت في دلك العهد حصنة ، و آهلة بالسكان ، كما كانت المواشي تسرح في جنباتها ، و أشجار العنب و الزيتون تزرع فيها . و قد اشتهر عنبها ، كما اشتهر زيتها و زيتونها [4] . كما كان موقع القدس الإستراتيجي قد جعل لها و لليبوسيين و الكنعانيين شأنا كبيرا في عالم التجارة ، فهي واقعة على طريقين من أهم طرق التجارة ، واحدة تربط البحر بالصحراء و الأخرى تربط حبرون (الخليل) ببيت أيل (رام الله) ، فكان لا بد أن تزدهر الحضارة في القدس بسبب التبادل التجاري بين العراق من الشرق و الفينيقيين من الشمال ، و بين مصر من جهة الغرب عن طريق هده المدينة و سكانها اليبوسيين و الكنعانيين[5] .

إضافة إلى هدا قام اليبوسيون بحفر نفق تحت الأرض مكنهم من الوصول إلى (عين روجل) وهي التي تسمى أيضا عين أم الدرج[6] .

---

[1]– في وادي العروب سبع عيون هي : فريديس ، المزرعة ، الغوار ، عين البص ، عين البرادة ، عين قوريبا ، و عين الدلبة .

[2]– القدس الشريف ، شوقي شعث ، آفاق ثقافية مقدسية ، العدد 74 حزيران 2009 ، ص 67 .

[3]– موسوعة بيت المقدس و المسجد الأقصى ، محمد محمد حسن شرَّاب ، ص 160 .

[4]– المفصل في تاريخ القدس ، عارف العارف ، ص 38 .

[5]– تاريخ مدينة القدس ، معين أحمد محمود ، ص 28 .

[6]– المفصل في تاريخ القدس ، عارف العارف ، ص 40 .

كما عرفوا أنواعا عديدة من المعادن منها النحاس و البرونز ، و عرفوا أنواعا من الخضر والحيوانات الداجنة ، إضافة إلى الخشب الذي استخدم في صناعاتهم و دلك عن طريق الفينيقيين ، و اشتهروا بصناعة الأسلحة و الثياب[1] .

و من بين الأمور التي توصل إليها المؤرخون من خلال دراستهم للآثار و قراءة ما وجدوه من النقوش و الكتابة في الآثار المصرية أن القدس كانت في عهد استيلاء الفراعنة عليها محفوفة بغابات كثيفة تمتد من الجبال حتى البحر ، و لا شك أنه كان لهده الغابات شأنها أيضا في خدمة الحضارة ، للفوائد التي يمكن أن تحصل من أخشابها في البناء و الأشغال فضلا عن استغلال حاصلاتها الحيوانية و الشجرية[2].

كما حدثتنا أسفار العهد القديم أنه عندما جاء العبرانيون إلى هده البلاد (فلسطين) و بالتالي القدس كان فيها أنواع عديدة من الفواكه و الثمار منها التين و الزيتون و الخوخ و العنب و الرمان ، و لم يذكر لنا التاريخ أن العبرانيين أضافوا إلى هده الأشجار أي من الأشجار الأخرى[3] .

و قد كان للقدس دور اقتصادي و تجاري و إقليمي كبير بالنسبة للآشوريين ، و هدا الدور ظهر بشكل جيد في عهد حاكم القدس حزقيا (715-768 ق.م) .[4] الذي قام بحفر نفق في الصخر بين بين بركة سلوان و عين أم الدرج ، كما أسال الماء من بركة ماملا في مجرى حفرة تحت الأرض إلى بركة حفرها بين السور الحديث سميت ببركة حزقيا أو بركة حمام البطرك أو حارة النصارى[5] .

---

[1]- محمد صلاح سالم ، القدس الحق ... التاريخ ... المستقبل ، عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية ، الطبعة الأولى ، 2003 م ، ص 48 .

[2]- تاريخ مدينة القدس ، معين أحمد محمود ، ص 29 .

[3]- المفصل في تاريخ القدس ، عارف العارف ، ص 51 .

[4]- تاريخ القدس عبر العصور ، إسحاق رباح ، ص 71 .

5- المفصل في تاريخ القدس ، عارف العارف ، ص 71 .[5]

و قد جاء في " تاريخ القدس الشريف " "لسركيس "أن القدس سنة (614 م) كانت من مدينة كبيرة ، ذات تجارة رائجة و صناعة متقدمة إلى درجة أنه كان يفد إليها تجار من جميع الجهات كآسيا الصغرى و بلاد فارس و حتى إفريقيا . و بهدا نستطيع القول أن سكان القدس كانوا يعيشون في رغد من العيش آنذاك[1] .

و من الأمور الاقتصادية المهمة التي حدثت على عهد اليونان بالقدس ، سكً اليهود لإحدى العملات (نقود) ، و انتشار نقود يونانية نحاسية بديعة النقش في القدس ، و أخرى سكًت سنة (40 ق.م) على عهد هيرودس[2] . و بهدا يمكننا أن نلمس مدى التقدم الذي وصل إليه سكان القدس في تلك الفترة التاريخية الموغلة في القدم .

و لما استلم بيلاطس الحكم في القدس سنة (26 م) ، راح يعمل من أجل إصلاح حالة السكان الزراعية و الاقتصادية المتدهورة بسبب الجدب و الجفاف الذي أصاب المنطقة .[3] و ورد أيضا في نفس المرجع أن أطراف المدينة يومئذ كانت تحوي عددا غير قليل من الكروم ، و أشجار العنب و التين و الزيتون ، و انحصرت وسائل النقل أنداك في الحمير و الدواب[4] .

و في عهد أدريانوس ازدادت أهمية القدس من النواحي السياسية و العسكرية و التجارية ، فكان لها تأثير كبير على الحركة الفكرية و طرق الإدارة و الجباية التي كانت تسير عليها القوافل التجارية في عهد الرومان[5] .

---

[1]– المفصل في تاريخ القدس ، عارف العارف ، ص 79 .

– [2] المرجع نفسه ، ص 85

[3]– المرجع نفسه ، ص 102 .

[4]– المرجع نفسه ، ص 103 .

[5]– المرجع نفسه ، ص 135 .

لقد كان فتح المسلمين لبيت المقدس أثر كبير ، هدا ما أثبته المصادر العربية من خلال ما ورد فيها ، فقد زار مدينة بيت المقدس سنة 670 م أسقف فرنسي الأصل يدعى" أركولفوس "، و من ضمن ما ذكره أن ليس على جبل الزيتون أشجار كلا العنب و الزيتون ، و لكن نوعا جيدا من القمح يزرع فيه ، و أن تربة هدا الجبل لا تساعد على غرس الأشجار و إنما تنفع لزرع الحبوب و الزهور [1].

أما في العهدين الطولوني و الإخشيدي فلم يكن للقدس أهمية من الناحية التجارية و الاقتصادية ، و قد وصفها الإصطخري في العهد الإخشيدي في كتابه (مسالك الممالك) فقال : (إنه لم يكن ببيت المقدس ماء جار سوى عيون لا تتسع للزروع . و هو من أخصب بلدان فلسطين ... و يزرع في جبالها و سهولها أشجار الزيتون و التين و الجميز و العنب ، و سائر الفواكه أقل من دلك) [2] . و يبدو لنا جليا من خلال ما ذكر الإصطخري أن مدينة بيت المقدس كانت قد اتسعت قليلا على ما كانت عليه ، خاصة عندما قال أنها كانت من أخصب بلدان فلسطين و هي التي أقيمت على مرتفع صخري .

كما زارها المقدسي و ذكر بعض الأشجار التي كانت تزرع في جبالها فقال :" أن الله جمع فيها فواكه الأغوار و السهل و الجبال ، و الأشياء المتضادة كالأترجة و اللوز و الرطب و الجوز و التين و الموز ...[3] " .

أما عن توفر الماء في بيت المقدس فذكر أنه " قل دار ليس بها صهريج و أكثر ، و أن بها ثلاث برك عظيمة : بركة بني إسرائيل و بركة سليمان ، و بركة عياض ... و في المسجد عشرون جبا متبحرة ، و قل حارة إلا و فيها جب مسبل ، غير أن مياهها من الأزقة ، و قد عمد إلى واد فجعل بركتان يجتمع إليهما السيول في الشتاء ، و شق منهما قناة إلى البلد تدخل وقت الربيع ، فتملأ صهاريج الجامع و غيرها "[4] .

---

[1]– المفصل في تاريخ القدس ، عارف العارف ، ص 187 .
[2]– المرجع نفسه، ص 188.

[3]– أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، المقدسي ، ص 145 .
[4]– المصدر نفسه ، ص 146 .

" كما قال أيضا عن عين سلوان : أنها محلة في ربض المدينة تحتها عين عديبية تسقي جنانا عظيمة . أوقفها عثمان بن عفان على ضعفاء البلد ، تحتها بئر أيوب ... وادي جهنم على قرنة المسجد إلى آخره قبل المشرق[1] .

هدا ما قاله الرحالة المقدسي عن المياه في بيت المقدس و هي أحد أهم الأسس التي يقوم عليها الاقتصاد ، و عن الزراعة ذكر البساتين و الكروم و المزارع كما ذكر الجبن و القطن و الزبيب العينوني و التفاح و قضم قريش الذي لا نظير له حسب قوله [2] ، أما القطن فكان يزرع في أطراف القدس و يصدر إلى عدد من بلدان العالم أنداك [3] ، و عن وفرة زيت الزيتون ببيت المقدس ذكر أنه بيع رطل و نصف بدرهم [4]" .

" أما الصناعات التي كانت موجودة ذكر المرايا و القدور و القناديل و الإبر[5]" .

لقد أكد المؤرخون أن الحروب الصليبية لم تكن حربا دينية على الرغم من اتخاذها للصليب شعارا ، بل هي حرب اقتصادية من شأنها خلق أسواق جديدة للتجارة و فتح أرض لجلب الثروات ، فهدا البابا (أوربان الثاني) يؤكد هده الحقيقة بقوله : " لقد كنتم تحاولون من غير جدوى إثارة نيران الحروب و الفتن بينكم ، فالآن اذهبوا و أزعجوا البرابرة و خلصوا البلاد المقدسة من أيدي الكفار و امتلكوا لأنفسكم فإنها كما تقول التوراة تفيض لبنا و عسلا" . فالشعارات المعلنة في ظاهرها تحمل نداء تخليص الأماكن المقدسة ، و باطنها البحث عن الغنى و جمع الثروات[6] .

---

[1]– أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، المقدسي ، ص 148 .

[2]– المصدر نفسه ، ص 145 .

[3]– بيت المقدس و ما حوله خصائصه العامة و أحكامه الفقهية ، دار النفائس للنشر و التوزيع ، الأردن ، الطبعة الأولى ، 1433 هـ / 2004 م) ، ص 15 .

[4]– موسوعة بيت المقدس و المسجد الأقصى ، محمد محمد حسن شراب ، ج 1 ، ص 472 .

[5]–أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، المقدسي ، ص 146 .

[6]– القدس في الصراع العربي الإسرائيلي ، محمد عوض الهزايمة ، ص 35 .

و قد زار المنطقة في تلك الفترة العديد من الرحالة العرب و الأجانب ، و فيما يتصل بالناحية الاقتصادية ، احتلت كتابات الرحالة الأوربيين مكانة هامة في تقديم المعلومات عن دور زيارات الحجاج إلى الأماكن المقدسة في بيت المقدس بالنسبة للانتعاش الاقتصادي للقدس ، فقد مثل الحجاج قوة شرائية لها شانها في هدا الانتعاش[1] .

و من بين الجوانب المهمة التي تشير إليها رحلة "سايوليف" التي قام بها خلال القرن 12 م ، ما يتصل بطرق الحج التي سلكها الحجاج المسيحيين القادمين من أوربا ، و من أهمها الطريق الممتد من يافا إلى بيت المقدس[2] .

أما الرحالة الروسي الراهب دانييل (1106 م) فقد وصف القدس قائلا: " أنه بالرغم من فقدان الينابيع في المدينة و أنه ليس ثمة نبع قريب منها غير بركة سلوان ، فإن القمح ينبت فيها و فيما حولها من بقاع بخصب ، و كدا قل عن الشعير فإن الحبة التي يبذرها المرء في أرضها تنتج تسعين حبة ، و في بعض الأحايين مئة و هناك كروم من العنب و التين و الزيتون و الخروب و الجميز و أنواع لا تحصى من أشجار الفاكهة [3] . و أن زراعة الحبوب ناجحة في تلك الأراضي الصخرية رغم ندرة الأمطار[4] .

و من بين ما ذكره هدا الرحالة (دانييل) الطريق الذي كان يفصل بين يافا و بيت المقدس ، و قال أنه طريق على جانب كبير من الأهمية بالنسبة للمملكة الصليبية حينذاك ، إذ أنه كان الممر الحيوي الرئيسي الذي سلكه الحجاج القادمون من أوربا لزيارة الأماكن المقدسة لدى المسيحيين[5] .

---

[1]– الرحالة الأوربيون في مملكة بيت المقدس الصليبية (1099 هـ / 1187 م) ، محمد مؤنس أحمد عوض ، ص 16 .

[2]– الرحالة الأوربيون في مملكة بيت المقدس الصليبية (1099 هـ / 1187 م) ، محمد مؤنس أحمد عوض ، ص 46 .

[3]–المفصل في تاريخ القدس، عارف العارف ، ص261 .

[4]–المرجع نفسه ، ص 270 .

[5]– الرحالة الأوربيون في مملكة بيت المقدس الصليبية (1099 هـ / 1187 م) ، محمد مؤنس أحمد عوض ، ص 79 .

و من بين الرحلات التي ألقت الضوء على جانب كبير من اقتصاد القدس في الفترة الصليبية ، رحلة اليهودي بنيامين التطيلي (1163 م / 1170 م) ، و قد كان يهود العصور الوسطى يسافرون في أغلب الأحيان من أجل التجارة أو الحج ، و كانت مؤلفاتهم بمثابة المرشد أو الدليل الجغرافي لإخوانهم الدين رغبوا في الارتحال إلى أماكن الحج أو التجارة . أما وجودهم في بيت المقدس فقد ساهم في إنعاش الصناعة فيها ، و دلك من خلال عملهم بالصباغة ، إذ أنهم استأجروا معملا للصباغة من ملك مملكة بيت المقدس بصفة سنوية ، و يبدوا أنهم أثبتوا براعة في أعمال الصباغة حتى صارت شبه منحصرة فيهم ...[1]

و يذكر الرحالة " ثيودوريش" الذي زار القدس (1171 م / 1173 م) أن سكان القدس كانوا يقومون بتخزين مياه الأمطار من أجل استغلالها عند الاحتياج إليها ، كما أشار إلى أن الداوية قاموا بوضع صهريج ضخم مزود بآلة متحركة من أجل ضخ المياه[2] .

و قد وصف القدس قائلا : " أنها مدينة جبلية ... تتموا بها جميع أنواع الفواكه ، و تكون الجبال مكسوة بالكروم و التين و الزيتون ، و أما الأدوية فتملأها الحبوب و البساتين و ليس لديهم أي ماء سوى ماء المطر الذي يجمعونه في آبار محفورة لهده الغاية "[3] .

أما على المستوى التجاري ، فهو يذكر أحد الأسواق التجارية و التي تعقد سنويا في عيد الفصح خلال فصل الربيع ، و دلك عند مقدم الحجاج المسيحيين إلى بيت المقدس ، و قد حدد موضع السوق بأن موقعه كان أما الباب الرئيسي لكنيسة القيامة ، و قد احتوى على العديد من البضائع و[4]

[1]–الرحالة الأوربيون في مملكة بيت المقدس الصليبية (1099 هـ / 1187 م) ، محمد مؤنس أحمد عوض ، ص 162 .

[2]– المرجع نفسه ، ص 186 .

[3]–المفصل في تاريخ القدس ، عارف العارف ، ص 171 .

[4] الرحالة الأوربيون في مملكة بيت المقدس الصليبية 1099م / 1187م ، محمد مؤنس أحمد عوض ، 187 .

السلع التجارية خاصة التي يمكن أن تباع للحجاج خلال تلك المناسبات الدينية ، و من أمثلثها ، التحف و الصور المتصلة بذكريات المسيحية ، و خاصة صور القديسين و السيدة مريم العذراء و السيد المسيح عليه السلام ، بالإضافة إلى الصلبان و الأيقونات و المسابح و البخور التي يحتاجها المسيحيون في طقوسهم الدينية و صلواتهم[1] .

و عند تحرير بيت المقدس من الفرنج (سنة 583 هـ / 1187 م) اضطر صلاح الدين الأيوبي إلى تزويد بيت المقدس و المدن الفلسطينية الأخرى بالغلال من البلقاء و الصلت[2] .

أما بعد الفتح فقد انتعشت الحركة التجارية في القدس ، حتى أن السياح الدين زاروا القدس في تلك الآونة ذكروا أن المنتجات التي كانت تصدرها القدس آنذاك الجبن ، و القطن و الزبيب و التفاح و قضم قريش الذي لا نظير له و المرايا و قدور القناديل و الإبر و الألبان إضافة إلى وجود عدة أسواق مثل السوق المسقوف الواقع شرقي كنيسة الدباغة ، و الذي يسمى الآن (المبيضين) ، و قد كان على عهد صلاح الدين سوقا للخضار . و القسم غير المسقوف منها و هو الممتد من سوق المبيضين في الجنوب إلى الشارع المؤدي إلى كنيسة القيامة في الشمال ، كان سوقا لبيع الدجاج و الجبن و جميع أنواع الألبان في دلك الزمان . أما السوق المسمى حاليا بسوق العطارين و هو الكائن شرقي السوقين المتقدم ذكرهما ، فإنه كان في تلك الأيام سوقا للمطاعم و الحلاقين . إضافة إلى هده الأسواق فقد أنشأ صلاح الدين أول بيمارستان في القدس سنة (583 هـ / 1187 م)[3] .

و قد غطت جبال القدس و نابلس و الخليل في العهد المملوكي ، أنواع من الأشجار المختلفة ، كالسرو و السنديان ، و الخروب ، و السماق ، و الزيتون ، و أشجار الفواكه كالتفاح و الخوخ و اللوز و الجوز و التين و الكرمة ، و قد استخرج نصارى القدس من الكروم الزبيب و الخمور ، أما التين فاستخرجوا منه القطين ، و اشتهرت نيابة بيت المقدس بالعسل و الجبن[4] .

---

[1]–الرحالة الأوربيون في مملكة بيت المقدس الصليبية (1099 هـ / 1187 م) ، محمد مؤنس أحمد عوض ، ص 187 .

[2]– تاريخ نيابة بيت المقدس في العصر المملوكي ، يوسف درويش غوانمة ، ص 70 .

[3]–المفصل في تاريخ القدس ، عارف العارف ،ص 286 .

[4]– تاريخ نيابة بيت المقدس في العصر المملوكي ، يوسف درويش غوانمة ، ص 80 .

و في هذا الصدد ذكر الرحالة " فلكس فابري" الذي زار القدس عام (885 هـ / 1480 م) أنه عندما نزل ضيفا في دير صهيون قام الرهبان على خدمته و ضيافته . و ذكر من الضيافة : (الكعك المعسل ، الخبز ، البقسماط المطيب و الفواكه من العنب و الموز و البطيخ و الماء البارد[1] .

و لقد تنوع الإنتاج الزراعي في بيت المقدس، و ما حولها من القرى و الوديان في العصر المملوكي، كما عرفت بزراعة عدد هائل من الأشجار المثمرة مثل الزيتون، الكروم، التين ، اللوز ، التفاح ، المشمش ، الرمان ، و البرتغال و غيرها . و كانت زراعة الزيتون منتشرة على سفوح مدينة بيت المقدس و على جانب التلال الصخرية الممتدة حول أطراف المدينة [2] . أما الكروم فيشير مجير الدين الحنبلي إلى أماكن زراعته فيقول : (و بظاهر القدس الشريف من كل جهة كروم بها أنواع الفواكه من العنب)[3] ، كما ذكر الرحالة "بيركارد "أن زراعة الكروم كانت من الزراعات التي اهتم بها المسيحيون المحليون[4] . و ياقوت الحموي هو أيضا يقوم بوصف بعض الفواكه التي كانت موجودة ببيت المقدس فقال : (جمع الله فيها فواكه الأغوار و السهل و الجبل و الأشياء المتضادة كالأترج و اللوز و الرطب و الجوز و التين و الموز)[5] .

و وصف الرحالة "بيركارد "قصب السكر فقال : (أنه كان يجمع عن طريق تقطيبه طوليا بما يساوي نصف نخلة قبل حمله إلى المعاصر ليستخدم في صناعة السكر)[6] .

و بسبب القحط تعرض سكان القدس إلى ضرر عظيم ، حيث عرفت ارتفاعا فاحشا في الأسعار ، مما أدى إلى تدهور معيشي خاصة خلال سنتي (873 هـ / 1468 م) و (896 هـ / 1486 م)[7] .

---

[1]– موسوعة بيت المقدس و المسجد الأقصى ، محمد محمد حسن شراب ، ص 445 .

[2]– بيت المقدس في العصر المملوكي ، محمد حافظ النقر ، ص 123 .

[3]– الأنس الجليل في تاريخ القدس و الخليل ، مجير الدين الحنبلي ، ج 1 ، ص 676 .

[4]– بيت المقدس في العصر المملوكي ، محمد حافظ النقر ، ص 123 .

[5]– معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، دار صادر ، بيروت ، 1955 ، ص 169 .

[6]– بيت المقدس في العصر المملوكي ، محمد حافظ النقر ، ص 124 .

[7]– المفصل في تاريخ القدس ، عارف العارف ، ص 334 .

كما شهدت مدينة بيت المقدس طوال العصر المملوكي انتعاشا في المجال الصناعي تمثل في ازدهار بعض الصناعات مثل صناعة استخراج زيت الزيتون ، و صناعة الشمع ، و المنتجات القطنية ، و السكر و غيرها من الصناعات المحلية ، و أهمها كان صناعة عصر و استخراج الزيت من الزيتون ، التي اشتغل بها عدد كبير من سكان بيت المقدس، و يرتبط بهده الصناعة صناعة أخرى انتشرت في المدينة و هي صناعة الصابون . و قد أشار الرحالة " بيركهارد "إلى أن المشتغلين بصناعة الصابون في بيت المقدس كانوا يجلبون مادة البوتاس الضرورية لتلك الصناعة من الرملة[1] . كما أخدت صناعة الشمع دورها في الازدهار أيضا ، و دلك لأن الشمع المقدسي كان مرغوبا لدى الأجانب و الحجاج المسيحيين الدين يوقدون الشموع داخل كنيسة القيامة في أيام الأعياد و الاحتفالات الدينية .

و بالمقابل أيضا ازدهرت أيضا في بيت المقدس بعض الصناعات الخفيفة و التي ارتبطت هي الأخرى بمواسم الحج المسيحي ، أهمها الحفر على خشب الزيتون ، و قد تخصص في تلك الصناعة المسيحيون المحليون من الطوائف المقيمة في المدينة هدا بالإضافة إلى صناعة المشغولات الفضية و التي يصفها " ابن شاهين "بقوله : إن مدينة القدس شريفة عظيمة يعمل فيها فضة ميناء تجلب منها إلى سائر البلاد و أوصافها كثيرة[2] .

[1]– بيت المقدس في العصر المملوكي ، محمد حافظ النقر ، ص 126 .

[2]– المرجع نفسه ، ص 127 .

- النشاط التجاري و الأسواق في العهد المملوكي :

إن الارتباط بين الحياة التجارية في مدينة بيت المقدس و بين نواحي الحياة المختلفة من زراعة و صناعة و غيرها ارتباط وثيق و قد كان للتجارة موردا اقتصاديا هاما في مدينة القدس، كان لها أثر كبير في الانتعاش الاقتصادي ، خاصة في بدايات حكم المماليك .

و من أهم السلع التي اشتغل تجار بيت المقدس في تجارتها : الزيتون ، قصب السكر ، الكروم ، القمح ، الشعير ، و هناك إشارات في المصادر العربية و كتابات الرحالة الأجانب توضح أن بعض تجار بيت المقدس تخصصوا في العصر المملوكي في تجارة التوابل ، كما اشتغل كثير من اليهود في بيت المقدس بتجارة الحرير و آخرون اشتغلوا بالتجارة في الأعشاب النباتية و العقاقير الطبية ، و البعض[1] ، الآخر تخصص في تصدير بعض المنتجات أهمها زيت الزيتون و العنب و قد جهزت لهده المنتجات معاصر خاصة .

و من بين أهم الصناعات التي كانت موجودة في القدس على العهد المملوكي ، صناعة الأحذية ، و الخياطة و الملابس و العطارة و الدباغة و حرف كثيرة أخرى [2] . كما كان التجار في بيت المقدس يصدرون بعض السلع و المنتجات إلى الأسواق الخارجية ، و من بينها : التوابل و الأحجار الكريمة و الصمغ العربي ، و الزيت و الصابون و النبيذ[3] .

ـالأسواق :

ارتبط النشاط التجاري في مدينة بيت المقدس خلال العصر المملوكي بظهور عدد كبير من الأسواق ، و التي ساهمت في تنشيط اقتصاد القدس آنذاك ، أهمها تلك الأسواق التي ذكرها مجير الدين الحنبلي العليمي و هي سوق ا لصاغة ، و سوق القشاشين (أي سوق القماش) ، سوق المبيضين ، و سوق خادم الفحم ، و سوق الطباخين ، و سوق الحريرية ، و سوق الغلال ، و [4]

- [1]. بيت المقدس في العهد المملوكي ، محمد حافظ النقر ، ص 128
- [2]. القدس في العصر البيزنطي و الإسلامي 364 م /1917م ، إبراهيم الفني ، ص 218 .
- [3] تاريخ نيابة بيت المقدس في العصر المملوكي ، يوسف درويش غوانمة ، ص 91 .

[4] الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل ، مجير الدين الحنبلي ، ص 431 .

الوكالة التي يصفها بأنها خان عظيم ، و سوق القماش و الخضار ، و العطارين ، و الزيت و سوق فخر الدين صاحب المدرسة الفخرية و به المصابن يعمل بها الصابون[1] .

و قد أشارت المصادر العربية منها و الأجنبية إلى أن الأسواق في بيت المقدس من حيث التخطيط عبارة عن مجموعة من الشوارع الطويلة المتوازية المسقوفة ، و تقفل بأبوابها في مداخلها ، و كانت لها أسقف من القماش يمكن تحريكها تبعا لفصول السنة.

و يعتبر الرحالة "كازولا "من أكثر الرحالة الدين وصفوا أسواق بيت المقدس في القرن (9 هـ / 15 م) إذ يقول : أرى مما أدهشني حقا مشاهدة تلك الأسواق ، فهي طويلة و عبارة عن شوارع مسقوفة تمتد إلى مسافات بعيدة ، و على جانبيها الدكاكين المليئة بالسلع و البضائع المختلفة ... و استخدمت الدكاكين أيضا كمحلات للعمل و مراكز للصناعة حيث شاهدت أماكن للغزالين و الدباغين و الخياطين و كثير من المسيحيين المشتغلين بالصباغة)[2] .

كما يذكر الرحالة" غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري "أن (بالقدس أسواق كثيرة من جملتها ثلاث قصبات على صف واحد قيل أنه لم يكن لها نظير في البلاد ... و خانات وحمامات ... و بضواحيها عين سلوان و الطور ... و خان الظاهر ...)[3]

وكانت أسواق بيت المقدس مقسمة حسب السلع التي تباع فيها، و غالبا ما كان السوق يحمل اسم السلعة التي يتخصص السوق في تداولها. أشهرها سوق الطباخين الدي تباع فيه جميع أصناف للأطعمة ، و سوق الزيت ، و سوق السمك و غيرها .

و قد ترك لنا الرحالة "كازولا" وصفا شيقا لسوق الطباخين ، إد يقول : (و هي سوق في شارع طويل يمتد إلى مرمى البصر و قد أخبروني أن لا أحد من أهل القدس يطهو طعامه في منزله ، و كل ما يشتهيه الفرد من طعام يجده في تلك السوق)[4] .

---

[1]– الأنس الجليل في تاريخ القدس و الخليل ، مجير الدين الحنبلي ، ج 2 ، ص 495 .

[2]– تاريخ بيت المقدس في العصر المملوكي ، محمد حافظ النقر ، ص 128 .

[3]– كتاب زبدة كشف الممالك و بيان الطرق و المسالك ، غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري ، ص 23 .

[4]– تاريخ بيت المقدس في العصر المملوكي ، محمد حافظ النقر ، ص 129 .

كما وصفها لنا مجير الدين الحنبلي سوق الزيت في بيت المقدس فذكر لنا بأنها كانت في المنطقة المواجهة لباب الناظر، أحد أبواب المسجد الأقصى من جهة الغرب ، و وصف الحنبلي نشاط تلك السوق و كيف أن أصحاب المصابن يشترون منها كميات كبيرة من الزيت لصناعة الصابون[1] .

إضافة إلى هده الأسواق ، عرفت بيت المقدس نوعا من الأسواق الموسمية التي ارتبت غالبا بقدوم الحجاج المسيحيين ، و من بين هده الأسواق : السوق التي كانت تعقد في الفناء الواسع الواقع أمام الباب الرئيسي لكنيسة القيامة ، و تباع فيه الحلي ، و المسابح ، و التحف الشرقية ، و صور القديسين ، و يذكر الرحالة "بيروتافور "، الذي زار بيت المقدس سنة (841 هـ / 1436 م) ، أن المسيحيين المحليين ، و بخاصة الروم ، كانوا يدخلون كنيسة القيامة و يبيعون الأطعمة للحجاج المسيحيين، كما أن كثير من التجار المسلمين كان يسمح لهم بدخول الكنيسة بعد انتهاء القداس لعرض بضائعهم على الحجاج .

كما تخصصت بعض الأسواق في بيع السلع المستخدمة في الأعياد و الاحتفالات المسيحية و من بينها سوق السعف الذي كان يقع جنوبي كيسة القديس ستيفن[2] .

و أشارت بعض المصادر العربية لسوق موسمي آخر كان يعقد في بيت المقدس في الخامس عشر من شهر سبتمبر كل سنة ، و هو سوق كان يفد إليه التجار الإيطاليين لشراء القرنفل ، و جوز الطب ، و الفلفل و البهار و البخور و الكتان ، و الزجاج ، و الملابس و غيرها من السلع [3] . كما كانت هناك أسواق دورية تقام مرة كل أسبوع في المدينة ، يقصدها أهل الريف و البدو و القرى المجاورة لبيع محصولاتهم أو مقايضتها . و غالبا ما كانت هده الأسواق تنعقد في الأماكن المكشوفة الواقعة قرب بوابات المدينة (ساحة أو ميدان واسع)[4] .

---

[1]- الأنس الجليل في تاريخ القدس و الخليل ، مجير الدين الحنبلي ،ج 2 ، ص 40 .

[2]- تاريخ بيت المقدس في العصر المملوكي ، محمد حافظ النقر ، ص 130 .

[3]- المرجع نفسه ، ص 131 .

[4]- تاريخ نيابة بيت المقدس في العصر المملوكي ، يوسف درويش غوانمة ، ص 83 .

إلى جانب هده الأسواق عرفت مدينة بيت المقدس الباعة المتجولين الدين كان بعضهم يفترشون الأرض في الأسواق لبيع بضائعهم في حين يتجول أغلبهم في الشوارع و الحارات يحملون بضائعهم . و قد أشار بعض الرحالة الأوربيين لظاهرة كثرة الباعة المتجولين في بيت المقدس في القرن (9 هـ / 15 م) . و في هدا الإطار أيضا لا يمكننا إغفال دور بعض المؤسسات التجارية التي ساهمت بدورها في تنشيط التجارة في بيت المقدس آنذاك و قامت بمهمة الأسواق منها القيسريات [1] و الحانات و الفنادق و الوكالات[2] .

- دور الحج إلى بيت المقدس في الحياة الاقتصادية للمدينة :

لعب الحج إلى بيت المقدس دورا كبيرا في الحياة الاقتصادية للمدينة و هو الذي تطور عبر العصور من مجرد طقس فردي ليصير غفرانا لبعض الذنوب. و مند القرن (5 هـ / 11 م) ، و مع اعتناق أعداد كبيرة للنصرانية في البلقان و روسيا و شرق أوربا نتيجة جهود الكنيسة الرسمية البيزنطية ، زادت ظاهرة الحج إلى المدينة المقدسة[3] .

و يبدو أن المماليك نجحوا في إعادة الصبغة الإسلامية إلى القدس ، و تدعيم مواردها الاقتصادية من خلال تدعيم الخدمات للحجاج من أتباع الأديان جميعا ، فحقق هدا موردا للدخل عن طريق تدفق الزوار و الحجيج الدين كانوا يحتاجون إلى الطعام و السكن و الأدلاء (الدليل) و النقل و الهدايا التذكارية ، مقابل ما يدفعونه من رسوم و ضرائب أثناء إقامتهم[4] .

---

[1]– القيسريات : أو القياسر أبنية تقوم بمهمة الأسواق بها حوانيت تؤجر للتجار متخصصة للبيع و الشراء ، و يخزن التجار بضائعهم فيها .

[2]– تاريخ بيت المقدس في العصر المملوكي ، محمد حافظ النقر ، ص 131 .

[3]– تاريخ القدس عبر العصور ، إسحاق رباح ، ص 221 .

[4]– المرجع نفسه ، ص 221 .

و لما زار القدس الرحالة الفرنسي "لوران دارفيو "سنة (1071 هـ / 1660 م) لتأدية مراسيم الحج في عيد الفصح مع مجموعة من التجار الفرنسيين و الهولنديين و رجال الدين الأوربيين ، تعذر عليه دلك لكثرة الحجاج الدين وفدوا إلى القدس . و قد ذكر أن عددهم تجاوز الأربعة آلاف شخص مما يدل على ازدهار المدينة ، و ازدياد نشاط الحركة التجارية فيها ، و الذي يغطي احتياجات النصارى في مواسم أعيادهم[1] .

و لتسهيل حركة الحجاج قام الحكام على عهد المماليك بعدة تدابير منها : توسيع الطريق الذي يفصل يافا عن القدس ، و إزالة ما به من الأوعار ، و زادوا في سعته ، كما خصصت لهؤلاء الحجاج تراجمة (أدلاء سياحيون) يساعدونهم على زيارة الأماكن المقدسة و حمايتهم ، و استئجار البيوت اللازمة لهم في القدس ، فعمت الفائدة معظم سكان المدينة و تجارها[2] .

و قد ذكر الرحالة "فيلكس فابري "الذي زار القدس سنة (888 هـ / 1483 م) ، أن مراكب الحجاج الأوربيين كانت ترسو في مياه يافا ، حيث يستقبلهم مندوبون عن نائب القدس ، و قد هيئت لهم كل الترتيبات لحمايتهم و تسهيل مهمتهم في الأراضي المقدسة [3] . و الخلاصة من هدا أن موسم الحج كان يمثل فترة انتعاش اقتصادي لمدينة بيت المقدس .

كما أدى الوقف الإسلامي دور كبير في حياة القدس الاقتصادية بدوره ، و من جملة الأوقاف ذات النفع العام ، ما فعله الظاهر بيبرس عند زيارته لبيت المقدس سنة (661 هـ / 1261 م) أحوال البلد و ما يحتاج إليه المسجد الأقصى من العمارة ، ثم نظر في الأوقاف ، و رتب خمسة آلاف درهم ، تسرف سنويا برسم مصالح المسجد الأقصى ، و وقف عدة قرى بأعمال الشام و القدس ، يصرف ريعها في ثمن خبز و نعال لمن يرد إلى القدس من المشاة .[4]

---

[1]– مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية ، المجلة 7 ، العدد 3 ، سنة 2012 ، ص 3 .

[2]– تاريخ نيابة بيت المقدس في العصر المملوكي ، يوسف درويش غوانمة ، ص 85 .

[3]– أسفار في فلسطين ، ج س بكنجهام ، ترجمة : سليمان موسى ، منشورات ابن رشد ، عمان ، الطبعة الأولى ، 1987 ، ص 84 .

[4] تاريخ نيابة بيت المقدس في العهد المملوكي ، يوسف درويش غوانمة ، ص 110 .

ثم بنى خانا خارج القدس وقفه لخدمة المسافرين و الزائرين إلى المدينة المقدسة [1].وهو خان السبيل ، كما بين طاحونا و فرنا برسم هدا الخان كي يقوم بطحن الدقيق و خبز الأرغفة[2] .

و قد جرت العادة أن يرسل السلطان كاشفا لينظر في أحوال بيت المقدس، و كان نظار تلك الأوقاف يجمعون له مبلغا من المال، و قد بلغ هدا المبلغ سنة (882 هـ / 1477 م) 1200 دينار، فجمعوا من أوقات المسلمين 900 دينار، و 300 دينار من أوقاف أهل الذمة[3] .

و الأمر الجدير بالذكر أن هده الأوقات أوجدت وظائف لمئات الأشخاص ، و زودت مئات المنتفعين بدخل ثابت ، كما أن الوقف عمل على انتعاش كافة فروع الاقتصاد في بيت المقدس[4] .

- المعاملات المالية في بيت المقدس :

يورد القلقشندي عن بيت المقدس : " و معاملاتها بالذهب و الفضة و الفلوس على ما تقدم في معاملة دمشق "[5] و الواضح مما أورده القلقشندي أن بيت المقدس لم يكن لها نظام نقدي منفصل عن دولة السلاطين المماليك و إنما كانت المعاملات المالية فيها تتم بنفس فئات العملة المتداولة في الدولة المملوكية . و يذكر ابن فضل العمري أن المعاملات المالية في بيت المقدس على أيامه كانت الدراهم و ثلثاها فضة و الثلث نحاس ، و بها نوع من الدرهم السود و الدرهم منها ثلث درهم ، و الدرهم قيمته ثمانية و أربعون فلسا[6] . و كان يعبر عن أربعة فلوس بحبة[7].

---

[1]- تاريخ نيابة بيت المقدس في العصر المملوكي ، يوسف درويش غوانمة ، ص 110 .

[2]- المرجع نفسه ، ص 87 .

[3]- المرجع نفسه ، ص 111 .

[4]- القدس الحق ... التاريخ ... والمستقبل ، محمد صلاح سالم ، ص 64 .

[5]- صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، القلقشندي ، شرح وتعليق محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1987م ، ص 85 .

[6]- تاريخ بيت المقدس في العصر المملوكي ،محمد حافظ النقر ، ص 142 .

[7]- المفصل في تاريخ القدس ، عارف العارف ، ص 344 .

كما يورد ابن الهائم الذي كان مقيما ببيت المقدس سنة (791 هـ / 1388 م) أن التعامل في تلك الفترة كان بالفلوس العددية ، و كانت الفلوس رائجة رواج النقود لعدم التعامل بها شراء عقار و نحوه ، ثم دخلت الفلوس المصرية العددية القدس الشريف المعبر عنها بالجدد ، و صار التعامل في القدس بالنوعين ثم راحت الجدد على المعتق رواجا كبيرا [1] . كما أشارت المصادر إلى وجود الدنانير المصورة في بيت المقدس و كان التداول بها مسموحا في العصر المملوكي ، و مصدرها الدويلات الأوربية ، يحضرها الحجاج أو تصل إلى القدس عن طريق المبادلات التجارية التي كانت تتم بين بيت المقدس و أوربا[2] .

---

[1]– تاريخ بيت المقدس في العصر المملوكي ، محمد حافظ النقر ، ص 142 .

[2]– تاريخ نيابة بيت المقدس في العصر المملوكي ، يوسف درويش غوانمة ، ص 100 .

القدس اقتصاديا (العهد العثماني)

عني العثمانيون بالمنشآت الاجتماعية الخاصة بالمياه التي يشرب منها أهالي القدس و الزوار الدين يفدون إلى المدينة من حجاج (نصارى و يهود ...) لدلك عمر العثمانيون القنوات و البرك و الأسبلة و الحمامات ، لأنها مثلث المشكلة الأولى في المدينة.

كما قام السلاطين العثمانيون بترميم بركة السلطان و السبيل الكائن أمامها و السبيل الذي يقع في طريق الوادي ، و السبل الواقعة في ساحة المسجد الأقصى ، و السبيل الذي يقع شمال باب شرف الأنبياء ، و الآخر الواقع عند باب السلسلة أو أسبلة أخرى ساهمت في توفير الماء لسكان القدس ، و في العهد السلطان " محمد الثاني عمر " متسلم القدس" كنج أحمد آغا "قناة السبيل التي كانت تسيل فيها المياه المجلوبة إلى القدس من بركة سليمان و ما جاورها من عيون ، و من المياه الموجودة في منطقة العروب ليشرب منها أهالي المدينة[1] .

كما بنى الأمير "تنكيز" حوضا لأحد العيون سعته نحو مائتي ذراع ، و ركب في الجبل مجاري نقب لها في الحجر حتى دخل الماء إلى المقدس ، كما أنشئ "تنكز" بالقدس خانكاه و حماما و قيسارية[2] .

و عن المياه يذكر الرحالة التركي" أوليا جلبي "أن في القدس ستة حمامات هي : حمام ستنا مريم ، و حمام السلطان ، و حمام الشفا ، و حمام العين ، و حمام حمزة ، و حمام البطرك ، و هدا الأخير في الغالب للنصارى و فيها ثمانية عشر سبيلا يشرب منها المار و العطشان ... يهطل الثلج على جبالها ، و فيها صهاريج كثيرة[3].

---

[1]– تاريخ القدس عبر العصور ، إسحاق رباح ، ص 255 .

[2]– كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك ، المقريزي ،الجزء الثاني ، القسم الأول ، قام بنشره محمد مصطفى زيادة ، ص 302 .

[3]– المفصل في تاريخ القدس ، عارف العارف ، ص 416 .

كما أشار في رحلته إلى قطاع الطرق و الأشقياء الدين كانوا يوقفون السابلة و يسلبونهم كل ما يجدونه معهم من أمتعة و نقود ، كما أنهم كانوا يخربون ينابيع المياه الواقعة على الطريق ، هدا ما جعل سكان القدس يعانون الأمرين من جراء انقطاع الماء عنهم ، الأمر الذي حدا بالسلطان مراد إلى إقامة حرس قوي عند برك سليمان[1] .

و قد قام السلطان مراد الرابع (سنة 1630 م) بترميم البرك و إصلاح العيون التي كانت تزود القدس بالماء ، و بهدا أعاد الأوضاع في القدس على ما كانت عليه في عهد السلطان سليمان القانوني[2] .

لقد كان وصف الرحالة التركي أوليا جلبي أحسن وصف لمدينة بيت المقدس على عهد العثمانيين ، و من بين ما قاله عنها أنها بلد عظيمة من حيث اقتصادياتها ، و وفرة حاصلاتها ، و ذكر جبالها المليئة بأشجار الزيتون ، و أراضيها المغطاة بالكروم و البساتين ، و ذكر أنه كان فيها يومئذ ثلاثة و أربعون ألف كرم ، و ألف و خمسمائة منظرة[3] قائمة في وسط هده الكروم[4] .

و قد أشار أكثر الرحالة الدين زاروا القدس إلى كثرة أشجار الزيتون فيها و حولها و في القرى التابعة لها ، و منهم "مصطفى اللقيمي" الذي زار القدس سنة (1143 هـ / 1730 م) ، و الذي أشاد ببساتين الزيتون على الطريق إلى مدينة القدس ، قائلا " و نحن نمر بأشجار الزيتون الكثيرة و لابد أن هده الأرض منابت الزيتون كما هو مشهود معلوم "[5] .

---

[1]- المفصل في تاريخ القدس ، عارف العارف ، ص 417 .

[2]- القدس في العصر البيزنطي و الإسلامي (364 هـ / 1917 م) ، إبراهيم الفني ، ص 235 .

[3]- المنظرة : مسكن ناظور (حارس) للكرم (موسوعة بيت المقدس و المسجد الأقصى) .

[4]- المفصل في تاريخ القدس ، عارف العارف ، ص 415 .

[5]- القدس في العهد العثماني ، أحمد حسين عبد الجبوري ، ج 2 ، الحامد ، الطبعة الأولى ، ص 2011 ، ص 128 .

و بالإضافة إلى أشجار الزيتون و الكروم ذكر الرحالة البريطاني "بيكنجهام " الذي زار القدس سنة (1816 م) أنه عند قدومه إليها شاهد بساتين التين و أشجار المشمش التي كانت تغطي مساحات كبيرة من بيت المقدس[1] .

و يحتل التين المرتبة الثانية بعد الزيتون ، من حيث انتشار زراعته في مدينة القدس ، و كان السكان يعتنون به عناية كبيرة ، يتغذون عليه ، و يجففونه لأيام الشتاء ، و قد زرع إلى جانب كروم العنب ، و تحدث "دارفيو "عن كيفية زراعة هده الأشجار في جبال القدس فأشار إلى أن فلاحيها عملوا على نحت الصخور في بعض الجهات من جبال القدس على شكل درجات السلم ، من السفح إلى القمة ، ثم حملوا الأتربة إليها ، و زرعوا فيها مختلف أشجار الزيتون ، التين ، العنب ، القمح ، و أنواع الخضر[2] . أما كروم العنب فقد زرعت في القدس أنواع عديدة منها : الجندلي ، الحمداني ، النقيبي ، الحلواني ، الغزي ، العبيدي ، و الملون . و كانت زراعته كثيفة في المزارع و القرى القريبة من القدس ، و تقوم على العنب صناعة الدبس و الخمور بالنسبة للنصارى .

و يشير "دارفيو "إلى أن الأراضي المزروعة كروما كانت أكبر مساحة مما هي عليه أثناء زيارته ، خاصة بالنسبة للنصارى ، لأنهم يحولون العنب إلى نبيد[3] .

أما بالنسبة إلى الخضر فيذكر الرحالة البريطاني "ج س بيكنجهام "أن الأراضي المحيطة ببيت المقدس انتشرت بها حقول من الحبوب كالقمح الشعير ، الدرة ، العدس ، الشمام ، الخيار ، الخرشف و البطاطا ، و قد اعتنى الفلاحين في هده القرى بتربية دودة القز لصناعة الحرير[4] .

---

[1]- أسفار في فلسطين ،ج س بكنجهام ، ص 99 .

[2]- القدس في العهد العثماني (1640 / 1799 م) ، أحمد حسين عبد الجبوري ، ص 130 .

[3]- المرجع نفسه ، ص 131 .

[4]- أسفار في فلسطين ، ج س بكنجهام ، ص 100 .

الثروة الحيوانية في بيت المقدس (العهد العثماني) :

اهتم سكان القدس بتربية أنواع مختلفة من الحيوانات و الطيور للإفادة من إنتاجها أو لاستخدامها في حياتهم اليومية ، و قد حددت الطبيعة الجبلية لمدينة بيت المقدس و المناطق المحيطة بها أنواع الحيوانات التي اهتم السكان و خاصة البدو منهم بتربيتها . و لما كانت الأغنام و الماعز من أكثر الحيوانات تكيفا مع الطبيعة، فقد انتشرت تربيتها في المدينة و القرى المجاورة لها ، و كانوا ينتفعون بلحومها و ألبانها و أصوافها و جلودها[1] .

أما الأبقار و الجواميس فقد قاموا بتربيتها للاستفادة من لحومها و ألبانها و جلودها من أجل صنع الأحذية ، و استعمالها في الأعمال الزراعية كالحراثة و الدراسة . و بالإضافة إلى هده الحيوانات انتشرت في بيت المقدس تربية الخيول و الجمال ، أما خيول القدس فقد أبدى الرحالة "دارفيو "إعجابه الفائق بها ، فخيولهم بحسب تعبيره لم تكن خيولا ، و إنما طيورا تنطلق بسرعة فائقة ، و لقد أوضح كيف يعتنون بها ، و كيف ينظفونها بالفرشاة ، و يداعبونها و يقبلونها ، كيف كانوا يحفظون أنسابها لتقدير ثمنها ، كما بين نوع الطعام الذي كانوا يهيئونه لها من شعير و تبن و غيرها[2] .

أما الجمال فقد اهتموا بها من أجل نقل الحجاج النصارى القادمين إلى القدس و الحجاج المسلمين الذاهبين إلى مكة ، إضافة إلى نقل السلع و البضائع . و تحدث الرحالة "دارفيو "عن العسل الطبيعي في جبال القدس ، و ذكر أن سكان القدس قديما كانوا يربون النحل في فجوات الصخور و الأشجار ، كما أشار إلى أن طعم العسل المقدسي لا يقل عن لذة المصنوع في الكواير ، بل هو أكثر حلاوة ، و أفضل نكهة ، لأن النحل البري يتغذى من الأزهار الطبيعية البرية ، التي لها من المذاق و الرائحة ما يفوق المذاق و الرائحة ما يفوق المزروعة[3] .

---

[1]– القدس في العهد العثماني (1640 / 1799 م) ، أحمد حسين عبد الجبوري ، ص 134 .

[2]– المرجع نفسه ، ص 135 .

[3]– القدس في العهد العثماني(1640 م / 1799م ، أحمد حسين عبد الجبوري ، ص 136 .

و كان للطيور نصيب من اهتمام سكان بيت المقدس حيث قاموا بتربية الدجاج و الحمام و الإوز ...[1]

و يصف الرحالة "أوليا جلبي "أسواق القدس في العهد العثماني قائلا أن في القدس ألفان و خمسة و أربعون دكانا ... و فيها ستة خانات عظيمة. و أسواق كثيرة منها : سوق السلطان و هو أشهرها ، و المسئول عن إدارة السوق هو المحتسب و يلقب بالآغا ، و من واجباته أن يحفظ سجلا يدون فيه أسماء التجار و أصحاب الدكاكين و، و للسوق خان تحفظ فيه جميع البضائع و الأمتعة القيمة . و من أسواق القدس : السوق الطويل و تباع فيه الصحون و الفناجين و آلات الطهي و أدوات المنزل ، و سوق الحلاجين يعمل فيه الحلاجون و الندافون و تجار القطن . و سوق الغلال تعرض فيه جميع أنواع الحبوب و الغلة . و سوق الحرير و سوق القريب من باب السلسلة . و سوق البزازين . و لهدا السوق باب من حديد .وفي القدس عدد غير قليل من الصاغة و تجار الحلي و المجوهرات . و ليس على وجه البسيطة نوع من أنواع الصياغة ، إلا و في القدس مثلها[2] .

و قد اشترك المسلمون والنصارى واليهود في هده الصناعة أو الحرفة وكان المسلمون فيها قلة، و بلغ عدد أعضائها سنة (1067 هـ / 1656 م) ستة عشر عضوا ، منهم سبعة نصارى ، و تسعة يهود[3] .

و اشتهر نصارى القدس باقتناء المصوغات الذهبية و الفضية و بصياغة الذهب و الفضة و إنتاج نماذج عديدة منها الخلاخيل ، الأساور ، الأقراط ، الخواتم ، السلاسل الذهبية ، و المصوغات الذهبية و الفضية[4] .

---

[1]– القدس في العهد العثماني ، أحمد حسين عبد الجبوري ، ص 137 .

[2]– المفصل في تاريخ القدس ، عارف العارف ، ص 416 .

[3]– القدس في العهد العثماني ، أحمد حسين عبد الجبوري ، ص 176 .

[4]– نصارى القدس (دراسة في ضوء الوثائق العثمانية) مركز دراسات الوحدة العربية ، حامد إبراهيم القضاة ، ص 301 .

و قد كانت أسواق القدس آنذاك تستقطب السلع الزراعية و الصناعية من مختلف أنحاء الدولة العثمانية ، إضافة إلى الحجاج الدين يأتون لزيارة الأماكن المقدسة في القدس ، و بهدا كانت هده الأسواق مزدهرة ، مما زاد في تنشيط الحركة الاقتصادية و قد ساعد على هدا الوضع الاقتصادي النشيط الباعة المتجولون ، الدين يفتحون رزمهم التي تحتوي على الأقمشة الجميلة و الألبسة الجاهزة[1] .

و من محاسن حكم "محمد علي "في مدينة القدس هو رفضه السماح لليهود بشراء الأراضي الزراعية و ممارسة الزراعة و الحراثة و بيع الأغنام و المواشي و الأبقار ، و سمح لليهود بالعمل في التجارة فقط[2] .

[1]– القدس في الصراع العربي الإسرائيلي ، محمد عوض الهزايمة ، ص 43 .

[2]– تاريخ القدس عبر العصور ، إسحاق رباح ، ص 247 .

الصناعات في القدس (العهد العثماني) :

دلت سجلات المحكمة الشرعية على وجود خمسة فروع رئيسية من الصناعات في مدينة القدس في هدا العهد و هي :

1. الصناعة الغذائية : و تتمثل في استخراج الزيوت و طحن الحبوب و عصر الفواكه[1] .

. الصناعة المرتبطة بالزيتون أهمها : زيت الزيتون ، الصابون ، الأخشاب المصدّفة ، المسابح و الصلبان .

أما فيما يخص زيت الزيتون فقد انتشرت معاصره في القدس و القرى المجاورة لها ، و كانت موزعة بين الأوقاف من كبار الموظفين العثمانيين و العائلات المقدسية المشهورة ، و قد بلغ عددها في القدس سبع عشرة معصرة منها خمس عشرة في مدينة القدس ، و استخدمت لعصر و استخراج الزيت منه و الذي يستخدم في عدة مجالات أهمها صناعة الصابون [2] . التي كانت مزدهرة في مدينة القدس بسبب توافر المواد الأولية لصناعته ، و قد أضيفت إلى الصابون مادة عطرة ، و أطلق عليه اسم (صابون المسك) ، و قد لقي هدا النوع رواجا لدي الحجاج و الزوار القادمين إلى القدس . و قد بلغ عدد المصابن في مدينة القدس تسعة مصابن و تعود في معظمها إلى الأوقاف و بعضها الآخر إلى كبار الموظفين في المدينة[3] .

و قيل أنه في عهد "إبراهيم باشا "كان زيت الزيتون متوفرا لدرجة أن أهل القدس في سنة من السنين كبوا الزيت القديم ليجدوا أوعية كافية للزيت الجديد ، و كان سعر الرطل من الزيت 48 بارة [4] .

---

[1]– القدس ... التاريخ ... و المستقبل ، محمد صلاح سالم ، ص 64 .

[2]– القدس في العهد العثماني ، محمد حسين عبد الجبوري ، ص 138 – 139 .

[3]– المرجع نفسه ، 140 .

[4]–المفصل في تاريخ القدس ، عارف العارف ، ص 444 .

. صناعة الصدفيات و التحف و شملت صناعة السبحات و الصلبان من الصدف و العظام ، و الأيقونات و التحف الكبيرة و الصناديق المخصصة لأدوات الزينة ، و لعب الأطفال المصنوعة من خشب الزيتون ، و اختص بها أهل القدس و كانت مصدر دخل للنصارى ، فعملت أديرة الروم و الأرمن و الأقباط على صناعتها ، و أشار "دارفيو" إلى انتشار صناعة الصلبان و السبحات ، و التماثيل من الخشب و التي تمثل أمور مقدسة ، و في معرض حديثه يؤكد أن بعض العائلات الكاثوليكية في القدس هي التي كانت تقوم بصناعتها و بيعها لدير رهبان الأرض المقدسة أو للحجاج ، و أشار أيضا إلى أنها كانت تباع بأسعار مرتفعة للحجاج و النصارى ، و هي تصنع من أنواع متعددة من الخشب و منها خشب الزيتون[1] .

و من بين الصناعات الغذائية في بيت المقدس الصناعات المرتبطة بالعنب و تعتمد عليه صناعتان رئيسيتان هما صناعة الخمور و صناعة الدبس ، أما عن صناعة الخمور فقد عمل فيها أهل الذمة من النصارى و اليهود ، و يبدي "دارفيو" إعجابه الكبير بالنبيذ الأبيض الذي يستخرج من عنب الكروم الممتدة بين بيت المقدس و القدس لأنه نبيد ممتاز ، فالعنب كثير الماء و الحلاوة ، و له رائحة زكية و يبدو أنه معطر بالمسك[2] .

أما فيما يخص صناعة الدبس فقد كانت منتشرة في القرى المجاورة للقدس ، حيث كان أهلها يستخرجونه من العنب لاستخدامه في فصل الشتاء . و استخدمت المعاصر التي تسمى المدابس لدرس زبيب العنب الأحمر و استخراج الدبس منه ، و قد بلغ عدد المدابس تسعة ، ثمانية في الريف كيف تكثر أشجار العنب و الفواكه و واحدة في القدس تقع في حارة بني مرة .

و ضمن كروم العنب وجدت مساطح الزبيب ، الزبيب الذي أعجب "دارفيو "بطريقة تجفيفه و صناعته ، و لكنه لم يعر صناعة الدبس اهتماما[3] .

---

[1]– القدس في العهد العثماني ، أحمد حسين عبد الجبوري ، ص 142 .

[2]– المرجع نفسه ، ص 144 .

[3]– القدس في العهد العثماني ، أحمد حسين عبد الجبوري ، ص 145 .

. الصناعات المرتبطة بالحبوب : انتشرت صناعة طحن الحبوب في القدس و القرى المجاورة لها ، لتوفير مادتي الطحين و السميد ، و قد توزعت المطاحن بين كبار الموظفين و أبناء العائلات المقدسية و التجار و الأوقاف و انتشرت في حارات و أحياء القدس مثل : حارات اليهود ، صهيون ، النصارى ، باب حطة و منطقة خان العمارة العامرة .

و قد بلغ عدد المطاحن واحد و سبعون مطحنة موزعة في مدينة القدس[1] .

-صناعة النسيج و الصباغة :

1. النسيج : تعد مدينة القدس من أقدم مدن فلسطين في صناعة المنسوجات القطنية و الصوفية ، و ساعد على انتشارها توفر المواد الخام اللازمة لها من القطن و الكتان و الصوف ، و في القدس سوق رئيسي يدعى سوق القطانين ، و من أسواقها الرئيسة أيضا : سوق الحلاجين الدي يعمل فيه الحلاجون و الندافون و تجار القطن .

و قد تركزت دكاكين الحياكة في حارات التبانة ، الجوالدة ، باب حطة ، صهيون ، باب العمود ، حارة النصارى ، هدا إضافة إلى سوق القماش . و قد عمل في هده الدكاكين المسلمين و أهل الذمة من النصارى خاصة ، و عمل في هده الحرفة من المسلمين تسعة و خمسون شخصا ، و من النصارى ثمانية أشخاص[2] .

2. الصباغة : حرف النسيج و صناعة الملابس مرتبطة بصناعة أخرى هي الصباغة (أي صبغ القماش بالألوان المختلفة ، و يبدوا أن صبغ النيل الذي له لون أزرق هو الأكثر طلبا و شعبية في القدس آنذاك ، و انتشرت في القدس ثمانية مصابغ ، و قد كانت هده المصابغ توفر عملا لأعداد كبيرة من أهل القدس[3] .

---

[1]- القدس في العهد العثماني ، أحمد حسين عبد الجبوري ، ص 146 .

[2]-المرجع نفسه ، ص 155 .

[3]- المرجع نفسه ، ص 156 .

- **الصناعات الجلدية :**

استغل أهالي القدس ثروتهم الحيوانية لإقامة بعض الصناعات مثل : صناعة أكياس الخيش من شعر الماعز ، دباغة الجلود ، و صناعة الأحذية .

أ - صناعة الخيش : انتشرت في القدس ، و شكل شعر الماعز المادة الأولية لها ، و الشعارون كانوا يصنعون بيوت الشعر التي يستخدمها البدو بيوتا لهم ، كما صنعوا الأكياس ، الحبال ، و غيرها من الأمور ، و قد استخدمت أكياس الخيش في نقل القمح و الشعير [1] .

ب - **دباغة الجلود :** وجدت في القدس ثلاث مدابغ ، الأولى تقع قرب كنيسة القيامة في حارة النصارى ، ووفرت عملا لأربعين عاملا ، و الثانية وجدت داخل الزردخانة ، أما الثالثة فتقع بباب حطة ، و قد منعوا من ممارسة هده الحرفة إلا في المكان المخصص لها . كما أنتجت هده المدابغ القرب التي استخدمت في نقل المياه من المنابع و الآبار ، و صدرت كميات منها إلى مصر و بلاد الشام ، و أنتجت الجلود المخصصة لصناعة الأحذية و السروج و الأحزمة ، فضلا عن الحقائب[2] .

ت - صناعة الأحذية : انتشرت في القدس ، و قد أطلق عليها (الصرامي) ، و سمي صانعوها (الإسكافية و الكندرجية)[3] .

- **الصناعة المعدنية (الحديدية و النحاسية) :**

- النحاس : استخدم النحاس في صناعة الأواني المنزلية كالصحون النحاسية ، الصواني النحاسية ، القدور (الطناجر) ، دلال القهوة ، حلل الماء في الحمامات ، و الشمعدانات ، كما استخدم في صناعة الأواني الكبيرة في المعاصر و المصابن لغلي الزيتون و صناعته ، لدلك وجدت طائفة النحاسين و المبيضين التي تصنع النحاس و الأواني ، و تقوم بتبييضها ، و النقاشون الدين ينقشون الأشكال المختلفة عليها مما يضفي عليها رونقها و جمالا[4] .

و قد بلغ عدد النحاسين بين سنتي (1069 هـ / 1089 هـ) (1659 م / 1678 م) إحدى عشر شخصا ، ثمانية مسلمين و ثلاثة نصارى ، في حين بلغ عدد المبيضين سنة (1054 هـ / 1644 م) ثلاثة عشر شخصا ، اثنا عشر مسلما ، و نصراني واحد[5] .

---

[1] – القدس في العهد العثماني ، أحمد حسين عبد الجبوري ، ص 153 .

[2] – المرجع نفسه ، ص 154 .

[3] – القدس في العهد العثماني ،أحمد حسين عبد الجبوري ، ص 154 .

[4] – المرجع نفسه ، ص 157 .

[5] – المرجع نفسه ، ص 158 .

- **الحديد** : انتشرت في القدس الصناعات الحديدية مثل مفاصل الأبواب و الشبابيك ، أداوت الزراعة من المجاريف ، الجنازير ، المحاريث ، الفأس ، السكك ، الخناجر ، السكاكين ، السيوف ، الحديد المستعمل في البناء و غيرها ، غلب على حرفة الحدادة سيطرة النصارى المقدسيين عليها ، إد بلغت أعدادهم (1057 هـ / 1647 م) و سنة (1088 هـ / 1677 م) ثمانية حدادين [1] . و قد ساهم الحدادين النصارى في صناعة الأدوات المنزلية كالملاعق و الشوك و الكراسي و الأسرة الحديدية[2] .
- **صناعة الشمع** :هي من بين الصناعات التي اشتهرت فيها مدينة القدس ، و كان الشمع المقدسي و لا يزال مرغوبا لدى الزوار و الحجاج النصارى ، استخدم للإضاءة في المنازل و المساجد ، الكنائس و الأديرة إلى جانب القناديل ، و كان هناك شماعتان ، أغلب حرفييها كانوا من النصارى مع وجود بعض المسلمين[3] .

أما عن التجارة الخارجية فقد كان لتجار القدس نشاطا فعالا في التجارة الخارجية (من استيراد و تصدير) البضائع ، و كانت لهم علاقة تجارية بالولايات العثمانية و الدول الأوربية ، و كانت القدس تصدر السلع الفائضة عن حاجتها ، فصدرت الصابون إلى مصر و إيطاليا و اليونان [4] .و الحبوب إلى مصر و رودس و يوغوسلافيا[5] .

كما صدرت القدس ما يتراوح بين (1500 هـ / 1800 م) بالة ،[6] من القطن الخام و المغزول إلى مصر و فرنسا ، و الأقمشة القطنية و الحريرية ، الصمغ العربي ، البن ، و خرزا و مشمشا شاميا و غيرها من الفواكه المجففة إلى مدينة أزمير ، و التحف و السبحات ، الأيقونات ، المطرزات ، الصلبان ، التماثيل ، الحرير ، المرجان ، الذهب ، الفضة إلى استانبول ، إيطاليا البرتغال ، إسبانيا[7].

---

[1]– القدس في العهد العثماني ، أحمد حسين عبد الجبوري ،ص 158 .

[2]–نصارى القدس (دراسة في ضوء الوثائق العثمانية) ، حامد إبراهيم القضاة ، ص 305 .

[3]–القدس في العهد العثماني ، أحمد حسين عبد الجبوري ، ص 160 .

[4]– المرجع نفسه ، ص 197 .

[5]– القدس في العصر البيزنطي و الإسلامي (364 هـ / 1917 م) ، إبراهيم الفني ، ص 242 .

[6]– تراوح وزن بالة القطن بين (50 و 70) رطلا .

[7]– القدس في العهد العثماني ، أحمد حسين عبد الجبوري ، ص 198 .

و استوردت بعض الأمور من بينها الأرز الغزل من مصر ، و الملابس و القهوة من دمشق و الأصباغ من استانبول و الصين[1] .

و من طرابلس و الشام السكر ، الأرز ، البن ، الحرير ، البنادق ، المواشي من دمشق و حلب و بغداد ، و غير دلك من الأمور التي يحتاجها أهل بيت المقدس[2] .

و كان المحتسب يشرف على جميع العلاقات التجارية و منها الصادرات و الواردات في القدس ، و قد كان سكان القدس و الخليل و القرى المجاورة معفون من الضرائب التي كانت تجبى من أهل الذمة (الجزية) و في مواد التموين و الصحة (كفارة) سمة الدخول إلى الأماكن المقدسة ، و هي رسوم يدفعها الحجاج عند دخولهم إلى ميناء يافا ، و قد وجدت إحدى الإحصائيات تذكر أن الأموال التي جبيت في القدس من الحجاج الدين يزورون الأماكن المقدسة بلغت 40.000 أكسترو و في عام (1525 م) بلغت الجباية حوالي 120.000 أما ضريبة أهل الذمة فقد كانت دينارا ذهبيا عن كل بيت مع احترام مشاعرهم الدينية و حريتهم في العبادة و حماية ممتلكاتهم[3] .

و من بين الحوادث التي لابد من ذكرها هي : العهد العثماني الحوادث التي جرت سنة (1853 م) ، و هي هطول ثلج كثيف و اشتداد البرد ، و قلة الوقود في القدس الأمر الذي خلف ضررا بليغا على سكانها ، و أدى إلى ارتفاع أسعار الطعام و جميع أنواع الغداء ، فبيع رغيف الخبز في السوق بسعر لا يتحمله الفقير ، هدا بالإضافة إلى أنه كان مصنوعا من القمح الرديء ، و انتشار الجدري الذي أودى بحياة الكثيرين ، فمات كثير من البرد و الجوع و المرض[4] .

---

[1]–القدس في العصر البيزنطي و الإسلامي (364 هـ / 1917 م) ، إبراهيم الفني ، ص 242 .
[2]–القدس في العهد العثماني ، أحمد حسين عبد الجبوري ، ص 198 .
[3]– القدس في العصر البيزنطي و الإسلامي ، إبراهيم الفني ، ص 242 .
[4]–المفصل في تاريخ القدس ، عارف العارف ، ص 452 .

حوادث سنة (1854 م) مر بالقدس شتاء قارص و موجة برد قارص ، إضافة إلى أمطار غزيرة متبوعة بزوابع و رياح ، و مما زاد الأمر سوءا مصادرة الحكومة التركية للحبوب في مدينة القدس باسم الحرب و إطعام الجيش ، فظهرت بها مجاعة لا بسبب قلة الأمطار و إنما بسبب طمع الاستغلاليين من التجار ، و اضطر الفلاحون للاستدانة بالربا الفاحش ، و قيل أنه مات في تلك السنة بسبب المجاعة و سوء التغذية من (800) طفل مسلم خلال ثلاثة أسابيع[1] .

و في سنة (1855 م) كان المطر قليلا ، فأجدب الزرع ، و ارتفعت أسعار الحبوب و ارتفعت أسعار القمح و الأرز إلى ضعفي ما كانت عليه ، و تأخر هطول الأمطار جعل الفلاحين يتأخرون في زراعة أراضيهم و أدى أيضا إلى قلة المياه في القدس مما جعلت سكان القدس يصومون ، و بحاكم القدس إلى بيع القمح المخزون بأسعار معتدلة .

أما في مطلع سنة (1856 م) فقد هطلت أمطار غزيرة ، فسالت الوديان ، و ظهر الماء بكثرة في عين أيوب فانتعش الفلاحون و امتلأت الآبار و ترعرعت الزروع ، و أعقب دلك هبوط في الأسعار ، و تحسنت حالة القدس الاقتصادية و ازدهرت[2] .

يبدوا أن حالة القدس الاقتصادية في العهد العثماني عرفت تدبدبا كبيرا.

---

[1]– المفصل في تاريخ القدس ، عارف العارف ، ص 453 .

[2] المرجع نفسه ،ص 453 .

المبحث الثالث

البعد الاجتماعي لبيت المقدس

البعد الاجتماعي للقدس:

1 -السكان : شهدت مدينة القدس منذ بداية العصور التاريخية هجرات متتالية من الجزيرة العربية ، و كانت أولى هده الهجرات : هجرة الكنعانيين و منهم اليبوسيين ، الدين قاموا بتأسيس مدينة القدس [1] . و اليبوسيون هم بطن من بطون العرب الأوائل ، نشئوا في قلب الجزيرة العربية ، ثم نزحوا منها مع من نزح من القبائل الكنعانية ، ليكونا أول من استوطن هده الديار ، و أول من وضع لبنة في بناء القدس ، و كان دلك حوالي سنة 3000 ق.م [2] .

و من السكان الأصليين ، و العريقين في القدس الدين استوطنوا بلاد فلسطين البربر، وقد ساهموا إلى جانب إخوانهم اليبوسيين الكنعانيين في تشييد مدينة القدس [3] .

و لما انتهوا من تشييدها أطلقوا عليها اسم " أورو سالم " أي مدينة الإله سالم ، و هو إله الكنعانيين العرب ، و بهدا غدت المدينة الكنعانية مدينة روحية و مقدسة لدى الكنعانيين اليبوسيين الدين كانوا يؤمنون بتوحيد الرب سالم ، و ظلوا يعتزون بحضارتهم و فكرهم الديني الذي ارتكز على الإيمان بتوحيد الرب ، و هو أمر مخالف للمألوف و السائد لدى الجماعات البشرية الأخرى التي عبدت الأوثان [4] .

ظلت القدس في يد اليبوسيين إلى السنة الثامنة من حكم داود الذي كان سنة (1057 ق.م) [5] . و قد اتفقت كتب التاريخ و الوثائق و الآثار على أنه ما بين 3000 و 1000 ق.م سيطر اليبوسيون العرب الساميون ، و هم الكنعانيون أساسا ، على أرض فلسطين لمدة ألفي سنة قبل الميلاد ، [6]

---

[1]- تاريخ القدس و حاضرها ، عزت جرادات ، ص 97 .

[2] المفصل في تاريخ القدس ، عارف العارف ، ص 37 .

[3]- إسحاق رباح ، تاريخ القدس عبر العصور ، ص 44 .

[4]- المرجع نفسه ، ص 45 .

[5]- اتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى ، شمس الدين السيوطي ، ج 2 ، ص 191 .

[6] المصدر نفسه ، ص 192 .

حتى جاء الفلسطينيون إلى هده الأرض و استقروا فيها ، على عهد اليبوسيين . و يتضح من خلال هدا أن حكم القدس قد تداولته قوى عديدة ، إلا أن النسيج البشري فيها كان واحد و شجرة ذات فروع تتقارب و تتشابه في خصائصها النفسية و الجسمانية ، و في لغاتها و لهجاتها و سائر مكوناتها و حضارتها[1] .

بقيت القدس في يد اليبوسيين إلى أن دخلها النبي داود و اتخذها عاصمة له ، و كانت أكثرية سكانها في دلك العهد من اليبوسيين و الكنعانيين و العموريين و الفلسطينيين [2] . أما اليبوسيين فقد بقيت منهم قلة أيام الحكم الفارسي و أيام المسيح عليه السلام ، و لم يسمع عنهم بعد دلك[3] .

أما الفلسطينيون فقد خضعوا لسليمان عليه السلام طوال فترة حكمه للقدس ، و لم يعد لهم في القرن (4 ق.م) أية قوة تذكر . و انتهت سيرتهم بالاندماج التام و الانصهار مع الساميين [4] .

[1] – القدس و المسجد الأقصى المبارك حق عربي إسلامي عصي على التزوير ، حسن موسى ، ص 15 .

[2] – الموسوعة التاريخية الجغرافية (معالم ، وثائق ، موضوعات ، زعماء) ، مسعود الخوند ، ص 167 .

[3] – القدس في الصراع العربي الإسرائيلي ، محمد عوض الهزايمة ، ص 23 .

[4] – فلسطين (القضية ، الشعب ، الحضارة) ، بيان نويهض الحوت ، دار الإستقلال للدراسات و النشر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1991 ، ص 95 .

التواجد اليهودي في القدس :

تعرضت القدس إلى غزوة من اليهود في القرن (12 ق.م) ، حاولوا فيها إبادة الشعوب الأصلية بقسوة و وحشية لكنهم فشلوا ، لأنهم تلقوا مقاومة من سكانها ، إلى أن تمكن داود عليه السلام من الدخول إليها سنة (1000 ق.م)[1] .

و قد أحصى داود عليه السلام سكان أورشليم و سكان البلاد التي أخذها ، فكانت النتيجة أنه كان مع بني إسرائيل يومئذ 800.000 رجل و عند بني يهودا 500.000 رجل ، و من أجل هدا ثار عليه قومه و نقموا عليه . و صادف في تلك الأثناء أن حل ببني إسرائيل وباء عظيم فتك بهم فتكا دريعا[2] .

و استمرت سيطرة اليهود على القدس من عهد داود عليه السلام إلى أن دخلها 'بنوخدنصر' سنة (586 ق.م) ، دمرها و سبى سكانها ، و كانت نتيجة هدا السبي حصول فراغ سكاني في القدس ، ملأته القبائل الكنعانية و الآرامية و الآدومية و العربية[3] .

و حسب المصادر فإن المسبيين من السكان كانوا من اليهود ، مما يعني أن القدس أنداك خلت من اليهود . و يذكر المسعودي أن عدد المسبيين من بني إسرائيل كان ثمانية عشر ألفا[4] .

و الحدث البارز الذي تميزت به الإمبراطورية الفارسية في الشرق ، هو إصدار الملك قورش (كورش) قرارا بإعادة اليهود من السبي [5] . و عادوا بالفعل بأعداد قليلة بالمقارنة مع الأعداد التي خرجت إلى بابل[6] .

---

[1]- موسوعة المدن العربية ، آمنة أبو حجر ، ص 344 .

[2]- المفصل في تاريخ القدس ، عارف العارف ، ص 53 .

[3]- اتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى ، شمس الدين السيوطي ، ج 2 ، ص 86 .

[4]- مروج الذهب و معادن الجوهر ، المسعودي ، مج 1 ، دار الكتاب اللبناني ، مكتبة المدرسة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 1402 هـ - 1982 م ، ص 52 .

[5]- الحضارات في الذاكرة (العالم العربي تاريخ سياسة و حضارة) ، (فلسطين) ، 2003-2004 ، ص 44 .

[6]- المدخل إلى دراسة المسجد الأقصى المبارك ، عبد الله معروف ، ص 76 .

ليتجمعوا في منطقة أورشليم ، و قد تمتعوا خلال حكم الفرس بامتيازات كثيرة : منها حرية ممارسة شعائرهم الدينية ، و قد ذكر المؤرخ اليهودي "يوسيفوس" أن العائدين من اليهود كان عددهم (42 ألفا)[1] .

و لم ينقض على وجودهم أكثر من مئة سنة حتى جاء اليونان سنة (332 ق.م) ، و قضوا على الحكم الفارسي ، و صارت عصابات لإثارة القلاقل و الفتن و السطو[2] .

و نقلا عن الراهب "أندريوفنسستراتيوس " أنه عندما دخل "الإسكندر" القدس ، كان عدد سكانها يومئذ مئة و عشرون ألفا[3] . كما يذكر ابن العبري أن عامل "أنطيوخوس "في القدس حرم على اليهود القيام بشعائرهم الدينية ، و أحرق كتبهم ، و حظر عليهم الختان ، و أرغمهم على انتهاك حرمة السبت ، و أكل الخنزير ، و أهلك منهم خلقا كثيرا ، و سبي النساء و الأطفال ، و من نجا من الموت هرب من المدينة[4] .

و ذكر أنه في العهد السلوقي عاد مئة و عشرون ألفا من اليهود الدين كانوا يقيمون في مصر إلى أورشليم[5] .

---

[1]– سفر التاريخ اليهودي (اليهود ... تاريخهم ، عقائدهم ، فرقهم ، نشاطاتهم ، سلوكياتهم ، الحركة الصهيونية و القضية الفلسطينية ، رجا عبد الحميد عرابي ، الأوائل للنشر و التوزيع ، سوريا ، دمشق ، الطبعة 2 ، 2006 ، ص 189 .

[2]– موسوعة بيت المقدس و المسجد الأقصى ، محمد محمد حسن شراب ، ج 2 ، ص 1102 .

[3]– المفصل في تاريخ القدس ، عارف العارف ، ص 85 .

[4]– المرجع نفسه ، ص 88 .

[5]– تاريخ القدس عبر العصور ، إسحاق رباح ، ص 99 .

أمَّا سنة (63 ق.م) فقد وصلت نسبة اليهود إلى ثلث سكان القدس ، و الباقي كان من أنباط بلاد آدوم و المصريين و العرب و الفينيقيين ، و قد عزى "هيرودس" أسباب زيادة اليهود في القدس إلى إرغام الشعوب المغلوبة على قبول الشريعة اليهودية [1] . و بلغ عدد سكان القدس على عهد "بيلاطس "خمسون ألفا من السكان[2] .

و في عهد النبي عيسى عليه السلام ازداد عدد سكانها على ما كانت عليه زمن سليمان [3] . و قد قاومه اليهود مقاومة عنيفة ، أما الكنعانيون و غيرهم من الشعوب العربية بالقدس ، منهم من آمن بالمسيح و نصره و أيَّده و منهم من أعرض عنه . و أما سنة (70 ق.م) فقد قام القائد الروماني (تيتوس) بقتل معظم سكان القدس من اليهود و استباح أموالهم [4] . ويضيف المؤرخ " يوسيفوس" أنه عندما حاصر(تيتوس) القدس ، حدثت مجاعة حصدت أكثر من 600 ألف ميت[5] .

.

هُجرت القدس هَجرا طويلا بعد احتلالها من لدن "تيتوس "، فلم يبقى فيها سوى الحامية الرومانية بجنودها و ضباطها ، و هم أفراد الفرقة العاشرة ، إلى أن عاد إليها المسيحيون الدين كانوا يعيشون فيها من قبل ، أما اليهود فقد حُظر عليهم الرجوع إليها ، دلك لأن الرومان أيقنوا أن اليهود هم مصدر القلاقل و الفتن التي تحدث في القدس ، و رغم هدا عاد عدد كبير منهم بسبب ضعف الحامية فيما بعد[6] .

لم يكُف من بقى من اليهود في القدس من التآمر ضد الرومان ، مما جعل الإمبراطور "هدريان" يأمر بمحاصرة المدينة و هدم كل شيء فيها و منع اليهود من دخول القدس ، و سمح للمسيحيين أن [7]

[1]– تاريخ القدس عبر العصور، إسحاق رباح ، ص 117 .

[2]– المفصل في تاريخ القدس ، عارف العارف ، ص 99 .

[3]– المرجع نفسه ، ص 103 .

[4]– اتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى ، شمس الدين السيوطي ، ص 193 .

[5]– المفصل في تاريخ القدس ، عارف العارف ، ص 128 .

[6]– المرجع نفسه ، ص 131 .

[7] إتحاف الخصا بفضائل المسجد الأقصى ، شمس الدين السيوطي ، ص 193 .

يقيموا بها على أن لا يكونوا من أصل يهودي . حتى أنه جعل عقوبة الإعدام لمن يُقدم منهم على الدخول إلى القدس [1] . و قد وصف ابن البطريق حال المدينة بعد خرابها في دلك الحين بقوله :إن الملك أمر أن لا يسكن المدينة يهودي[2] .

و قد أصدرت روما مرسوما بشأن طرد اليهود ، صيغ بالشكل التالي : " يحظر على جميع الأشخاص المختونين أن يدخلوا إلى منطقة "إلياكابتولينا "أو يقيموا فيها ،و كل من يخالف هدا الحَظر يعاقب بالموت [3] . أما حاكم "يوليانوس " فقد منح لليهود حق العيش في القدس ، و لما مات و خلفه إمبراطور متعصب للمسيحية الأرثوذكسية قلل من الوجود اليهودي في القدس من الثلث إلى الخمس[4] .

و الأمر الأكيد الذي تذكره المصادر هو أنه بعد عام 135 م لم يسكنها و لمدة ألف سنة يهودي واحد ، كما لم يكن فيها في القرون الخمسة التي تلت المدة المذكورة أكثر من خمسين يهوديا[5] .

و في سنة (614 م) قام ملوك الفرس بالاستيلاء على القدس بمساعدة اليهود حيث ارتكبوا فيها مذبحة كبيرة ذكرتها العديد من الكتب و الآثار و منها المؤرخ المقدسي النصراني (ستراتيحوس) الذي شهد يوم الاحتلال[6] الفرس للقدس و ذكر مشاهداته في مخطوطة ، و من بين ما ذكره أن أكثر من 70 ألفا من أهل المدينة قتلوا على يد الفرس[7] .

---

[1]- إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى ، شمس الدين السيوطي ، ص 193 .

[2]- تاريخ بلاد الشام في العصور الإسلامية في إشكالية الموقع و الدور ، إبراهيم بيوض ، ص 247 .

[3]- تاريخ القدس عبر العصور ، إسحاق رباح ، ص 128 .

[4]- المرجع نفسه ، ص 139 .

[5]- موسوعة بيت المقدس و المسجد الأقصى ، محمد محمد حسن شراب ، ص 493 .

[6]- المدخل إلى دراسة المسجد الأقصى المبارك ، عبد الله معروف عمر ، ص 82 .

[7]- المرجع نفسه ، ص 83 .

و قد أجمع المؤرخون أن الفرس قاموا بهده الأعمال بتحريض من اليهود و أن اليهود قتلوا من المسيحيين أكثر مما قتل الفرس ، و أنهم اشتركوا جميعا (الفرس و اليهود) في قتل جميع المسيحيين في القدس [1] . حتى أن اليهود استغلوا الفرصة و قاموا بشراء عدد كبير من الأسرى المسيحيين و ذبحوهم انتقاما من النصارى و تشفيا[2] .

و لما استرجع الرومان البيزنطيون القدس عام (627 م) طردوا منها اليهود نهائيا، و حرم هرقل على اليهود السكن في المدينة أو حتى دخولها أو الوجود قريبا منها[3] .

أما عن اليهود في القدس في العصر الإسلامي، فقد ذكرت المصادر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما فتح القدس وقع على وثيقة (العهدة العمرية)، كان أهم شرط فيها ،أن لا يسكن مع أهل القدس أحد من اليهود[4] .

و لم يجرؤ أحد منهم السكن بالقدس في فترة الخلفاء الراشدين و أوائل الدولة الأموية ، حتى سمح لهم الخليفة عبد الملك بن مروان في عهدته بأعمال الكنس و النظافة نظير إعفائهم من الجزية ، و لما تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة سنة (99 ه / 717 م) أمر بفصل اليهود من هده الأعمال[5] .

أما عندما تولى الحاكم بأمر الله الحكم ، حرم على اليهود و النصارى ركوب الخيل[6] .

---

[1]- إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى ، شمس الدين السيوطي ، ص 193 .

[2]- عروبة فلسطين و القدس أصيلة مند عشرات الآلاف من السنين و الهيكل لم يكن مقدسا لدى سليمان و اليهود ، أحمد عبد العزيز عطار ، ص 74 .

[3]- المدخل إلى دراسة المسجد الأقصى المبارك ، عبد الله معروف عمر ، ص 83 .

[4]- المفصل في تاريخ القدس ، عارف العارف ، ص 165 .

[5]- إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى ، شمس الدين السيوطي ، ص 195 .

[6]- المفصل في تاريخ القدس ، عارف العارف ، ص 224 .

و يذكر المقدسي لما زار القدس سنة (985 م) أي قبل الهجمات الصليبية ،أنه حيثما دهب وجد اليهود و النصارى و أنهم كانوا أصحاب الكلمة العليا [1] . و هدا الكلام يدل على وجود اليهود في القدس في تلك الفترات من الزمن ،و تمكنهم من وظائف عليا فيها .

و يذكر ابن القلنسي أنه عندما احتل الصليبيون القدس قتلوا خلقا كثيرا ،و جمعوا اليهود في كنيس و أحرقوه عليهم[2] .

و لما زار الرحالة اليهودي بنيامين التطيلي القدس سنة (1163 م/ 1170 م) اهتم اهتماما خاصا بالعناصر اليهودية الموجودة في مدن بلاد الشام ، و قد ذكر وجود مائتي عائلة يهودية في القدس أنداك[3] .

أما معاصره الرحالة اليهودي الألماني بتاحيا الراتسبوني الذي زار القدس سنة (1170م/1171 م) فيخالفه الرأي ، حيث يذكر أنه لم يجد بالقدس أنداك إلا يهودي واحد فقط ه الحاخام إبراهيم الصباغ و أنه سمي كذلك لأنه كان يعمل في هده الصناعة[4] .

و قد كان يدفع مالا وفيرا للملك الصليبي من أجل أن يستبقيه بالقدس و يبدو أن بتاحيا متأكد من وجود هدا اليهودي الوحيد لأنه تقابل معه و طاف معه أنحاء المدينة[5] .

و الجدير بالذكر هنا أن بعض المصادر الإفرنجية ذكرت ، أن الصليبيين قتلوا اليهود الدين كانوا يسكنون في القدس أنداك ، مع أن الثابت تاريخيا أنه لم يكن في القدس يهود بل مسلمون و مسيحيون فقط ، و لكن إقحام اليهود في المجزرة كان اختلاقا ، وتزويرا فقط لاستجداء عطف العالم [6].

---

[1]– أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، المقدسي ، ص 165 .

[2]– تاريخ بيت المقدس في العصر المملوكي ، محمد حافظ النقر ، ص 24 .

[3]– رحلة بنيامين التطيلي 561هـ/569هـ/1165م/1173م ،ترجمة عزرا حداد ،بنيامين بن يونةالتطيلياالنباري الأندلسي ،كتابخانة مركز تحقيقات كاستورس علوم إسلامي ، أبوظبي ،الطبعة الأولى ، 2002م ،ص 48.

[4]– موسوعة بيت المقدس و المسجد الأقصى ، محمد محمد حسن شراب ، ص 493 .

[5]– الرحالة الأوربيون في مملكة بيت المقدس الصليبية ، محمد مؤنس أحمد عوض ، ص 204 .

[6] موسوعة بيت المقدس و المسجد الأقصى ، محمد محمد حسن شراب ، ص 1103 .

. و قد بدأ تسرب اليهود إلى القدس عن طريق العمل و المهن و ليس للسكن فاليهودي الدي وجده الرحالة "بتاحيا الراتسبوني "كان صباغا ، فردا بدون أهل ، و الضرورة سمحت له بدخول القدس ، و لدلك كتب "موسى بن نحمان جيروندي "سنة (1267 م) أن في القدس عائلتين يهوديتين تعملان في الصباغة ، و هدا التاريخ يوافق أواخر عهد السلطان الظاهر بيبرس[1] .

و يبدوا أن العائلتين اللتين كانتا تعملان في الصباغة قد امتدت إقامتهما ، و زاد عدد العائلتين و بنو لهم كنيسا لأداء شعائرهم الدينية على غفلة من السلطان و المسلمين ، و لكن هدا الكنيس لم يدل على كثرة عدد اليهود في القدس في تلك الفترة فلربما كان عددهم عشرة أو عشرين أو ثلاثين[2] .

و بعد استرداد صلاح الدين الأيوبي لبيت المقدس ، سمح لليهود بالسكن في المدينة ، و بدؤوا بالتدفق إليها ، سواء من المدن الشامية أو من بلدان أوربا ، و في الحقيقة لا نجد ذكرا لعدد كبير من اليهود في بيت المقدس إلا في أواخر القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي[3] .

فالرحالة (فيليكس فابري) ذكر أن عدد اليهود ببيت المقدس كان أكثر من خمسمائة ، كما ذكر الرحالة اليهودي" عويديا "، الذي زار المدينة سنة (894هـ / 1488 م) ، أنه كان يسكن القدس أنداك زهاء مائة عائلة يهودية تمارس شعائرها الدينية في كنيس ملاصق لمسجد المسلمين . و يرجح السبب وراء قلة اليهود في بيت المقدس في عصر دولة سلاطين المماليك الثانية (البحرية) إلى كثرة الأوبئة و خاصة الطواعين[4] .

---

[1]– موسوعة بيت المقدس و المسجد الأقصى ، محمد محمد حسن شراب ، ص 1103 .

[2]– المصدر نفسه ، ص 1104 .

[3]– تاريخ بيت المقدس في العصر المملوكي ، محمد حافظ النقر ، ص 104 .

[4]– المرجع نفسه ، ص 105 .

و يذكر" مجير الدين الحنبلي" خبر طاعون انتشر في القدس سنة (882 هـ / 1477 م) و أشار إلى أنه أفنى خلقا كثير من الشباب و النساء و أهل الذمة ، كما أكد الأب "فرانسيسكو سوريان "والدي عاش في بيت المقدس زمنا طويلا ، أن وباء الطاعون كان يتكرر حدوثه في القدس كل عشر سنوات تقريبا ، هدا بالإضافة إلى الأوبئة و الزلازل التي حدثت في بيت المقدس أنداك[1] .

و ظل اليهود يعيشون في بيت المقدس في حي خاص بهم يسمى حي اليهود أو حارة اليهود . و تؤكد المصادر الأجنبية و كتب الرحالة الغربيين أن اليهود ظلوا يعيشون في نهايات القرن 9هـ/15م على الصدقات و التبرعات التي كانت تأتيهم من المجتمعات اليهودية في مختلف بقاع العالم ، كما أشارت إلى وجود مجموعتان كبيرتان من اليهود في القدس ، هما "السفارديم "، و هم من أصل إسباني ممن طردوا أيام الملك فرديناند[2] .

و اليهود الأشكنازيم الدين نزحوا إلى المدينة من شرق أوربا ، هدا إضافة إلى أعداد قليلة من يهود المغرب أو اليهود العرب الدين كانوا قد عاشوا في المدن التي خضعت للحكم الإسلامي ، ثم هاجروا إلى بيت المقدس .كما أشارت المصادر إلى أن معظم يهود بيت المقدس في العصر المملوكي كانوا من أصحاب الحرف ، و كثيرون منهم عملوا في الصناعة ، كالدباغة ، و الخياطة و صنع الأحذية و غير دلك ، و عمل بعضهم في التجارة (سك النقود و الصيرفة) [3] . و أقاموا في أربعة حارات بالقدس و هي الريشة ، و الشرف ، و المسلخ ، و اليهود . و تختلف بعض الدراسات في تقدير عدد السكان اليهود الدين سكنوا القدس في بعض السنوات ، فمثلا أعطى كامل العسلي بعض الإحصاءات مثلَها في الجدول التالي[4] :

السنة	عدد اليهود
1525 م	1000

1- تاريخ بيت المقدس في العصر المملوكي ، محمد حافظ النقر ، ص 93 .

2- المرجع نفسه ، ص 105 .

3- المرجع نفسه ، ص 106 .

4- تاريخ القدس و حاضرها ، عزت جرادات ، ص 98 .

1538 م	1150
1553 م	1634
1563 م	1200
1564 م	100

و يبدوا من خلال هدا الجدول أن عدد اليهود بدأ بالارتفاع ثم بدأ في الانخفاض بصورة كبيرة خاصة في السنتين الأخيرتين .

و ذكر الرحالة" فيلكس فابري" أنه بعد الغارات التي قام بها البدو على القدس قُدر عدد اليهود الموجودين بها ، نحو خمسمائة يهودي ، و يتابع قائلا أنه يحمد الله لأنه مَن عليه بالصحة ، و لم يجعله فريسة الأمراض الكثيرة التي يصاب بها أكثر الأغراب الدين يفدون إلى القدس ، بسبب تغير الطقس المستمر ، إذ أن الرياح كلها على اختلاف أنواعها تهب على هده المدينة[1] .

و الأمر الأكيد الذي أجمعت عليه المصادر و المراجع التاريخية هو النفوذ القوي الذي تمتع به سكان القدس من اليهود في تلك الفترات ، سواء السياسي أو المادي بسبب اشتغالهم بالتجارة و الصناعة ، هدا رغم عددهم القليل .

و في عهد محمد بن قلاوون أصدر مرسوما سنة 700 هـ/ 1300 م ،حدد بموجبه زي اليهود فألزمهم بلبس العمائم الصفراء .[2] .ودلك حتى يميزون عن غيرهم من السكان .

و تحدث عبد الغني النابلسي في كتابه ' الحضرة الأنسية ' سنة (1101 هـ / 1641 م) عن كثرة اليهود في بيت المقدس في تلك الفترة من الزمن[3] .

– [1] المفصل في تاريخ القدس ، عارف العارف ، ص 345

– [2] تاريخ نيابة القدس في العصر المملوكي ، يوسف درويش غوانمة ، ص 125

– [3] موسوعة بيت المقدس و المسجد الأقصى ، محمد محمد حسن شراب ، ج 2 ، ص 315 .

و هذا الجدول يمثل عدد اليهود في القرن الثاني عشر الميلادي حتى القرن السابع عشر [1] :

القرن (السنة)	عدد السكان (عائلة / نسمة)
الثاني عشر الميلادي	يهودي واحد
الثالث عشر الميلادي	عائلتين يهوديتين
1481 م	نحو 500 يهودي
1491 م	نحو 70 عائلة يهودية
1572 م	115 نسمة
1688 م	150 نسمة

و بعد هذا التاريخ بدأ عدد اليهود يزداد في بيت المقدس حيث وصل عددهم ، أيام سيطرة إبراهيم باشا على القدس من (1831 م – 1840 م) إلى حوالي ألفي نسمة . مع العلم أنهم حتى هذا التاريخ ، كان اليهود يعدُون من الغرباء و أن وجودهم غير شرعي ، لا يتعدى وجود استئجار فقط لا امتلاك ، هذا و يؤكده ، ما ورد في المحفوظات الملكية المصرية ، حيث أن اليهود طلبوا أن يسمح لهم بشراء الأملاك و الأراضي الزراعية . و ممارسة الحراثة و الفلاحة و الزراعة ، و تملك الأغنام و الأبقار ، و المصابن و المعاصر في القدس ، وقد عرض الأمر على مجلس الشورى في مدينة القدس فرُفض الطلب نظرا لعدم وجود مسوغ شرعي لهذا العمل ، و من المعروف الثابت أن أول أرض امتلكها اليهود في المدن الفلسطينية عام 1854 م ، في عهد السلطان عبد المجيد العثماني عندما أصدر مرسوما بشراء "مونتيفيوري "قطعة أرض في نواحي بيت المقدس[2] .

---

[1]– قصة مدينة ، يحي الفرحان ، ص 97 .

[2]– موسوعة بيت المقدس و المسجد الأقصى ، محمد محمد حسن شراب ، ج 1 ، ص 493 – 494 .

كان إبراهيم باشا متسامحا مع اليهود ، دون أن يعلم ما يدبرونه له في الخفاء ، فجاء بعض منهم و عاش في القدس ، و قد جاؤوا بمرض الكوليرا معهم ، و بما أن اليهود في كل مجتمع منعزلون تفشى فيهم المرض و لم يتجاوزهم في بداية الأمر ، ثم بدأ ينتشر في سكان القدس المسلمين[1] .

كما قام إبراهيم باشا بإعفاء النصارى و اليهود من عادة النزول عن الدابة إدا ما صادفوا مسلما في طريقهم . تلك العادة التي كانت متبعة من قبل . كما أتاح لهم لبس الحداء الأحمر ، وكانوا قبلا يُكرهون على ارتداء الملابس السوداء و الزرقاء[2] .

و على عهده انتشرت كوليرا في القدس انتشارا فظيعا سنة (1838 م) بين اليهود ، ثم سرت منهم إلى المسلمين و دامت شهرا ، حيث مات من جرائها خلق كثير ، كما مات منها عدد كبير من جنود إبراهيم باشا[3] .

يبدو أن عدد اليهود بدأ في الارتفاع عن طريق الهجرة ، مع بداية العصر العثماني ، لأنهم لم يكن لهم مقبرة لدفن جيفهم ، و بعد حوالي خمسين سنة من الوجود العثماني (969 هـ/ 1561 م) استأجر اليهود من الأوقاف الإسلامية في القدس أرضا لدفن موتاهم ، و هي نفسها المقبرة الموجودة 1947 م[4] .

و قد ازدادت أعداد اليهود في مدينة القدس في القرن الثامن عشر ميلادي ، و تعود هده الزيادة إلى ازدياد الهجرة اليهودية ، و لاسيما من دول أوربا الشرقية مع ازدياد عمليات الاضطهاد التي تعرض لها اليهود في هده الدول . و التي تزامنت مع ازدياد نفوذ الدول الأوربية في الدولة العثمانية . فتسابقت على توفير الحماية لليهود ، إذ بلغ عدد اليهود سنة (1143 هـ / 1730 م) في القدس 1000 يهودي[5] .

1- تاريخ مدينة القدس ، معين أحمد محمود ، ص 85 .

2- المفصل في تاريخ القدس ، عارف العارف ، ص 443 .

3- المرجع نفسه ، ص 440 .

4- موسوعة بيت المقدس و المسجد الأقصى ، محمد محمد حسن شراب ، ص 793 .

5- القدس في العهد العثماني (1640 م / 1799 م) ، أحمد حسين عبد الجبوري ، ص 257 .

و قد هاجر بضع مئات من اليهود من بولونيا سنة 1191هـ/1777م مما ساهم في تأسيس طائفة أشكنازية .[1] في القدس إلى جانب الطائفة السفاردية . على أن تزايد عدد اليهود في القدس حتى أواخر القرن الثامن عشر ، لم يكن بشكل منتظم ، و إنما بشكل فردي ، و لم يرتق إلى أكثر من مستوى هجرة أسر إلى القدس . و ازدادت أعداد اليهود لتبلغ 1200 نسمة سنة (1201 هـ / 1786م) ، و في أواخر سنة (1213 هـ / 1798 م) وصلت إلى القدس مجموعة من المهاجرين اليهود المغاربة و الجزائريين و استقروا فيها ، و بلغ عدد اليهود في القدس سنة (1221هـ/1806م) 2000 يهودي[2].

و لقد أشار السياح و الزوار الأجانب الدين زاروا القدس إلى حالة الفقر التي يعيشها اليهود بها ، و أسهبوا في وصف الأحياء اليهودية ، فذكر عالم النبات و الطبيب السويدي "فرديريك هاس لكويست "سببين لتفشي الفقر بين اليهود ، بعد زيارته التي قام بها في منتصف القرن الثامن عشر ، الأول : انعدام حظوظ يهود القدس في العمل بالتجارة ، و الثاني : محدودية مصادر دخلهم التي تقتصر على الصدقات و المساعدات التي يحصلون عليها من الزوار ، و الدعم المادي الذي يتلقونه من اليهود في جميع أنحاء العالم . و الذي يستولي على جزء كبير منه موظفي السلطات العثمانية ، على شكل رسوم و ضرائب[3] .

و عن أعداد اليهود في القدس يشير الرحالة البريطاني ج.س.بكنجهام الذي قام برحلته سنة إلى فلسطين سنة 1816 م فيقول أنه زار الحي اليهودي ، و قد علم أنه كانت هناك تعليمات بأن لا يزيد عدد اليهود في القدس على ألفي نسمة ، و كان دلك قبل غزو نابليون لسوريا[4] .

---

[1]– الأشكناز : قدم هؤلاء إلى القدس من شرقي أوربا و وسطها ، أي من ألمانيا و روسيا و رومانيا سنة (1112 هـ / 1700 م) لدوافع دينية و عرفوا باسم السكناج ، و لم يكن هؤلاء مرغوبين من أبناء جلدتهم السفرديم ، فلم يسمحوالهم بأداء الصلاة في كنيسهم أو دفن موتاهم في مقبرتهم ، مما دفع ببعضهم للهجرة إلى صرفد و الخليل . (القدس في العهد العثماني ، أحمد حسين عبد الجبوري ، ص 256) .

[2]– القدس في العهد العثماني (1640 م – 1799 م) ، أحمد حسين عبد الجبوري ، ص 257 .

[3]– المرجع نفسه ، ص 259 .

[4]– أسفار في فلسطين ، ج.س.بكنجهام ، ترجمة سليمان موسى ، ص 23 .

أما الرحالة "و.م تومسون "الذي زار القدس سنة 1857 م فقد قدر يهود القدس بـ 7000 يهودي[1] . كما أشار الرحالة "وليم هـ . دكسون" إلى وجود اليهود في القدس فذكر أنه التقى بعدد من اليهود عند باب الخليل في بيت المقدس[2] . و يربط الأمير ردولف الغش باليهود دائما ، فهو يشير إلى أنه عندما دخل الحي اليهودي بالقدس ، وجد الحواري قدرة غاصة بالحوانيت ، و وجد الرجال اليهود يبيعون و يشترون و يساومون و يغشون[3] .

كما وصف حارات اليهود فذكر أنها كانت قدرة مليئة بالأوساخ و الروائح النتنة و الضوضاء ، كما رأى أطفال نصف عراة يتعثرون على أحجار الشوارع . و تحدث عن لباس اليهوديات فقال أن الواحدة منهن كانت ترتدي وشاحا (غطاء رأس) غير مهندم ، و تلفه حول رأسها المجزوز ، أما الرجال منهم و خاصة اليهود البولنديين فكانوا يلبسون التالار ، و أحدية برقبة ، و طواقي من فرو . و يضيف قائلا :إنه ثمة بالقدس يهود من كل أصقاع العالم لكن قليلين منهم يلبسون الملابس المعتادة[4] .

و حسب المصادر التاريخية وصل عدد السكان اليهود في القدس سنة 1831 م إلى 3000 نسمة بسبب الهجرة غير الشرعية ، و شكلوا 27 % من سكان المدينة ، و عندما سمح لليهود شراء الأراضي بفرمان من السلطان العثماني عام 1855 م و على يد "مونتيفيوري" تزايد عدد السكان اليهود ليرتفع في نهاية القرن التاسع عشر (1890 م) إلى (30300 نسمة)[5] .

و هي الفترة التي تبلور فيها "الجيتو" اليهودي (الحي اليهودي) في القدس خارج سور البلدة القديمة ، ليكون نقطة الارتكاز الأساسية للانقضاض منها على المدينة لاحقا لتهويدها[6] .

1– أسفار في فلسطين ، ج س بكنجهام ، ترجمة سليمان موسى ، ص 125 .

2– المرجع نفسه ، ص 193 .

3– رحلة الأمير ردولف إلى الشرق مصر و القدس ، الأمير ردولف ، ترجمة و دراسة عبد الرحمن عبد الله الشيخ ، ج 3 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1996 ، ص 11 .

4– المرجع نفسه ، ص 48 .

5– قصة مدينة ، يحي فرحان ، ص 98 .

6– المرجع نفسه ، ص 98 .

و بدأ التغلغل الاستعماري في القدس ،و جر معه ازدياد الهجرة اليهودية ،و تفاقم عدد اليهود في القدس تدريجيا ، و في سنة 1856 م بدأت تنشأ أحياء سكنية خارج أسوار المدينة ، و بدأت طلائع البعثات الأثرية الأجنبية التي كان اليهود متغلغلين فيها تفد إلى البلاد تحت ستار التنقيبات [1] .

[1]– الموسوعة التاريخية الجغرافية ، مسعود الخوند ، ج 14 ، ص 169 .

. المسيحيون في بيت المقدس :

بعث النبي عيسى عليه السلام في فلسطين و كان يغلب على سكان القدس العرب . و أول من آمن بدعوة المسيح هم العرب ، ثم صارت المسيحية دين الدولة الرومية في القرن الرابع . و بعد مجيء "هيلانة" إلى القدس للحج ، و عثورها على أدوات صلب المسيح ، توافد المسيحيون من عرب فلسطين إلى القدس للتبرك بآثار المسيح و سكنوها و صاروا الطبقة الغالبة على سكانها[1] .

و بدأت زيارات المسيحيين الأجانب إلى القدس ، مند القديم ، و من بين هده الرحلات التي تمت خلال القرون الأولى للميلاد سنة 31 م ، رحلة أحد رجال الدين الفرنسيين إلى بيت المقدس ، و تحدث عن دم النبي يحي عليه السلام و لكنه لم يترك أي أثر مكتوب . و مع بداية القرن الثالث للميلاد نسمع عن "فيرميليان "رجل الدين من قيسارية آسيا الصغرى الذي زار بيت المقدس بدوره .

و أيا كان الأمر فما تزال رحلات القرنين الأولين للميلاد محاطة بالغموض ، و لم يتحصل الباحثون على رحلة كاملة إلا في القرن الثالث للميلاد . تلك كانت رحلة "ألكسندر " الذي جاء من كبادوكيا إلى بيت المقدس سنة 212 م . حيث وجد أسقفها المسمى (نارسيس) مسنا و مريضا ، فنزل على طلبه بأن يخلفه ، و هو ما تم في نفس العام [2] .و عند فتح العرب المسلمين لبيت المقدس ، وجدوا في القدس قوما من النصارى : منهم من كان من بلاد الروم و هم الأقل [3] . حيث قدرهم ابن المرجي المقدسي عشية الفتح الأول للقدس (أي الفتح العمري) باثني عشر ألفا [4] . و منهم من كان من أهل البلاد و هم الأكثرية[5] .

---

[1]– موسوعة بيت المقدس و المسجد الأقصى ، محمد محمد حسن شراب ، ص 971 .

[2]– حركة الحج الأوربي إلى الأماكن المقدسة في الشرق الأدنى الإسلامي (1291م/1517م – 690هـ/923هـ) ، إبراهيم سعيد فهيم محمود ، دار المعرفة الجامعية ، ج 1 ، الإسكندرية ، الطبعة الأولى ، 2007 م / 1428 هـ ، ص68 .

[3]– موسوعة بيت المقدس و المسجد الأقصى ، محمد محمد حسن شراب ، ص 801 .

[4]– صناعة التاريخ المستقبلي (نماذج بيت المقدس لتفسير الأحداث المعاصرة و توجيهها) ، عبد الفتاح محمد العويسي المقدسي ، ص 164 .

[5]– موسوعة بيت المقدس و المسجد الأقصى ، محمد محمد حسن شراب ، ص 801 .

و قدرهم ابن المرجي المقدسي أيضا بخمسين ألفا[1] .

أما الروم و أتباعهم فقد رحلوا، و قد كتب عمر بن الخطاب (ض) وثيقة العهد لأهل البلاد الأصليين ، بوصفهم أهل ملة واحدة و هي المسيحية (أو النصرانية) ، و لم تذكر المصادر شيعا و أحزابا و طوائف نصرانية ، و إنما ذكرت النصارى فقط يجتمعون على ملة واحدة ، و رئيس واحد اسمه (صفرونيوس) ، و يغلب على الظن أنه عربي ، لأن اسمه عربي ، و لفظه (سفريونس) أي : كتاب يونس . و لم يقتل مسيحي واحد يوم الفتح[2] .

و تجمع المصادر أن نصارى القدس استقبلوا الفتح الإسلامي الأول بترحاب كبير ، و يستشهد رانسيمان بطريرك أنطاكية اليعقوبي (ميخائيل السوري) الذي قال : أتى الله بأنبياء إسماعيل من الجنوب ليخلصونا من أيدي الرومانيين . كما استشهد "بتلر "بابن العبري الذي قال : إن المسيحيين كانوا متفائلين تجاه المسلمين[3] .

و تواصلت الرحلات و الزيارات للقدس من قبل الأجانب المسيحيين ،حيث زارها عام (670 م) أسقف فرنسي ، قضى فيها تسعة شهور و من ضمن ما كتبه عنها ، أن الناس اعتادوا القدوم إلى القدس جماعات كبيرة ، في الخامس عشر من أيلول من كل سنة للاحتفال بعيد الصليب و لتبادل السلع و البضائع حتى أنه كان من الصعب السير في طرق المدينة[4] .

---

[1]– صناعة التاريخ المستقبلي (نماذج بيت المقدس لتفسير الأحداث المعاصرة و توجيهها) ، عبد الفتاح محمد العويسي المقدسي ، ص 164 .

[2]– موسوعة بيت المقدس و المسجد الأقصى ، محمد محمد حسن شراب ، ص 801 .

[3]– صناعة التاريخ المستقبلي (نماذج بيت المقدس لتفسير الأحداث المعاصرة و توجيهها) ، عبد الفتاح محمد العويسي المقدسي ، ص 207.

[4]– موسوعة بيت المقدس و المسجد الأقصى ، محمد محمد حسن شراب ، ص 759 .

و لا بد لنا من أن نذكر المعاملة الحسنة التي حظي بها النصارى على عهد هارون الرشيد ، الذي تعهد لشارلمان بحماية الحجاج المسيحيين الدين يأتون لزيارة القدس ، كما قام بإرسال مفاتيح كنيسة القيامة و القبر المقدس لشارلمان[1] .

و لما زارها برنارد الحكيم ذكر أن المسيحيين و المسلمين فيها على تفاهم تام . و في هدا القول إشارة إلى العدل الذي تمتع به المسيحيون في ظل الدولة العربية الإسلامية ، و إشارة إلى أن سكان القدس كانوا فقط من المسيحيين و المسلمين فقط ، و بهدا يكون برنارد الحكيم أشار إلى عناصر المجتمع المقدسي فوجدهم عنصرين فقط (المسلمين و المسيحيين)[2] .

و تواصلت وفود الحجاج المسيحيين القادمين من كل بقاع الأرض إلى بيت المقدس للحج ، و كانوا ينالون حق المواطنة لا ينتقصون منها شيء ، و ربما على أكثر مما يناله المسلمون في بعض العصور[3] .

و بالمقابل تناقصت أعداد النصارى القاطنين ببيت المقدس ، بسبب موجات إسلام واسعة ، مثل اعتناق كثير من النصارى للإسلام و كان دلك في فترة حكم عمر بن عبد العزيز (99هـ-101هـ/717م-720م) التي كانت تقرأ بها مزاميرهم ، و حسب المصادر النصرانية ، فإن النساك الدين عاشوا في الصوامع على جبل الزيتون (طور زيتا) كان منهم أحدا عشر فردا مهمتهم قراءة المزامير باللغة اليونانية ، و ستة لقراءتها بالسريانية ، و خمسة باللاتينية ، و أربعة بالجرجانية ، و اثنان بالأرمينية و واحد باللغة العربية[4] .

---

[1]- المفصل في تاريخ القدس ، عارف العارف ، ص 207 .

[2]- موسوعة بيت المقدس و المسجد الأقصى ، محمد محمد حسن شراب ، ص 760 .

[3]- المصدر نفسه ، ص 802 .

[4]- فلسطين تحت الحكم العباسي المباشر 132هـ .264هـ/750م .878م ،رسالة ماجستير ، الجامعة الإسلامية ،غزة ، كلية الآداب ،،قسم التاريخ والآثار، ص 113 .

و من خلال هدا يمكن القول أن الحجاج الدين قدموا إلى القدس ، كانوا من مختلف الأجناس و البقاع ، و يتحدث "لامبرت هرسفيلد "عن قافلة الحجاج التي وصلت إلى القدس سنة (458هـ/1056 م) و التي تألفت من اثنا عشر ألف حاج من جنوبي ألمانيا و هولندا ، و هدا دليل ساطع على روح التسامح لدى المسلمين تجاه أهل الكتاب[1] .

و في ظل حكم الفاطميين ، حدثت تغيرات كثيرة في بيت المقدس نتيجة سياسات بعض الخلفاء تجاه النصارى ، كما ازدهرت ظاهرة الحج و الرحلة إلى بيت المقدس ، و تؤكد المصادر العربية من كتب الرحالة و الجغرافيين أن النصارى عاشوا في بيت المقدس في ظل تسامح الكبير ، و أن العلاقات الاجتماعية بين المسلمين و النصارى كانت طيبة[2] .

إذ يذكر المقدسي أن المسلمين كانوا يشاركون النصارى الاحتفال ببعض أعيادهم ، و أضاف قائلا أن القدس غلب عليها النصارى و اليهود [3] . و الأغلب أنه كان يقصد أن النصارى و اليهود غلبوا على الوظائف في دواوين المدينة [4] . و أورد المقدسي أن بيت المقدس كانت لا تخلو كل يوم من غريب ، مما يفسر كثرة الحجاج إليها ليس من المسيحيين فقط ، بل من أقوام أخرى أيضا[5] .

و تتابع الوجود العربي المسيحي في القدس ، يتزايدون و لا ينقصون مع مرور القرون ، و عندما احتل الصليبيون القدس ، سعى ملوكهم فيما بعد على تشجيع النصارى المحليين في الأردن و سورية على القدوم إلى القدس لاستثمار الأراضي الزراعية التي تركها أهلها المسلمون[6] .

---

[1]– موسوعة السياسة ، عبد الوهاب الكيلاني ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ج 4 ، ص 256 .

[2]– تاريخ بيت المقدس في العصر المملوكي ، محمد حافظ النقر ، ص 16 .

[3]– أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، المقدسي ، ص 182 .

[4]– المصدر نفسه ، ص 167 .

[5]– المصدر نفسه ، ص 166 .

[6]– موسوعة بيت المقدس و المسجد الأقصى ، محمد محمد حسن شراب ، ص 971 .

هدا ما أدى إلى زيادة ملحوظة في عدد السكان ،حتى وصل عددهم إلى حوالي عشرة آلاف شخص ، استقروا فيها بشكل دائم ، كما استقر في المدينة عدد كبير من النصارى المحليين الدين أصبح لهم حي خاص بهم يسمى باسمهم (حي النصارى السوريين)[1] .

و لعل من أكبر التغيرات التي حدثت في الحياة العامة في مدينة بيت المقدس ، زمن الاحتلال الإفرنجي كثرة الأعياد و الاحتفالات الدينية و تعددها ، مع ازدهار حركة الحج إلى المدينة المقدسة ازدهارا واضحا[2] .

و من المظاهر الدالة على هدا الازدهار في تلك الفترة ، تأليف مؤلفات مرشدة للحجاج ، و من أمثلتها كتاب مرشد أو دليل لبيت المقدس (les Breviarus of jerusalem) . و يبدوا أنه أُلف من أجل أن يكون دليلا للحج ، خلال القرن السادس الميلادي ، و مثل تلك المؤلفات من المفترض أنها وزعت في الغرب الأوربي ، و كذلك في الأماكن المقدسة ، و قد كتبت على صورة صفحات عريضة ، و قام وكلاء السفن بعرضها على المسافرين من الحجاج ، نظرا لكونهم مقبلين على زيارة أماكن جديدة بالنسبة إليهم[3] . و قد ترك الرحالة المسيحيين مؤلفات كثيرة من هدا النوع[4].

كان أحدها يحمل عنوان ' الدليل إلى فلسطين حوالي سنة 1350 م ' .و جاء معظمه وصفا لمزارات مسيحية[5] . وقد حرص الحجاج على شراء هده الأدلة ، لتميزها بالتفصيلات الدينية المسيحية ،التي لم تكن تتوفر لدى التراجمة، و المرشدين المسلمين الدين كانوا يرافقون الحجاج في كل مكان[6] .

---

[1]– تاريخ بيت المقدس في العصر المملوكي ، محمد حافظ النقر ، ص 26 .

[2]– المرجع نفسه ، ص 29 .

[3]– الرحالة الأوربيون في مملكة بيت المقدس الصليبية (1099م/1187م) ، محمد مؤنس أحمد عوض ، ص 20 .

[4]– المرجع نفسه ، ص 160 .

[5]– حركة الحج الأوربي إلى الأماكن المقدسة في الشرق الأدنى الإسلامي (1291م/1517م – 690هـ/923هـ) ، إبراهيم سعيد فهيم محمود ، دار المعرفة الجامعية ، ج 1 ، الإسكندرية ، الطبعة الأولى ، 2007 م / 1428 هـ ، ص 68 .

[6]– المرجع نفسه ، ص 67 .

و فيما يتعلق بوسائل تنقل الحجاج ، فقد كان المشي الوسيلة الشائعة بين الحجاج البسطاء ، في حين كان البعض منهم ،و خاصة الرهبان يسافرون على ظهور الحمير و البغال . أما الأثرياء فقد ارتحلوا فوق صهوة الخيول ، كما شاع استخدام المحمل لدى المرضى من الحجاج ، و بعض أفراد الطبقة الراقية لاسيما السيدات منهم . و كان هدا المحمل يحمل بواسطة العبيد و الخدم أو الحمير، كما كان بعض الحجاج يركبون مركبات تجرها الخيول[1] .

كانت هده وسائل النقل التي استعملها الحجاج الدين سافروا إلى القدس عبر البر ، أما الحجاج الدين استعملوا البحر للوصول إلى بيت المقدس فقد استعملوا السفن . و كان من النادر أن يسافر أحد الحجاج بمفرده ، فكان حجاج الطبقة الراقية يرتحلون دائما بصحبة حاشيتهم و الأساقفة بصحبة القساوسة ، أما الرهبان و التجار فكانوا ينتقلون دائما في جماعات . بسبب الأخطار كالعواصف البحرية مثلا ، أو الافتقار إلى مياه الشرب[2] .

و بالعودة إلى الأخطار التي كان الحجاج الدين استعملوا الطرق البرية ،نذكر رحلة "سايوليف" الذي كشف لنا عن بعض الأمور التي كانت تحدث في تلك الرحلات ، من بينها حركة الجهاد ضد الصليبيين ، على الطريق التي كان يسلكها الحجاج من الساحل الفلسطيني (يافا) إلى بيت المقدس . فحسب رأيه لم تكن هده المقاومة سوى أعمال قرصنة و سلبا و نهبا فهو يقول أن الخطر في هدا الطريق يحدق ليس فقط بالفقير و الضعيف بل أيضا الثري و القوي ، و أن الكثيرين يقتلون على يد العرب ، هدا من وجهة نظره[3] .

---

[1]– حركة الحج الأوربي إلى الأماكن المقدسة في الشرق الأدنى الإسلامي (1291م/1517م – 690ه/923ه) ، إبراهيم سعيد فهيم محمود ، ص 97 .

[2]– المرجع نفسه ، ص 98 .

[3]– الرحالة الأوربيون في مملكة بيت المقدس الصليبية (1099 م / 1187 م) ، محمد مؤنس أحمد عوض ، ص 45 .

و لكن إدا حللنا هدا القول فيظهر جليا أن هده المقاومة كانت ضد دخيل جاء ليحتل أرضهم ، هدا ما يؤكده قتل المسلمين لغنيّهم و فقيرهم من الحجاج دون أن يسلبوا منهم أموالهم و لا أمتعتهم[1] .

كما ذكر الرحالة الروسي دانيال ، الأخطار التي كان الحجاج يتعرضون لها سواء الطبيعية منها ، أو الهجمات المسلحة من جانب المسلمين . و أوضح في ثنايا رحلته أنه اتخذ مرشدا و دليلا من أجل مساعدته في رحلته إلى البقاع في بيت المقدس. و قد ذكر استحالة زيارة تلك الأماكن و التعرف عليها دون أن يكون برفقة الزائر دليل و ترجمان[2] .

و من الضروري أن نتطرق إلى هيئتين كان لهما وجود فعال في المجتمع المقدسي عامة و المسيحي خاصة ، و هما هيئتي أو فرقتي (الإسبتارية و الداوية) ، وقد كانت لهما مكانة متميزة لأنهما شكلتا مجتمعات صغيرة متكاملة داخل الكيان الصليبي[3] .

و من بين الرحالة الدين أشاروا إلى هيئة الداوية مثلا" فتيلوس "الذي ذكر أن هيئة الداوية اتخذوا معبد سليمان سكنا لهم ، كما تحدث عن الدور الكبير الذي لعبته هده الهيئة في الصراع الصليبي الإسلامي[4] .

كما قدم الرحالة "يوحنا الورزبرجي "معلومات هامة عن الدور العلاجي الذي لعبته هيئة الاسبتارية في بيت المقدس في تلك الفترة (الحروب الصليبية)[5] .

---

[1]- الرحالة الأوربيون في مملكة بيت المقدس الصليبية (1099م / 1187م) ، محمد مؤنس أحمد عوض ، ص 45 .

[2]- المرجع نفسه ، ص 78 .

[3]- عالم الحروب الصليبية بحوث و دراسات ، محمد مؤنس عوض ، عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية ، الهرم ، الطبعة الأولى ، 2005 ، ص 145 .

[4]- الرحالة الأوربيون في مملكة بيت المقدس الصليبية (1099 م / 1187 م) ، أحمد مؤنس عوض ، ص 107 .

[5]- المرجع نفسه ، ص 131 .

و وصف الرحالة "ابن يونة "المارستانات الموجود في بيت المقدس ، إبان العهد الصليبي ، و التي خصصت للفرسان الصليبيين الدين عرفوا بالإسبتارية و ذكر أن في القدس مستشفيان يتسعان لإيواء أربعمائة من فرسان الإسبتارية عدا المرضى الدين يجهزون بكل ما يلزمهم البيمارستان : في الحياة و بعد الموت[1] .

و يمكن القول : إن الصليبيين أحدثوا تغييرات سكانية احتلالية استيطانية كبيرة ، و دلك من خلال إحلال سكان من العنصر الإفرنجي بدل سكانها المسلمين و العرب و أقليا أخرى . فزادوا من عدد الأقليات خاصة من النصارى السوريين و عملوا على زيادة عدد السكان ، من خلال منح استيطانية لعناصر سكانية مختلفة استقرت في القدس[2] .

هدا ما أشار إليه بعض الرحالة من بينهم الرحالة الألماني "يوحنا الورزبرجي" الذيذكر أنه وجد بالقدس أنداك اليونان و البلغار ، و اللاتين و المجريون و الاسكتلنديون و النافاريون و البريطانيون و الفرنج و الكرج و الأرمن و السوريون و الهنود و المصريون و الأقباط و آخرون [3] . كما أصبحت مدينة القدس تعج بالأوربيين المسيحيين ، و لاسيما من الفرنسيين ، إضافة إلى مجموعات من الأسبان و الألمان و الهنغار الدين كانوا يعيشون في أحياء خاصة حول كنائسهم و مؤسساتهم العامة[4] .

كما استحدث الفرنجة احتفالات جديدة في بيت المقدس أهمها : الاحتفال بيوم الخامس عشر من جويلية ، و هو اليوم الذي سقطت فيه المدينة في أيدي الفرنجة[5] .

---

[1]– رحالة الغرب الإسلامي و صورة المشرق العربي من القرن السادس إلى القرن الثامن الهجري ، نواف عبد العزيز الحجمة ، ص 395 .

[2]– تاريخ القدس عبر العصور ، إسحاق رباح ، ص 193 .

[3]– تاريخ بيت المقدس في العصر المملوكي ، محمد حافظ النقر ، ص 29 .

[4]– الموسوعة العربية ،الجمهورية العربية السورية ،رئاسة الجمهورية ،هيئة الموسوعة ، دمشق ،الطبعة الأولى ،ج15 ،2006م ، ص 256 .

[5]– تاريخ بيت المقدس في العصر المملوكي ، محمد حافظ النقر ، ص 29 .

وقد أشار الرحالة "يوحنا الورزبرجي "إلى هدا الاحتفال في رحلته[1] . و من الاحتفالات المستحدثة في القدس أنداك ، الاحتفال بالذكرى السنوية لانتخاب "غودفري "كأول ملك لمملكة بيت المقدس الصليبية ، و يتم الاحتفال في كنيسة القيامة حيث يقوم الملك المحتفى به بتوزيع الصدقات و الهبات على الفقراء[2] .

و يعكس هدين الاحتفالين جانبا هاما من جوانب الحياة العامة في المدينة ، إد حرص الملوك الفرنجة و كبار رجال الدين ،و رجال الدولة مشاركة السكان النصارى بتلك الاحتفالات ، و كانت فترات الاحتفالات عموما فترات انتعاش كبير للتجارة ،نتيجة قدوم أعداد هائلة من الحجاج و الزوار للمدينة[3] .

كما تحدث الرحالة "يوحنا الوزربرجي "عن عيد آخر و هو الاحتفال بتكريس كنيسة الضريح المقدس للخدمة الإلهية و كان دلك في عام 1149 م ، و من بين مراسم الاحتفال التي ذكرها قداس كان يقام في وقت مبكر من دلك اليوم ، يرأسه بطريك بيت المقدس ، و كذلك رجال الإكليروس و كافة سكان المدينة من المسيحيين ، و معهم الحجاج و تقام صلاة للشكر . و يقرر الرحالة أنه في نفس اليوم يتم تكريس المذابح الأربعة في تلك الكنيسة اثنان منها في موضع صلب المسيح و اثنان آخران في الموضع المعاكس من الكنيسة[4] .

و من بين الرحالة الأوربيين الدين تحدثوا عن عيد الفصح و هو أهم الاحتفالات في القدس ، الرحالة" دانيال الروسي "، حيث تعرض إلى طقوس هدا العيد في القدس[5] .

1- الرحالة الأوربيون في مملكة بيت المقدس الصليبية (1099 م / 1187 م) ، أحمد مؤنس عوض ، ص 133 .

2- تاريخ بيت المقدس في العصر المملوكي ، محمد حافظ النقر ، ص 29 .

3- المرجع نفسه ، ص 29 .

4- الرحالة الأوربيون في مملكة بيت المقدس الصليبية (1099 م / 1187 م) ، أحمد مؤنس عوض ، ص 133 .

5- عالم الحروب الصليبية (بحوث و دراسات) ، محمد مؤنس أحمد عوض ، ص 145 .

لما استرد صلاح الدين مدينة القدس من الصليبيين ، طلب منه النصارى المحليين أن يسكنوا المدينة مقابل دفع الجزية فسمح لهم بدلك. و انقسم النصارى إلى طائفتين كبيرتين هما [1] : طائفة الأرثودوكس و معظمهم عرب ، و لاتين ، و أرمن و سريان ، و أقباط و إنجيليين و موارنة . و طائفة الكاثوليك أكثرهم عددا و يليهم اللاتين ، ثم من ذكر بعدهم على الترتيب. و لكل من الطوائف الخمس الأولى كنيسة حول الساحة المحيطة بالقبر المقدس ، و يطلق على مجموعها كنيسة القيامة ، و يتناوب على حراسة القبر المقدس ليل نهار ، رهبان أورثودكس[2] .

و ازداد عدد المسيحيين في بيت المقدس طوال العصر المملوكي الأول نتيجة سياسة التسامح الديني التي نعموا بها من السلاطين . و لا تذكر المصادر العربية نسبة المسيحيين من إجمالي سكان المدينة ، لكن الثابت أن النصارى المحليين كانوا يشكلون أغلبية سكان القرى المحيطة ببيت المقدس ،و التي كانت تابعة للقدس إداريا . كما كان النصارى يشكلون أغلبية سكان القرى المحيطة ببيت المقدس و التي كانت تابعة إداريالها. كما كان النصارى يشكلون الأكثرية المطلقة لبعض ضواحي بيت المقدس ، مثل جبل صهيون الذي وصفه الرحالة" فيلكس فابري "بأنه : سكن المسيحيين فقط و ليس به مسلم أو يهودي[3] .

كما قال أيضا : إن المسلمين ما كانوا يسمحون لأحد أن يشرب الخمرة في حضرتهم ، و لا أن يمر بهم و هو حامل لها ، و كان حجاج النصارى يقبلون الأرض المقدسة عندما يهبطونها ، و كانوا يعتقدون أن الله يغفر لهم خطاياهم فور هبوطهم الأرض المقدسة[4] .

و ذكر أيضا أن عددهم أي النصارى كان نحو ألف نصراني من كل مذهب و قطر. و كان أقلهم من أتباع الكنيسة اللاتينية[5] .وقد كان هدا إحصاء النصارى في العهد المملوكي .

---

[1]– تاريخ بيت المقدس في العصر المملوكي ، محمد حافظ النقر ، ص 100 .

[2]– موسوعة بيت المقدس و المسجد الأقصى ، محمد محمد حسن شراب ، ص 599 .

[3]– تاريخ بيت المقدس في العصر المملوكي ، محمد حافظ النقر ، ص 100 .

[4]– المفصل في تاريخ القدس ، عارف العارف ، ص 338 .

[5]– المرجع نفسه ، ص 345 .

و من الطوائف المسيحية في بيت المقدس في العصر المملوكي، السريان و الأرمن و كانوا يأتون في المرتبة الثانية من حيث الأهمية بعد الأرثوذكس ، و يرجح بأن عدد الأرمن في بيت المقدس أخدت في النقصان بعد طرد الفرنجة (الصليبيين) من بلاد الشام ، و دلك لأنهم كانوا حلفاء للصليبيين و المغول في المشرق العربي الإسلامي[1] .

و تشير المصادر إلى أن الوجود الأرميني المسيحي في القدس كان قبل دلك بكثير ، فقد ذكر أنه سنة 553 م لجأ عدد من الرهبان الأرمن إلى القدس و استقروا فيها ، و كان عددهم يناهز الخمسمائة راهب ،بنصيحة من كاثوليكي الأرمن ، هو" فهاينس الثاني كابيغيان "الذي طلب منهم عدم التخلي عن الكنيسة الأرمينية في القدس و استمرار نشاطاتهم الدينية و الثقافية فيها[2] .

و بدأت قوافل الحجاج الأرمن تفد على القدس، فقد ذكر أنه سنة 1491 قدمت أفواج من الحجاج الأرمن برفقة أساقفة و آباء من أرمينيا إلى القدس [3]. و في منتصف القرن الثامن عشر بلغ عدد الأرمن في القدس نحو 10.000 أرمني[4] . هدا بالنسبة للوجود الأرميني المسيحي بالقدس .

أما طائفة السريان فعندما احتل الصليبيون القدس ، قدم إليها بعض السريان من سوريا ، و ظلوا في المدينة بعد استرجاع المسلمين لها . و قد بلغ عددهم سنة 1103 هـ / 1691 م أربعون شخصا ، و قلت بعد دلك حيث بلغ عددهم سنة (1215 هـ / 1800 م) إحدى عشر شخصا[5] .

---

[1]– تاريخ بيت المقدس في العصر المملوكي ، محمد حافظ النقر ، ص 101 .

[2]– الجاليات الأرمنية في البلاد العربية (سورية ، لبنان ، العراق ، فلسطين ، الأردن ، مصر) ، هوري عزازيان ، دار الحوار للنشر و التوزيع ، اللادقية ، سورية ، الطبعة الأولى ، 1993 م / 2000 م ، ص 109 .

[3]– المرجع نفسه ، ص 118 .

[4]– المرجع نفسه ، ص 119 .

[5]– القدس في العهد العثماني (1640 م – 1799 م) ، أحمد حسين عبد الجبوري ، ص 252 .

و عاش أفراد هده الطائفة بمحلة خاصة بهم تعرف بمحلة السريان بين باب الخليل و حارة الشرف ، و على الرغم من قلة عددها ، إلا أنها أشرفت على جزء من كنيسة قديمة ، و هي كنيسة القديس مارك ، و كانت ذات تقدير عظيم عندهم و تقع بين حارة اليهود ، و حارة الأرمن ، لدلك تركزت الطائفة السريانية حولها[1] .

ثم تأتي في المرتبة التي تليها طائفة الكرج و الأقباط ، فقد وصلت أول جماعة من الأقباط إلى القدس في منتصف القرن الرابع الميلادي للمشاركة في الاحتفال الذي أقيم بمناسبة افتتاح كنيسة القيامة ، و كان الحجاج الأقباط يأتون الأرض المقدسة بالآلاف و خاصة في أعياد الفصح و الميلاد . و ظل قسم منهم في القدس ، و عاش الأقباط في حارة النصارى بالقدس ، و في دير السلطان ، و قرب كنيسة القيامة[2] .

و امتلكوا كغيرهم من طوائف النصارى مكانا فيها ،يقيمون فيه صلواتهم و طقوسهم و شكلوا طبقة فقيرة في القدس[3] .

و لكن أحوالهم تحسنت مع الحكم المصري لبلاد الشام ، فازدادت أعدادهم ، و بنو عام 1839 م على يد المطران الأنبا "إبراهيم خان "القبط بمحلة النصارى ، و بنو فوقه دير لزائري القدس من القبط[4] .

و قد أشار الرحالة الفرنسي ميشيل ناو الذي زار القدس سنة 1079هـ/1668 م إلى الأماكن المقدسة التي كانت بحوزة الأقباط ، و قال : لقد قسمت المباني في الجانب الشرقي لساحة كنيسة القيامة بين أمم مختلفة ، فأقرب الأبواب إلى كنيسة الحاجلة ، هو باب يؤدي إلى كنيسة الأقباط (أي باب يؤدي إلى كنيسة الملاك بدير السلطان القبطي) ، يقيمون فيها يوميا القداس الإلهي . [5]

---

[1]– المرجع نفسه ، ص 253 .

[2]– المرجع نفسه ، ص 249 .

[3]– القدس في العهد العثماني (1640 م – 1799 م) ، أحمد حسين عبد الجبوري ، ص 249 .

[4]– نصارى القدس دراسة في ضوء الوثائق العثمانية ، أحمد حامد ابراهيم القضاة ، ص 19 .

[5] القدس في العهد العثماني ،(1640 م / 1799م) ، أحمد حسين عبد الجبوري ، ص 250 .

كما قام الرحالة الفرنسي "كانون موريسون "بزيارة القدس سنة (1110هـ/1698م) ، و أشار إلى الوضع المتردي و التعيس الذي يعيشه الأقباط في القدس بقوله :" لم يبق هناك سوى قس واحد متروك في زاوية مظلمة في جناح مبنى ، غير قادر على الخروج ، و مواطنيه لا يستطيعون دفع الأجور المطلوبة من أجل فتح الأبواب للسماح لهم بالدخول ، و يستطيعون زيارته مرتين فقط في السنة عندما يتم فتح الأبواب و بدون أخد رسوم دخول منهم ، و إدا لم يقدم له الفرنسيسكان بين الحين و آخر الطعام فإنه سيموت من الجوع "[1] .

و يرى بعض الدارسين أن الأقباط كانوا أقل الطوائف المسيحية الأرثوذكسية عددا في بيت المقدس بدليل أن مكانهم في كنيسة القيامة كان يخلوا منهم بسبب تغيبهم و سفرهم إلى القاهرة[2] .

و أخيرا يأتي الأحباش ، فأول جماعة منهم وصلت إلى القدس كان في منتصف القرن الرابع الميلادي بمناسبة تدشين كنيسة القيامة ، و ينتمي الأحباش إلى الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية[3] .

و قد ملك الأحباش العديد من الأماكن الدينية في القدس ، إلا أنهم فقدوها في القرن السابع عشر ، بسبب الضرائب الباهظة المفروضة عليهم ، و اعتداء الأرمن عليهم ، و هدا يعود لقلة عددهم و خضوعهم لطوائف عدة من روم أرثوذكس ، و أرمن و أقباط . و قد أشار كل من الرحالة "جان دوبدان" الذي زار الأراضي المقدسة سنة (1062هـ/1653م) ، و "جان دي تيفنو" سنة (1068هـ/1657م) ، إلى أن هيكل الجلد في كنيسة القيامة يقع تحت سلطة الأحباش . أما "دارفيو "الذي زار المدينة عام (1071هـ/1660م) ، في معرض حديثه عن طائفة الأحباش في القدس [4]

1- القدس في العهد العثماني (1640 م – 1799 م) ، أحمد حسين عبد الجبوري ، ص 250 .

2- تاريخ بيت المقدس في العصر المملوكي ، محمد حافظ النقر ، ص 101 .

3- القدس في العهد العثماني (1640 م – 1799 م) ، أحمد حسين عبد الجبوري ، ص 250 .

4 المرجع نفسه ، ص 251 .

فيقول :" يظهر أن عددهم ضئيل ، و قد لا يأتون إلا وقت الحج ، إلا أن لهم مصلى خاص بهم في كنيسة القيامة ، زينوه بلوحة تمثل المسيح و أمه ، و القديس يوحنا زنوجا ، و الشيطان المربوط بقدم الصليب ، رجلا أبيض ليس فيه من أسود سوى العيون و الأسنان ، لأن جميع سكان إفريقيا ، ينظرون إلى اللون الأسود على أنه أكثرا جمالا و الأبيض أشد قبحا "[1] .

الأعياد والاحتفالات :

و تعددت الاحتفالات الدينية و مواسمها في بيت المقدس على عهد المماليك تعددا واضحا ، خاصة منها المسيحية . و يعتبر صبح الأعشى مصدرا مهما للتعرف على تلك الأعياد و الاحتفالات .و ينبغي الإشارة إلى أن بعض هده الأعياد كانت قومية يشترك فيها غالبية النصارى[2] .

- عيد الشعانين و قد ارتبط هدا العيد بذكرى مجيء المسيح إلى بيت المقدس ، و قد جرت العادة عند المسيحيين أن تزين الكنائس في هدا اليوم بأغصان الزيتون و سعف النخيل ، و يذكر ابن الوردي أن نصارى بيت المقدس كانوا يحملون في هدا العيد إلى كنيسة القيامة شجرة من الزيتون ، و يشقون بها طرقات المدينة بالقراءة و التراتيم و الصلوات ، حاملين الصليب و مرتدين الملابس البيضاء و جرت العادة أن يلتقي جميع المسيحيين في كنيسة القيامة حيث تتجمع كل طائفة منهم في مكان معين و يقوم كاهن كل طائفة بترتيل القداس باللغة التي يتخاطب بها أفراد تلك الطائفة[3] .
- عيد الفصح ، و هو العيد الكبير عند النصارى كما يقول القلقشندي ، و يعتقد المسيحيون أن المسيح قام في دلك اليوم بعد صلبه بثلاثة أيام و أقام في الأرض أربعين يوما ثم صعد إلى السماء و يعرف هدا العيد أيضا : بعيد القيامة[4] .

1- القدس في العهد المملوكي 1640 م / 1799م ، أحمد حسين عبد الجبوري ، ص 251 .

2- تاريخ بيت المقدس في العصر المملوكي ، محمد حافظ النقر ، ص 117 .

3- المرجع نفسه ، ص 118 .

4- المرجع نفسه ، ص 119 .

و قد أسهبت كتابات الرحالة في وصف الاحتفال بهدا العيد (الفصح) .

و من أبرز مظاهر هدا الاحتفال أن النصارى و الزوار كانوا يذهبون إلى كنيسة القيامة ، حيث يكون رهبان كل طائفة من الطوائف قد تجمعوا عند المذبح الخاص بهم ، و هناك ينظَم الزوار إلى الرهبان ، و يقوم كل راهب بترتيل القداس بلغة طائفته ، و يبقى الاحتفال قائما حتى ساعة متأخرة من الليل[1] .

و في معرض حديث الرحالة ' أوليا حلبي ' عن القدس يتطرق إلى النصارى و أعيادهم في كنيسة القيامة فيذكر أنه في يوم عيد الفصح يجتمع الآلاف من الكفرة (يقصد النصارى) ، و في هده الأيام يحضر أيضا الباشا و القضاة و أعيان المدينة مسلحين حتى لا يستولى على كنيسة القيامة الكفرة ، ثم يفتح باب الكنيسة ، و يحتشد بداخلها آلاف الناس من جميع الشعوب و مئات القساوسة ، و باب الكنيسة مغلق طيلة أيام السنة ، و حين يفتح بابها يؤخذ من كل ما بداخلها أربعون أقجة (نقود) ، تخصص منها حصة للباشا و القاضي ، و عند مغيب الشمس يغلق الباب[2] .

و هناك أعياد أخرى احتفل بها نصارى القدس في الحارات التي يقطنونها ، و ضمن أديرتهم و كنائسهم ، و قرب مزاراتهم المقدسة في مواسم الحج ، منها : خميس العهد (العدس) ، عيد الميلاد ، عيد الصليب ، عيد البشارة ، عيد رأس السنة و عيد الغطاس[3] .

و لم تشر المصادر إلى عدد الأحباش في بيت المقدس بصورة دقيقة ، و إنما اكتفت بإشارات عامة ، فالرحالة (فيلكس فابري) ذكر أن كثيرا من الأحباش كانوا يقيمون في بيت المقدس و في المناطق المجاورة لها . إلاَّ أنَّ المؤرخ ابن طولون (ت953 هـ/1546م) يورد في معرض حديثه [4]

---

[1]- تاريخ بيت المقدس في العصر المملوكي ، محمد حافظ النقر ، ص 119 .

[2]- مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية ، أحمد حسين عبد الجبوري ، ص 4 .

[3]- القدس في العهد العثماني (1640 م – 1799 م) ، أحمد حسين عبد الجبوري ، ص 44 .

[4] تاريخ بيت المقدس في العصر المملوكي ، محمد حافظ النقر ، 102 .

عن سنة (886هـ/1481م) ، و هي تقريبا نفس المدة التي كان فيها فابري في بيت المقدس ، أن جماعة من نصارى الأحباش نحو ثلاثة آلاف نفس العدد الكبير من الأحباش الزائرين هو سكان[1] بيت المقدس أصلا[2] .

أما مجير الدين الحنبلي ،فيذكر أن عدد الأحباش في بيت المقدس في نهايات القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي ،كان ضئيلا بسبب أن وباء الطاعون ضرب المدينة سنة (897هـ/1491م) أفنى طائفة الأحباش[3] .

بالإضافة إلى هده الطوائف هناك طوائف أخرى منها طائفة البروتستانت و الموارنة و الفرانسيسكان[4].

و يذكر الرحالة ' فيلكس فابري ' عدد المسيحيين في القدس فيقول :" أنهم كانوا نحو ألف نصراني من كل مذهب و قطر ، و أقلهم كانوا من أتباع الكنيسة اللاتينية "[5] .

و في كتابات بعض الرحالة الأوربيين ، ممن زاروا بيت المقدس ابتداء من منتصف القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي[6] .

أن عدد سكان بيت المقدس، بدأ بالنقصان و قد سجل بعض الرحالة و منهم ' فيلكس فابري ' أن عدد سكان القدس كان قليلا ، بشكل يلفت الأنظار ، و أن بيوت بعض حاراتها كانت خاوية ، كما أكد الرحالة اليهودي "عويدا"والدي زار القدس سنة (893هـ/1487م) ، ما ذكره "فيلكس فابري" ،

---

[1] تاريخ بيت المقدس في العصر المملوكي ، محمد حافظ النقر ، ص 102

[2]– المرجع نفسه ، ص 103.

[3]– الأنيس الجليل في تاريخ القدس و الخليل ، مجير الدين الحنبلي ، ج 2 ، ص 691 .

[4]– تاريخ بيت المقدس في العصر المملوكي ، محمد حافظ النقر ، ص 117 .

[5]– المفصل في تاريخ القدس ، عارف العارف ، ص 345 .

[6]– تاريخ بيت المقدس في العصر المملوكي ، محمد حافظ النقر ، ص 93 .

على أن بيت المقدس في معظم أجزائها كانت مهجورة و عدد سكانها لم يكن يتجاوز الأربعة آلاف أسرة ، و حين زار الرحالة الإيطالي كازولا بيت المقدس سنة (900هـ/1494م) استرعى انتباهه قلة سكانها[1] .

و لما زار الرحالة ' فولني ' القدس سنة (1783م/1785 م) استرعى انتباهه الخلافات التي كانت تحدث بين الطوائف المسيحية ، فقال : أما المسيحيون فإن تخاصمهم متواصل و تحاقدهم دائم ، فنزاعهم الذي تثيره دواع تافهة يعود عليهم بالضرر[2] .

كما وصف الرحالة "فولني "النزاعات بين الطوائف النصرانية حول الأماكن المقدسة وصفا مرعبا ، إذ يقول :" أن المشاركات المختلفة و المتنوعة للروم الأرثوذكس ، الروم الكاثوليك ، الأرمن ، الأقباط ، الأحباش ، و الفرنسيسكان على امتلاك و حيازة الأماكن المقدسة كانت تثير التحاسد بينهم ، و كانوا يتنازعون عليها بدون توقف ، كذلك كان هناك عداوات و كراهية و حرب أبدية بين الأديرة المختلفة ، و الذي أدى إلى حدوث عدة مصادمات دموية بين الطوائف المختلفة راح ضحيتها الرجال من جميع الطوائف "[3] .

و من بين الرحلات التي ذكرت معلومات عن المسيحيين في القدس ، رحلة الرحالة ' كنفليك الإنجليزي ' الذي زار القدس عام (1833م/1834م) فأشار إلى أن الحجاج المسيحيين كانوا يأتون من بلدان مختلفة ، بعضهم أتي ببضائع لبيعها و تسديد نفقة الحج ، وكان للنساء إيمان عميق بالروحانيات فكن يحملن معهن أطفالهن إلى الديار المقدسة ، و أنه من النشاز أن تكون الأماكن المقدسة المسيحية ، تحت السلطة الإسلامية ، و لكنها ضرورية بسبب اختلاف الطوائف المسيحية فإذا حصل الخلاف ، تحسمه الدولة[4] .

---

[1]– تاريخ بيت المقدس في العصر المملوكي ، محمد حافظ النقر ، ص 93 .

[2]– موسوعة بيت المقدس و المسجد الأقصى ، محمد محمد حسن شراب ، ص 447 .

[3]– القدس في العهد العثماني (1640 م – 1799 م) ، أحمد حسين عبد الجبوري ، ص 280 .

[4]– موسوعة بيت المقدس و المسجد الأقصى ، محمد محمد حسن شراب ، ص 447 .

و من خلال تاريخ الرحلة نستطيع القول إن هدا الرحالة قام برحلته على أيام إبراهيم باشا ، و قد أشارت بعض المصادر إلى أنه كان يعيش في القدس أنداك ألفي مسيحي[1] .

أما ' الأمير ردولف ' الذي زار الشرق خلال الفترة التاريخية (1280هـ-1297هـ/1863م-1879هـ) ، فجاءت رحلته في ثلاثة أجزاء ، خَصص الجزء الثالث فيه للحديث عن رحلته إلى القدس ، و قدم فيها معلومات عن الطوائف مثل قوله :" و بعد دلك استقبلنا رؤساء كل الكنائس ، و أتي البطريرك الكاثوليكي اللاتيني ومعه القسس و الرهبان ، و أتى البطريك اليوناني و معه باباواته ، ثم أتى رجال الدين الأرمن فالأقباط "[2] .

كما تحدث عن الصراعات بين الطوائف المسيحية فقال :" وصف لنا راعي" تراسنتا" العداوة و الصراع التي تكاد تكون متصلة ،و التي تسود بين مختلف المذاهب المسيحية ، و قد تتجاوز في بعض الأحيان الكلمات إلى الأفعال "[3] .

الرحالة الدين زاروا القدس و قدروا أعداد الطوائف[4] :

الرحالة	الروم الأرثودكس	الروم الكاثوليك	الأرمن	الأقباط	السريان	الأحباش	البروتستانت
سيتزن (1221هـ / 1806 م)	1400	800	50	50	11	13	---
توبلر (	2000	900	400	100	20	38	25

1- موسوعة بيت المقدس والمسجد الأقصى ، محمد محمد حسن شراب ، ص 768 .

2- رحلة الأمير ردولف إلى الشرق ، الأمير ردولف ، ص 42 .

3- المصدر نفسه ، ص 44 .

4- نصارى القدس دراسة في ضوء الوثائق العثمانية ، أحمد حامد إبراهيم القضاة ، ص 75 .

1263هـ/1846 م)							
بيروني مهندس بلدية القدس	2700	1270	526	130	12	80	206
ليفن (1286هـ/1869 م)	2800	1500	510	130	12	75	300
الإسباني خوسي ماريه (1292 هـ/ 1875 م)	2800	3005	510	130	12	75	
وليام	8000	5000	800	100		100	1400
بيدكر	7000	4000	1000	150	100	100	1600

يتبين من خلال هدا الجدول أن النصارى كانوا يشكلون ثلث سكان القدس في بداية القرن التاسع عشر ، و التقديرات التي قدمها الرحالة لأعداد الطوائف متماثلة بشكل عام ، لاعتمادها على تقدير رؤساء الطوائف و ممثليها ، و أن أكبر هده الطوائف في القدس هم الروم الأرثوذكس و الكاثوليك و الأرمن[1] .

[1]– نصارى القدس دراسة في ضوء الوثائق العثمانية ، أحمد حامد إبراهيم القضاة ، ص 76 .

و تظهر المقارنة بين أعداد الطوائف التي قدمها الرحالة " ليفين " عام (1286هـ/1869 م) و الرحالة الإسباني "خوسيه ماريه "(1292 هـ / 1875 م) ازدياد عدد النصارى بسبب سياسة التسامح الديني التي انتهجتها الدولة العثمانية . كما تشير الأعداد التي ذكرها الرحالة "ويليام " و "بيدكر "في نهاية القرن التاسع عشر إلى زيادة كبيرة في أعداد الطوائف ، و بخاصة الروم الأرثوذكس ، و الكاثوليك و الأرمن ، إلى جانب البروتستانت . و الأرجح أن هؤلاء الرحالة أضافوا إلى أعداد النصارى المقيمين في القدس أعداد الحجاج الدين يزورونها[1] .

كما قدم معلومات عن ملابس رجال الدين المسيحيين فقال : " و استقبلنا البطريرك السوري في ثوب أسود ... و كان قسسه يلبسون جميعا الملابس السوداء التي يلبسونها عند أداء القداس ، و يضعون فوق رؤوسهم أغطية رأس كتلك التي يراها المرء في صورة الفترة المسيحية الباكرة "[2] .

أمَّا عن المرأة المسيحية فقال: " و اقتربت مني فتاة مسيحية من هده الأنحاء ... و كانت شرقية خالصة ، ترتدي اللباس اليهودي القديم ، و تضع فوق رأسها غطاء رأس أبيض ، و لم تكن محجبة ، و كان منظرها مدهشا و ملامحها دقيقة و قوامها رشيقا و سحنتها شاحبة "[3] .

و قد اهتمت المرأة النصرانية بزينتها لإبراز جمالها ، مما أثار إعجاب الرحالة الدين زاروا القدس فوصفها الرحالة ' كوندر ' قائلا : " و النساء النصرانيات يُثرن الإعجاب بسبب جمالهن ، شاهدت في الشوارع و على الينابيع الكثير من الألوان الفاتنة ، و الكثير من الأشكال الجميلة التي تبرز من خلال الأزياء الرائعة ، و الكثير من العيون السوداء و الخدود المتوردة "[4] .

---

[1]– نصارى القدس دراسة في ضوء الوثائق العثمانية ، أحمد حامد إبراهيم القضاة ، ص 76 .

[2]– رحلة الأمير ردولف إلى المشرق ، الأمير ردولف ، ص 47 .

[3]– المصدر نفسه ، ص 46 .

[4]– نصارى القدس دراسة في ضوء الوثائق العثمانية ، أحمد حامد إبراهيم القضاة ، ص 27 .

و الأمر الملاحظ هنا ، و بتأكيد المؤرخين الأجانب من أمثال ' وليام تاير ' و مايكل فوس ، فإنه طوال 372 عاما مند الفتح الأول عام 637 م إلى عام 1099 م ظل المسيحيون يمارسون طقوسهم بحرية ، بل كان بيت المقدس بالنسبة للمسيحيين إقليما آمنا يسافرون إليه و يقيمون فيه[1] .

كما سجلت مصادر المسلمين خطابا أرسل إلى جيش أبو عبيدة فيما فحواه : " أيها المسلمون إننا نفضلكم على البيزنطيين ، على الرغم أنهم من نفس عقيدتنا ، لأنكم تتركون لنا عقيدتنا ، و لأنكم أكثر رحمة بنا ، و تنأون بأنفسكم عن ظلمنا ، و إن حكمكم لنا أفضل من حكمهم لأنهم نهبوا بضائعنا و بيوتنا "[2] .

و خلاصة القول إن الحكم العثماني تميز و مند القرن السابع عشر بالخلافات بين الطوائف المسيحية المختلفة و نزاعها على النفوذ على الأماكن المقدسة . و كان من نتائج هده الخلافات حرب القرم (1853 م) بين روسيا التي ادعت حماية الأرثوذكس و فرنسا و انجلترا اللتين ادعتا حماية اللاتين ، و في أعقاب هده الحرب أدخلت الدولة العثمانية بعض الإصلاحات التي تقضي بالمساواة بين جميع الرعايا العثمانيين و بدأت تسمح بتعيين قناصل لإنجلترا و فرنسا و غيرها من الدول العربية ، و بدأ التغلغل الاستعماري[3] .

---

[1]- صناعة التاريخ المستقبلي (نماذج بيت المقدس لتفسير الأحداث المعاصرة و توجيهها) ، عبد الفتاح محمد العويسي المقدسي ، ص 208 .

[2]- المرجع نفسه ، ص 209 .

[3]- الموسوعة التاريخية الجغرافية (معالم ، وثائق ، موضوعات ، زعماء) مسعود الخوند ، ص 169 .

المسلمون في القدس :

بعد أن خلص الخليفة الأول أبو بكر الصديق رضي الله عنه من حروب الردَّة ، و وطد دعائم الإسلام في الجزيرة العربية أعد جيشا لتطهير بلاد الشام ، و لاسيما تلك البقعة المقدسة و العزيزة على المسلمين هي بيت المقدس .

و تم فتح بيت المقدس في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد أن حاصرها أبو عبيدة عامر بن الجراح أربعة شهور . و لقد وصف ' البلادري ' لحظات اقتراب جيش المسلمين من أسوار القدس فقال : " طار الخبر إلى القدس فطارت قلوب من به رعبا و طاشت و خفت أفئدتهم خوفا من جيش الإسلام . و رفض أهل القدس تسليمها إلا بشرط واحد و هو أن تسلم مفاتيحها إلى خليفة المسلمين ، و هدا ما حصل بالفعل ، حيث قدم عمر بن الخطاب (ض) و تسلم مفاتيحها و عهد إلى أهلها عهدا سمي (العهدة العمرية) "[1] .

و بفتح القدس و دخولها تحت ظل الإسلام تغيرت تغيرا جذريا . و يصف الأصفهاني هدا التحول فيقول عن دخول عمر بن الخطاب (ض) إلى القدس : " نصب المنبر و أظهر المحراب المطهر ... و علقت القناديل و تلي التنزيل و حق الحق و بطلت الأباطيل و تلي الفرقان و عزل الإنجيل ، و صفت السجادات و أقيمت العبادات و الصلوات و أديت الدعوات و تجلت البركات و انجلت الكربات و نطق الأذان و حضر المؤذنون "[2] .

و دخل عمر بن الخطاب (ض) القدس و من وراءه المسلمون ، مكبرين مهللين ، و حسب قول بعضهم قيل أن عدد الصحابة الدين دخلوها معه أربعة آلاف صحابي[3] .

---

[1]– قصة القدس مع الأمة و الإسلام و الخلافة قصة عطاء متبادل ، دار الوضاح للنشر و التوزيع ، 26 ربيع الثاني 1432 هـ / 31-03-2011 م ، ص 5 .

[2]– المرجع نفسه ، ص 7 .

[3]– المفصل في تاريخ القدس، عارف العارف ، ص 171 .

و بدأت القبائل العربية تشد الرحال إلى بيت المقدس، و الاستقرار فيها، و ظهرت الثقافة و اللغة و القيم العربية لتتغلغل في المدينة المقدسة، ولتطرد غيرها من اللغات و الثقافات مثل اللغة اليونانية و اللغة الرومانية[1] .

و من بين القبائل العربية التي سكنت القدس ، قبيلة كنانة حيث سكن بعض أفرادها القدس مثل الصحابي الجليل واثلة بن الأسقع[2] .

كما استقر بها جماعة من قبيلة "شيبان" و هي بطن من ربيعة ، و أخرى من قبيلة قريش [3] . و ذكر الحافظ أبو بكر الواسطي الخطيب فيما ذكر أنه أقام في بيت المقدس جماعة من الحفاظ و الصحابة و التابعين ، و مات بها عبادة بن الصامت ، و شداد بن أوس ، و أبو أبي بن أم حزم ، و أبو ريحانة ، و سلامة بن قصير ، و فيروز الديلمي ، و دو الأصابع ، و أبو محمد النجاري ، هؤلاء من بيت المقدس[4] .

و استقر فيها معظم الأنصار ، و لكن أغلبهم توفي عام (130 هـ / 748 م) بسبب الزلزال العنيف الذي ضرب بلاد الشام . و بالمقابل شهدت هده الفترة قدوم عدد كبير من المسلمين الوافدين إلى بيت المقدس للاستقرار بها ، و قد تنوعت أهدافهم و غاياتهم ، فكان منهم الزهاد و المتصوفة الدين تضافرت عوامل عدة شجعت على قدومهم إلى القدس منها عظيم الصلاة في المسجد الأقصى ، و انتشار فصائل زيارة الأقصى[5] .

---

[1]- تاريخ مدينة القدس ، معين أحمد محمود ، ص 65 .

[2]- فلسطين تحت الحكم العباسي المباشر (132هـ-264هـ / 750م-878م) ، شريف أمين محمد أبو شمالة ، ص 106 .

[3]- فلسطين في عصر الدويلات الإسلامية (264هـ-492هـ / 877م-1099م) ، عودة سعيد عودة الكرد ، ص 77 .

[4]- إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى ، شمس الدين السيوطي ، ص 33 .

[5]- فلسطين تحت الحكم العباسي المباشر (132هـ-264هـ / 750م-878م) ، شريف أمين محمد أبو شمالة ، ص 110 .

و جاءت أحاديث كثيرة في دعوة المسلمين إلى سكنى بيت المقدس و المرابطة فيها ، و أنها أرض الرباط و الجهاد لتبقى في يد المسلمين إلى يوم القيامة[1] .

و بدأت الزيارات إلى هده البقعة المقدسة من بلدان الكرة الأرضية ، ففي أوائل العهد الأموي زار القدس الأسقف الفرنسي" أركولفوس" عام (670 م) ، فقضى فيها تسعة أشهر و ذكر عنها الكثير و من بين ما ذكره أنه في اليوم الخامس عشر أيلول من كل سنة يؤم القدس من كل حدب و صوب جماهير غفيرة مختلفة الأجناس و الأديان بقصد التجارة و تبادل العطاء و البيع و الشراء[2] .

و زار (القدس) حوالي سنة (232هـ/847م) دو النون المصري أبو الفيض ثوبان فقال عنها : "وجدت على صخرة بيت المقدس كل عاص مستوحش و كل طيع مستأنس و كل خائف هارب و كل راج طالب و كل قانع غني و كل محب دليل"[3] .

أما (برنارد الحكيم) الذي أشاد بعلاقة المسلمين و المسيحيين في بيت المقدس فتحدث أيضا عن الأمن فيها ، فذكر أنه إدا سافرت من بلد إلى بلد و مات جملي أو حماري و تركت أمتعتي مكانها و ذهبت لاكتراء دابة من البلدة المجاورة ، عدت فوجدت كل شيء على حاله لم تمسه يد[4] .

كما تحدث الرحالة المقدسي عن أهلها فقال عنهم : لا أعف من أهلها ... و فيها كل حاذق و طيب ... قليلة العلماء ... كثيرة النصارى ، و فيهم جفاء ، و ليس للمظلوم أنصار ، و المستور مهموم ، و الغني محسود ، و الفقيه مهجور ، و الأديب غير مشهود ، لا مجلس نظر و لا تدريس ، قد غلب عليها النصارى و اليهود[5] .

---

[1]– موسوعة بيت المقدس و المسجد الأقصى / محمد محمد حسن شراب ، ص 881 .

[2]– المفصل في تاريخ القدس ، عارف العارف ، ص 187 .

[3]– المرجع نفسه ، ص 210 .

[4]– المرجع نفسه ، ص 213 .

[5]– أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، المقدسي ، ص 165 .

و في مكان آخر من كتابه قال : سكان بيت المقدس كلهم شيعة و لا ماء فيه للمعتزلة [1] . و ذكر المسعودي في رحلته بيت المقدس فقال : و القدس المجتبى ، و فيه حل أشرف خلق الله تعالى من الصالحين و المتعبدين ، و جباله مساكن المجتهدين و المنفردين[2] .

و على عهد الفاطميين سنة (1047 م) زارها الرحالة ناصر خسروا ، و من بين الأمور التي ذكرها أن السكان السوريين و البلاد المجاورة كانوا يحجون إلى بيت المقدس عندما لا تتيسر لهم وسائط الحج إلى مكة ، فكانوا يضحون فيها الضحايا ، و يتقربون إلى الله بالصلاة و العبادة ، و وصل عدد الحجيج في بعض الأعوام إلى عشرين ألف . و كثيرا مما يأتي هؤلاء مع أطفالهم ليختتوهم بين جدرانهم و بالقرب من مساجدها و أضاف قائلا أنه كان يقطن فيها عشرون ألفا من السكان[3].

أما الرحالة الأندلسي أبو بكر ابن العربي الذي زار القدس سنة (485هـ/1093م) ، فقد انصب جل اهتمامه ، على أوضاع العلم و العلماء و يذكر أنه عاش حياة علمية خصبة أسهم فيها علماء كثيرون منهم مقدسيون ، و منهم من أهل فلسطين ، و من أهم ما ذكره أيضا هو اطلاعه على علوم ثلاث في القدس و هي : علم الكلام ، أصول الفقه ، و مسائل الخلاف[4] .

و بهدا يكون ابن العربي قد أطلعنا على الحركة العلمية في بيت المقدس قبيل الحروب الصليبية ، و يبدو جليا أن القدس عرفت ازدهار علميا لا بأس به في تلك الفترة ، مما جعلها تستقطب العلماء المسلمين و غير المسلمين من أصقاع مختلفة من العالم .

---

[1]- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، المقدسي ، ص 179 .

[2]- مروج الدهب و معادن الجوهر ، المسعودي ، ص 379 .

[3]- المفصل في تاريخ القدس ، عارف العارف ، ص 236 .

[4]- القدس في العصر البيزنطي و الإسلامي (364 م – 1917 م) ، إبراهيم الفني ، ص 179 .

و قد لعبت المساجد و الخوانق الكثيرة في بيت المقدس دورا مهما ، فإضافة إلى كونها مكانا للتعبد ، استخدمت أيضا كمركز لشرح تعاليم الدين و الفقه ، و العلوم الشرعية ، و تلقين فنون اللغة العربية ، كما كانت بيت المقدس أنداك لا تخلو من مجالس العلم ، و حلقات الدروس ، مما جعل بعض الرحالة يهتمون بزيارة العلماء ، فحضروا محاوراتهم و مناقشاتهم العلمية ، و مطارحاتهم الأدبية ، كما ترددوا على مجالس العلماء و الشيوخ للإفادة منهم[1] .

و لم تزل بيت المقدس بأيدي المسلمين حتى سنة (1099 م) ، حيث احتلها الفرنجة (الصليبيين) فأبادوا المسلمين منها ، و هدا بشهادة المؤرخين العرب و الأجانب ، كما عاثوا فسادا في بيت المقدس ، وارتكبوا جرائم بشعة في حق أهلها ، حتى أصبحت المدينة خالية من المسلمين . حتى أن الصليبيين لم يستثنوا أحدا من المسلمين و يذكر مجير الدين الحنبلي أن الصليبين قتلوا زهاء ثلاثة آلاف رجل من المقيمين بالمدينة و المجاورين بالمسجد الأقصى من الأندلسيين و المغاربة[2] .

و لم يزل بيت المقدس في أيدي الفرنج نيفا و تسعين سنة إلى أن فتحه الله على يد القائد صلاح الدين الأيوبي سنة (583هـ / 1187 م) .

و بعد هدا الفتح العظيم ، انتشر جنود صلاح الدين في شوارع بيت المقدس و أحيائها ، يحفظون الأمن و النظام ، و يجولون دون حدوث الفوضى و السرقات[3] .

---

[1]– أدب الرحلات الأندلسية و المغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري ، نور العبد الرحمن الشوابكة ، ص 79 .

[2]– حالة الغرب الإسلامي و صورة المشرق العربي من القرن السادس إلى القرن الثامن الهجري (12–14 م) ، نواف عبد العزيز الحجمة ، ص 175 .

[3]– المفصل في تاريخ القدس ، عارف العارف ، ص 281 .

و بمجرد عودة المسلمين إلى بيت المقدس ، أسرعوا لإزالة مظاهر التنصير فيها و إلباسها لباس الإسلام من جديد . و أثمرت جهود صلاح الدين في إعادة الهوية الإسلامية لبيت المقدس ،إذ هاجر إلى المدينة و استقر بها عدد كبير من العلماء و الفقهاء ، كما بدأت ظاهرة استقرار عدد من العلماء المغاربة في بيت المقدس حوالي سنة (586هـ / 1190م) عندما طلب صلاح الدين معونتهم ضد الفرنجة ، و قد بقي كثير منهم بالمدينة و استوطنوها [1] .

و قد ذكر ابن بطوطة في رحلته بعض أسماء المغاربة الدين كانوا مجاورين في بيت المقدس ، منهم الشيخ أبو علي حسن المعروف بالمحجوب من كبار الصالحين ، و الشيخ الصالح كمال الدين المراغي ، و أبو عبد الرحيم عبد الرحمن بن مصطفى ... [2] و إن كان ابن جبير قد سبقه في الإشارة إلى وجودهم ، حينما ذكر أن طائفة من أنجاد المغاربة غزت مع نور الدين أحد الحصون فعاقبهم الفرنجة بضرائب مكسية نكالا بهم على أنهم تألبوا مع إخوانهم المسلمين [3] .

كما أتى صلاح الدين بعدد من القبائل العربية ، و أقطعها لهم ، فتوطن القدس قبائل من بني حارث ، و كانت منازلهم عند القلعة خارج المدينة ، و حارة بني مرة من جهة الغرب الشمالي إلى سوق الفخر (خان الزيت) ، و حارة السعدية لبني سعد ، و كانت لهم حراسة باب الخليل و مفتاحه بيدهم ، و يلي عقبة الشيوخ من جهة الشمال حارة بني زيد ، و حارة الجرامنة بسوق القطانين [4] . و بدلك عاد السكان المسلمين إلى القدس و زادت نسبتهم حتى أصبحوا يشكلون نسبة 70 إلى 80 % من السكان[5] .

1- تاريخ بيت المقدس في العصر المملوكي ، محمد حافظ النقر ، ص 36 .

2- رحلة ابن بطوطة ، ابن بطوطة ، ص 252 .

3- الرحلة ، ابن جبير ، ص 235 .

4- المفصل في تاريخ القدس ، عارف العارف ، ص 285

5- تاريخ نيابة بيت المقدس في العصر المملوكي ، يوسف درويش غوانمة ، ص 120 .

و بعد صلاح الدين تولى حكم القدس ابنه الملك الأفضل ثم الملك المعظم عيسى بن أحمد بن أيوب الذي زاد الإنشاءات في بيت المقدس ، و لكنه عاد فدمر أسوار القدس خوفا من استيلاء الصليبيين عليها و خرب المدينة فاضطر أهلها إلى الهجرة في أسوء الظروف[1] .

كما ذكر الرحالة ' أبو عبد الله العبدري الحيحي ' الذي زار القدس سنة (690هـ/1291م) أثار الخراب الذي حل بالقدس سنة (616 هـ/1219م) ، كما ذكر كيف تم تسليم المدينة للصليبيين ، و كيف تمكنوا من احتلالها مرتين[2] .

لقد كان تخريب القدس سنة (616هـ/1219م) فاجعة حقيقية لسكانها و كارثة على العالم الإسلامي مما أدى إلى تدهور أحوال المدينة ، و جعل سكانها يهجرونها لفقدانهم الإحساس بالأمن . و الراجح أنه لم يبق في المدينة سوى الحاميات العسكرية ، و بعض موظفي الدولة ، و عدد قليل من المتصوفة و المجاورين في الأماكن المقدسة[3] .

أما في عهد المماليك فقد حدث تطور سكاني واضح في بيت المقدس ، خاصة في العصر المملوكي الأول . و ظل المسلمون يكونون غالبية السكان في المدينة و تكونوا من أجناس و فئات عديدة أهمها : المماليك ، و العرب ، و المغاربة ، و الأكراد ، و التركمان و الهنود و غيرهم[4] .

و إلى جانب هؤلاء ، كونت القبائل العربية عنصرا مهما من سكان بيت المقدس في العصر المملوكي ، و قد ورد اسم هده القبائل العربية في كثير من المصادر تحت اسم ' العشر ' أو ' العرب ' و ترجع أصول هده القبائل إلى ثلاثة بطون رئيسية هم :

1. بنو عامر : و بقال لهم العمريون ، نسبة إلى عمر بن الخطاب ، و سكنوا في الجزء الشمالي من بيت المقدس ، في حي خاص بهم ، بالقرب من باب الأسباط .[5]

---

[1]- الموسوعة التاريخية و الجغرافية ، مسعود الخوند ، ج 14 ، ص 168 .

[2]- القدس في العصر البيزنطي و الإسلامي (364 م / 1917 م) ، إبراهيم الفني ، ص 178 .

[3]- تاريخ القدس في العصر المملوكي ، محمد حافظ النقر ، ص 38 .

[4]- المرجع نفسه ، ص 65 .

[5] تاريخ القدس في العصر المملوكي ، محمد حافظ النقر ، 97 .

2. بنو جرم : و هم من العرب القحطانية ، و قد تفرغ عنهم بطون كثيرة مثل : بنو غانم و العبادلة ، و بنو قدامة ، و بنو عوف و غيرهم . و سكن أغلبهم ببيت المقدس ، مثل بنو غانم الدين سكنوا المنطقة التي تعرف بوادي الطواحين ، و لهم بها حارة تسمى ' حارة الغوانمة ' مجاورة للمسجد الأقصى من جهة الغرب[1] .
3. الجعافرة : و هم بن من بني هاشم ينتسبون إلى الإمام جعفر الصادق بن محمد الباقر ، و قد استوطنت فرقة منهم بيت المقدس . كما يذكر القلقشندي : و قد تكيَّف العربان مع الظروف الطبيعية في مدينة بيت المقدس فكانوا يتكاثرون في المناطق القريبة من الصحراء في فصل الشتاء ، و في فصل الصيف كانوا ينتقلون للعيش حول المرتفعات المحيطة بالقدس . كما أشار بعض الرحالة و الحجاج الأوربيين إلى حياة هؤلاء العربان ، فقد وصفهم الأب "سوريانو" بقوله : " و هم يضعون غطاء للرأس و يلبسون جلبابا بدون قميص ، كما يشعرون بالخزي من حملهم الأقواس و النبال ، و لكنهم يستخدمون فقط الرماح و السيوف ، كما أنهم يعيشون متنقلين هنا و هناك على ما يقومون به من غارات ، و يرعون الحيوانات من أجل ألبانها و لحومها "[2] .

و تتفق المصادر العربية على أن العربان ظلوا مصدرا للاضطرابات في بيت المقدس ، حيث كانوا يكثرون من الغارات و السلب و النهب لتحسين أحوالهم الاقتصادية . فالمقريزي يذكر في حوادث سنة (748هـ/1345م) فيقول : " أن هؤلاء البدو قاموا بغارات على مدينة القدس ، و أحدثوا فيها من النهب و السلب الشيء شيئا كثيرا " و قد وصل الأمر بهؤلاء البدو إلى الإغارة على الحجاج [3]

الأوربيين ، و من الشواهد على هدا الأمر ، ما ذكره الرحالة "فيلكس فابري "من أن البدو كانوا يتجمعون بأعداد كبيرة لمهاجمة الحجاج الأوربيين على طول الطريق البري بين يافا و القدس مما جعل السلطات المملوكية تخصص حراسا من المماليك لحراسة الحجاج و تأمين وصولهم إلى بيت المقدس[4] .

---

[1]– تاريخ بيت المقدس في العصر المملوكي ، محمد حافظ النقر ، ص 96 .

[2]– المرجع نفسه ، 97 .

[3] المرجع نفسه ، ص 98 .

[4]– تاريخ بيت المقدس في العصر المملوكي ، محمد حافظ النقر ، ص 97 .

و يبدو أنه قد حدث نوع من التغيير في حياة العربان في نهاية الدولة المملوكية ، إد تشير كتابات بعض الرحالة الأوربيين الدين زاروا بيت المقدس ، إلى أن هؤلاء البدو أصبحوا يقومون بخدمة و إرشاد الحجاج الأوربيين و تقديم المساعدات لهم نظير مبالغ تدفع لرؤسائهم . حتى أن بعض الدارسين رأى أن القبائل العربية التي كانت مستوطنة في بيت المقدس و ما حولها قد تحولت تدريجيا مند القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي إلى مجموعات زراعية مستقرة ، و لاسيما في القرى المحيطة ببيت المقدس ، كما أن شيوخهم أصبحت تناط بهم حفظ الأمن و النظام في المناطق التي سكنوها[1] ..

و تعتبر الهجرة من العراق ، و بعض الأقاليم الإسلامية الأخرى إلى بيت المقدس من العوامل الرئيسية التي ساعدت على زيادة سكان المدينة ، تلك الهجرات التي نجمت عن المذابح التي ارتكبها المغول في العراق ، أو لطلب العلم في القدس . هدا إضافة إلى تطور الأحوال الصحية العامة في بيت المقدس خاصة ، كما نعمت بيت المقدس باستقرار اقتصادي مهم ، و الذي غالبا ما كان السبب في تزايد السكان في العصر المملوكي الأول[2] .

و لكنه عاد و انخفض في بداية القرن 9 الهجري / 15 الميلادي ، نتيجة عدة عوامل ، و كان لانتشار الأوبئة أكبر الأثر في هدا النقص ، أو الفناء الكبير أو الموت الأسود كما تسميه المصادر الإفرنجية ، و الذي حدث سنة (749 هـ / 1348 م)[3] .

و يذكر مجير الدين الحنبلي خبر الطاعون الذي انتشر في القدس سنة (882 هـ / 1477 م) فقال : و أفنى خلقا من الشباب و النساء و أهل الذمة ... و لم يكن طال ببلد أكثر من بيت المقدس[4] .

---

[1]– تاريخ القدس في العصر المملوكي ، محمد حافظ النقر ، ص 98 .

[2]– المرجع نفسه ، ص 92 .

[3]– المرجع نفسه ، ص 93 .

[4]– الأنس الجليل في تاريخ القدس و الخليل ، مجير الدين الحنبلي ، ج 2 ، ص 65 .

بالإضافة إلى الأوبئة ، لعبت الزلزال دورا كبيرا في هلاك عدد كبير من سكان بيت المقدس ، و منها الزلزال الذي ضرب القدس سنة (902هـ / 1496م) ، و من العوامل التي ساعدت على هدا التدهور السكاني في القدس ، في العصر المملوكي الثاني (ق 9 هـ / 15 م) ، سوء الأحوال الاقتصادية و الاجتماعية و السياسية ، و يحدثنا المقريزي عن سوء الأحوال في المدينة فيقول : " أجدبت الأرض ... و القدس ... لعدم نزول المطر في أوانه ، و نزح كثير من سكان هده البلاد عن أوطانهم "[1] .

و من العناصر العربية التي استقرت ببيت المقدس و كونت جزءا مهما من سكانها المغاربة ، و قد وفدوا إليها مجاورين ، بعد أداء فريضة الحج ، مند مئات السنين ، كما قدم إليها آخرون منهم بعد سقوط الأندلس عام (898 هـ / 1492 م) ، و تعددت المناطق التي قدموا منها ، فمنهم المراكشيون التونسيون و الجزائريون[2] .

و حظي المغاربة بامتيازات كثيرة أهمها : كما يذكر الرحالة ابن جبير أن صلاح الدين جعل أحكامهم إليهم و لم يجعل يدا لأحد عليهم [3] . و في هدا إشارة واضحة إلى أن صلاح الدين سمح لهم بإقامة شعائرهم على المذهب المالكي السائد بينهم ، و عقب صلاح الدين قام ابنه الأفضل ببناء حارة المغاربة ، و أقام لهم بها زاوية عرفت باسمهم ، و يذكر ابن فضل العمري بأن الأفضل بنى لهم جامعا خصص لصلواتهم داخل المسجد الأقصى عرف باسم جامع المغاربة[4] .

و شغل بعض المغاربة مناصب رفيعة في مدينة القدس ، و منهم الشيخ محمد النفاتي التونسي الذي عين قاضيا للقدس عام (1074هـ / 1663 م) و التقى به الرحالة المغربي أبو سالم العياشي عند زيارته للقدس ، كما تم تعيين الشيخ محمد بن محمد الطيب التافلاني المغربي مفتيا للحنفية في القدس[5] .

---

[1]– تاريخ بيت المقدس في العصر المملوكي ، محمد حافظ النقر ، ص 94 .

[2]– القدس في العهد العثماني (1640 م – 1799 م) ، أحمد حسين عبد الجبوري ، ص 227 .

[3]– الرحلة ، ابن جبير ، ص 10 .

[4]– تاريخ بيت المقدس في العصر المملوكي ، محمد حافظ النقر ، ص 98 .

[5]– القدس في العهد العثماني (1640 م – 1799 م) ، أحمد حسين عبد الجبوري ، ص 229 .

و من الأقليات الإسلامية التي ظلت تسكن ببيت المقدس خلال العصر المملوكي ، الهنود الدين قدموا من الهند إلى بيت المقدس بقصد الزيارة ، فأقاموا فيها و اختلطوا بمرور الزمن مع السكان الأصليين عن طريق الزواج ، و قد عاش بعضهم في زاوية خاصة بالقرب من باب الساهرة[1] .

و قد أورد مجير الدين الحنبلي بعض أسماء الفقهاء و العلماء الهنود في بيت المقدس كالشيخ الصالح عبد الله الهندي من الأولياء المشهورين عاش بالقدس زمنا و بها توفي[2] .

أما الأكراد فقد وفدوا إلى القدس على مراحل تاريخية متعددة لأسباب عسكرية و دينية تتمثل في مشاركتهم العسكرية السابقة في محاربة الصليبيين ، و زياراتهم و أداء فريضة الحج ، و جاء بعضهم إلى المدينة بصحبة شيوخ الصوفية[3] . و يذكر مجير الدين الحنبلي أن بعضهم كانوا من العلماء ممن كانوا : من أهل الفضل و من الفقهاء بالمدرسة الصلاحية[4] .

و رأى بعض الدارسين أن الأكراد كان لهم في بيت المقدس حي خاص بهم يسكنونه منفصلين عن غيرهم من السكان في العصر المملوكي الثاني . و الواقع أن سياسة السلاطين كانت تقوم على تشجيع الأكراد ، و هم من العناصر المشهورة بالشجاعة و الكفاءة القتالية ، للاستيطان في بيت المقدس بهدف الدفاع عنها في احتمال الهجوم عليها .

كما سجلت المصادر أيضا وجود فئة أخرى و هم التركمان ، و هم أقلية صغيرة بين السكان المسلمين في بيت المقدس[5] .

---

[1]- القدس في العهد العثماني (1640 م – 1799 م) ، أحمد حسين عبد الجبوري ، ص 229 .

[2]- الأنس الجليل في تاريخ القدس و الخليل ، مجير الدين الحنبلي ، ج 2 ، ص 505 .

[3]- القدس في العهد العثماني (1640 م – 1799 م) ، أحمد حسين عبد الجبوري ، ص 232 .

[4]- الأنس الجليل في تاريخ القدس و الخليل ، مجير الدين الحنبلي ، ج 2 ، ص 512 .

[5]- تاريخ بيت المقدس في العصر المملوكي ، محمد حافظ النقر ، ص 100 .

و في العهد العثماني شكل المسلمون أكثرية سكان مدينة القدس ، حيث مركزوا داخل المدينة حل الحرم القدسي الشريف ، و المناطق الشمالية الشرقية في المدينة ، و في ظاهرها ، ثم أخذوا بالتوسع في نهاية القرن (12هـ/18م) خارج أسوار المدينة . و قد أورد بعض الرحالة المسلمين و الأجانب الدين زاروا المنطقة بيانات تدل على عدد سكان مدينة القدس[1] .

فذكر الرحالة التركي ' أوليا جلبي ' عند زيارته للمدينة سنة (1082هـ/1671م) أن جاويش زادة محمد باشا أمير لواء القدس ، قام بإحصاء سكان المدينة ، فوجد أنهم يبلغون ألف نسمة ينتسبون إلى مختلف الأمم و الطوائف ، و أكثرهم عرب مسلمون . بينهم عدد من أهل الوظائف في الحرم ، لا يقلون عن الألف . كما تحدث أيضا عن لباسهم ، فقال : " أن أغنياءهم يلبسون السمور ، و القنباز المصنوع من الجوخ الممتاز ، و الثياب المصنوعة من الصوف الأبيض . و نساؤهم متأدبات يلبسن على رؤوسهن طاقيات مصنوعة من الذهب و الفضة ، و يلتففن بالملايات البيض ، و يتحذين الأحذية المقفولة المعروفة بالجزم[2] .

بينما قدر الرحالة الفرنسي فولني عدد سكان القدس عندما زارها سنة (1199هـ/1784م) بين 212 ألف و 14 ألف من دون الإشارة إلى نسب كل المسلمين و النصارى و اليهود من هدا الإحصاء . و هو نفس الرقم الذي أشار إليه كل من خليل اينالجك ، و أولد في معرض حديثهما عن عدد[3].

سكان مدينة القدس [4] ، و قد أشارت الوثائق و المصادر إلى حدوث أكثر من مجاعة ، و انتشر مرض الطاعون ، و هجوم الجراد على المدينة خلال النصف الثاني من القرن (18 م) مما أدى بدوره إلى تناقص أعداد السكان بشكل ملحوظ .[5]

---

[1]– القدس في العهد العثماني (1640 م – 1799 م) ، أحمد حسين عبد الجبوري ، ص 224 .

[2]– المفصل في تاريخ القدس ، عارف العارف ، ص 416 .

[3]– القدس في العهد العثماني (1640 م – 1799 م) ، أحمد حسين عبد الجبوري ، ص 225 .

[4]– المرجع نفسه، ص 225 .

[5] المرجع نفسه ، ص 226 .

كما أشار محمود عامر سنة (1205هـ/1790م) من خلال إحصاء لسكان القدس إلى أنهم بلغوا 48 ألف نسمة . أما الرحالة الإنجليزي ج . براون الذي زار القدس سنة (1212هـ/1797م) فقد أشار إلى تناقص عدد السكان في بيت المقدس ، حيث وصل إلى حوالي عشرين ألف نسمة[1] .

و الملاحظ في هده الرحلات أن أصحابها لم يحددوا عدد المسلمين في بيت المقدس ، و إنما ذكروا العدد الإجمالي لسكانها من دون تفصيل بما أن السكان كانوا من (المسلمين و المسيحيين و اليهود في بعض الأحيان) و في بعض الأحيان كانوا يضمون إلى إحصائياتهم عدد الزوار الأجانب الذي كانوا يزورون القدس .

أما الرحالة الألماني "ستيزن" الذي زار القدس سنة (1212هـ/1806م) فقد ذكر عدد السكان المسلمين المقيمين بالقدس و قال أنهم كانوا أربعة آلاف نسمة ، من أصل (8750) نسمة هم إجمالي سكان المدينة ، و هو رقم ضئيل جدا قياسا مع السنوات السابقة ، و يدل على تناقص أعداد المسلمين ، و زيادة أعداد النصارى و اليهود في المدينة على حساب أعداد المسلمين نتيجة كثرة توافد العناصر غير المسلمة إلى المدينة[2] .

و نتيجة لتحريات الرحالة ج.س. بكنجهام الذي زار القدس سنة 1816 م أكد أن سكان القدس لم يزيدوا عن ثمانية آلاف نسمة ، كان أكثر من نصفهم مسلمون ، و لكن العدد يرتفع أحيانا إلى 10 آلاف أو 15 ألفا نتيجة لحركة الغرباء الدائبة في القدوم إلى المدينة و الرحيل عنها[3].

و ذكرت بعض المصادر أنه على عهد إبراهيم باشا كان يعيش في بيت المقدس ، عشرون ألف نسمة من السكان[4] .

---

[1]– القدس في العهد العثماني (1640 م – 1799 م) ، أحمد حسين عبد الجبوري ، ص 225 .

[2]– المرجع نفسه ، ص 226 .

[3]– أسفار في فلسطين ، ج.س. بكنجهام ، ترجمة سليمان موسى ، ص 23 .

[4]– المفصل في تاريخ القدس ، عارف العارف ، ص 443 .

و قدر الرحالة و.م تومسون الذي زار القدس سنة (1857 م) سكان بيت المقدس بأنهم لا يزيدون عن 18 ألف نسمة[1] . أما الرحالة أندرو تومسون الذي قام برحلته عام 1869 م فذكر أن التقديرات بشان عدد السكان في القدس تختلف ، و لكنه ذكر أنهم كانوا حوالي 18 ألفا[2] .

و سنحاول من خلال هدا الجدول أن نحصي عدد المسلمين في القدس في القرن (16 م) .

السنة	عدد المسلمين
1525	3.100
1538	6000
1553	10.000
1562	9.900
1596	7300

و الزيادة الكبيرة التي حصلت في عدد السكان المسلمين و العرب تمثلت بأولئك المسلمين الدين يأتون للمدينة المقدسة في البلاد الإسلامية و العربية مثل شمال إفريقيا ، و سوريا و مصر و العراق و تركيا ، الهند ، إيران ، و بلدان عدة شملت جميع أنحاء آسيا[3] .

كما قام (آبني) بعملية إحصاء في بداية القرن التاسع عشر يذكر فيها أن عدد سكان القدس كان 26 ألف نسمة[4] .

[1]– أسفار في فلسطين ، ج.س. بكنجهام ، ص 125 .
[2]– المرجع نفسه ، ص 230 .
[3]– القدس في العصر البيزنطي و الإسلامي (364 م / 1917 م) ، إبراهيم الفني ، ص 247 .
[4]– المرجع نفسه ، ص 252 .

و قد مثلناه في هدا الجدول :

السنة	مسلم	مسيحي	يهودي	المجموع
1800	4.000	2.750	2000	8.750
1830	4.500	3.250	3000	10.750
1840	4560	3.350	3000	11000
1850	5.350	3.650	6000	15000
1860	6000	4000	8000	18000
1870	6500	4500	11000	22000
1880	8000	6000	17000	31000
1890	9000	8000	25000	42000
1900	10.000	10.000	35000	55000
1910	12.000	13.000	45000	70000
1922	13.500	14.700	43.400	62000

[1]

و لهدا يمكن القول إنَّ عدد السكان في القدس كان يشبه المد و الجزر بين الانخفاض أحيانا و الارتفاع أحيانا ، بسبب الأوضاع السياسية و الصحية و الاقتصادية .

[1]– المرجع نفسه ، ص 261 .

المبحث الرابع

البعد العمراني لمدينة القدس

البعد العمراني لمدينة القدس :

-القدس قبل الميلاد :

نشأت النواة الأولى لمدينة القدس على تلال الظهور (الطور – تل أوفل) المطلة على قرية سلوان إلى الجنوب الشرقي من المسجد الأقصى[1] .

و قد بنيت القدس مع بداية العصر البرونزي المبكر ، حيث أظهرت الحفريات عمران القدس من خلال بيوتها الدائرية و الشكل الرباعي ، و حفر الآبار ، و اعتماد الأعمدة وسط البيوت ، و الشكل الدائري للأسوار ، كما عثرت البعثات الأثرية التالية منها على بنايات تعود للعصر البرونزي المبكر الأول[2] .

و خلال العصر البرونزي المتوسط (أي ما يقارب الألف الثاني ق م) بنى اليبوسيون السور الأول لمدينة القدس ، إذ تم العثور على جزء منه . إضافة إلى أجزاء من المدينة ، كما كشفت الحفريات عن بقايا المدينة اليبوسية التي تعود إلى العصر البرونزي المتأخر (ما يقارب القرن 14 ق.م) و هي عبارة عن أسوار و أبراج و بيوت و أنفاق مائية ، و قد حفر اليبوسيون نفقا طويلا في الصخر يوصل إلى بئر الماء (عين سلوان) في أسفل التل ، و دلك للحصول على الماء في فترة الحصار ، و قد كشف عن هدا النفق الكابتن (ورن) عام (1867 م)[3] . كما أظهرت الحفريات أن القدس كانت محاطة بسور من الطين و الحجر من جهاتها الأربعة ، و بسمك (مترين) ، و أمامه خندق بعرض (11 متر) ، و للسور بوابة من الجهة الشمالية تؤدي إلى عين جيحون في الجنوب[4] .

---

[1]- الموسوعة التاريخية الجغرافية ، مسعود الخوند ، ص 168

[2]- تاريخ القدس عبر العصور ، إسحاق رباح ، ص 21 .

[3]- تاريخ القدس و حاضرها ، عزت جرادات ، ص 52 .

[4]- تاريخ القدس عبر العصور ، إسحاق رباح ، ص 24 .

وقد استنتج المؤرخون من خلال دراسة بعض الآثار و لاسيما الآثار المصرية في أيام الفراعنة ، بأن اليبوسيين أقاموا حضارة في (يبوس) ، و كان عنوان تلك الحضارة يتجلى في عمرانها و أبنيتها الفخمة ، و من الملوك القدماء الدين بدلوا جهدا كبيرا في تعمير يبوس ، الملك" سالم اليبوسي "الذي أقام على جبل صهيون برجا للدفاع عن المدينة عند محاولة غزوها من الشرق أو الغرب[1] .

كما أعاد اليبوسيون بناء مدينة القدس ، بعد أن هجرت في نهاية العصر البرونزي الأوسط ، و قاموا بتوسيعها باتجاه الغرب ، و أقاموا حصنا جديدا عل جبل صهيون ، بعد أن قاموا بإصلاح التحصينات القديمة على تل الأكمة ، كما أقاموا حصنان يبوسيان الأول شرقا على جبل أوفل ، و الثاني على جبل صهيون[2] . و أوجدوا سلسلة من المصاطب المستوية المليئة بالأحجار ، التي مكنت السكان من العيش في تلك المنطقة ، التي تتميز بالمرتفعات و المنخفضات . و من المحتمل أن هده المصاطب المستوية حلت محل المساكن القديمة المتفرقة و الشوارع الشديدة الانحدار[3] .

و في القرن العاشر قبل الميلاد اتسعت حدود القدس باتجاه الشمال ، و تضاعفت عندما زحفت المباني نحو جبل موريا . أما أهم الآثار الدالة على دلك ، فهي التحصين الحجري المعروف (بالمهراز) ، الذي استمل على مساحات للسكن ، أبنية دفاعية ، درج حجري ، شبكة مياه عين جيحون إلى داخل المدينة ، المنحدر الشرقي الصخري كتحصين دفاعي ، الجدار الأول للقدس[4] .

أما عن القدس على عهد العبرانيين أو حين اغتصبها بنو إسرائيل ، فقد كانت عظيمة البناء متسعة العمران ، و على ما وصفت فإن العمارة و المنازل كانت متصلة من جهة القبلة إلى القرية المعروفة يومئذ بدير السنة[5] . و في زمن سليمان اتسعت القدس، فبنيت فيها الدور و شيدت القصور ، فعمرت القدس و باهت الحواضر و المدن الكبيرة[6] .

---

[1]– تاريخ مدينة القدس ، معين أحمد منصور ، ص 27 .

[2]– تاريخ القدس عبر العصور ، إسحاق رباح ، ص 28 .

[3]– المرجع نفسه ، ص 29 .

[4]– المرجع نفسه ، ص 35 .

[5]– الأنس الجليل في تاريخ القدس و الخليل ، مجير الدين الحنبلي ، ج1 ، ص 117 .

[6]– تاريخ القدس عبر العصور ، إسحاق رباح ، ص 69

كما أشارت المصادر أن سليمان بنى قصرا خاصا ، و قد بناه معماريون فينيقيون ، و استخدموا في بناءه أخشاب أرز من لبنان . و استغرق بناء القصر ثلاث عشرة سنة ، و كان الجناح الملكي غنيا بأعمدة الأرز حتى سمي بـ (بيت غابة لبنان)[1] .

عانت مدينة القدس كثيرا في الخراب و الدمار بسبب بني إسرائيل ، فبسبب خيانتهم قام "بنو خدنصر" بتخريب بيت المقدس مرتين ، أولها كان عام (596 ق.م) ، و الثانية عام (585 ق.م)[2] . و قد أشار مجير الدين الحنبلي إلى الغزو الثاني فذكر أن "بنوخدنصر" بعد تخريبه لبيت المقدس ، أمر جنوده أن يملأ كل رجل منهم ترسه ترابا ثم يقذفه في بيت المقدس ففعلوا حتى امتلأ [3]

أما في العهد اليوناني فقد شهدت القدس انتعاشا عمرانيا ، دخلت فيه عناصر إغريقية واضحة في الأبنية الدينية و العمرانية على السواء . كما اتسع مجال القدس و خرجت عن حدودها اليبوسية القديمة نحو جبل أوفل و موريا في الأعلى . و إلى الغرب من المدينة اليبوسية توسع السكن فيها و ظهرت المدينة العليا المتاخمة لوادي "هنوم "من الأعلى ، و المدينة السفلى اللصيقة بمدينة يبوس القديمة[4] .

و في عهد الرومان قام "هيرودس "في السنة التاسعة عشر من حكمه ببناء قسم من سور الحرم الحالي ، و القلعة الكائنة بباب الخليل ، و بنى حولها ثلاثة أبراج ، كما شيد حصن "أنطونيا "و في وسط هدا الحصن بنى لنفسه قصرا فخما ، و عددا من الأبراج و القلاع و الهياكل

و التماثيل و الحمامات ، و ملعبا على الطراز الروماني ، و من الحصون التي بناها حصن كائن عند الزاوية الجنوبية الغربية للقسم العلوي من المدينة ، و على التل المعروف بجبل صهيون[5] .

---

[1]– تاريخ القدس عبر العصور ، إسحاق رباح ، ، ص 70 .

[2]– تاريخ الطبري تاريخ الأمم و الملوك ، الطبري ، ص 317 .

[3]– تاريخ القدس عبر العصور ، إسحاق رباح ، ص 84

[4]– المرجع نفسه ، ص 111 .

[5]– المفصل في تاريخ القدس ، عارف العارف ، ص 96 .

و تذكر المصادر التاريخية أنه أنشأ في الطرف الشمالي لقصره ثلاثة أبراج هي(فيصايل و مريامة و هيبنوكس)، و قد أغناها بالزخارف ، و كان للأبراج قواعد متينة ارتفاعها حوالي خمسة عشر مترا ، و لا تزال قاعدة أحد هده الأبراج تشكل جزءا من القلعة[1] .

كما استحضر مهندسان قاما برسم الخرائط اللازمة لإنشاء الطريقين اللتين تصلان القدس من الشمال و الشرق، الأولى من الساحل و الثانية من الأردن و أريجا [2] . و مضى قدما في توسيع بيت المقدس ، حيث كانت هناك ساحة للسوق أحاطها بسور امتد من برج " أنطونيا "إلى باب في السوق الشمالي للمدينة الذي أنشأه الحشمونيون[3] .

و على عهد "هيروس أغريبا " سنة (37 – 44م) ، انتعشت القدس فبنيت فيها القصور الشاهقة و الأروقة الفخمة و المسارح الضخمة ، و أنشأت على عهده حارة جديدة سميت (بزيتا) و هي الكائنة في الناحية الشمالية الشرقية من المدينة ، و شرع في بناء السور المعروف بالسور الثالث ، و أدخل فيه المكان المعروف "بالجلجثة"[4] .

أما سنة (70 م) فقد قام "تيتس" بتخريب القدس ، هدا ما يذكره المسعودي في مروج الذهب فهو يقول : " أن "تيتوس" و" أسباسيانوس" خربا بيت المقدس ، و حرثاه بالبقر ، و أزالا رسمه ، و محو أثره[5] .

---

[1]– تاريخ القدس عبر العصور ، إسحاق رباح ، ص 119 .

[2]– المفصل في تاريخ القدس ، عارف العارف ، ص 99 .

[3]– تاريخ القدس عبر العصور ، إسحاق رباح ، ص 121 .

[4]– المفصل في تاريخ القدس ، عارف العارف ، ص 114 .

[5]– مروج الذهب و معادن الجوهر ، المسعودي ، ج 1 ، ص 271 .

و بعد مضي أربع سنوات على خراب القدس الثاني ، بنى الإمبراطور "أدريانوس "مدينة جديدة على أنقاض المدينة القديمة احتفالا بمرور واحد و عشرين عاما على ارتقاءه كرسي الملك ، دعاها (إيليا كابيتولينا) و قد ازدهرت حركة العمران على عهدهم (أي الرومان) ، فبنو المعابد و المخافر و الحصون ، كما عبدوا الطرق ، و حفروا الصهاريج ، و أنشئو المجاري ، و أقاموا السدود و الجسور[1] .

و لكن أهم هده المنشآت ألمَّ بها خراب كبير، أثناء الثورة المكابية ، و ما بقي منها قضى عليها الفرس عندما احتلوا القدس سنة (614 م)[2] . و ذكر المقريزي سنة (1308 – 1441 م) في كتابه (القول الإبريزي) أنه في السنة الثانية و العشرين من ملك قسطنطين سارت أمه هيلانة إلى القدس و بنت فيه كنائس للنصارى[3] .

كما ذكر الراهب تاوفانوس : أن قسطنطين بنى ثلاثة كنائس (كنيسة القيامة أو كنسية القبر المقدس) ، (كنيسة الجلجلة و هي التي عرفها العرب فيما بعد بالاقرانيون) ، (كنيسة الشهادة أو المرتريون و هي متاخمة للجلجلة و محتوية على جزء منها و قد دعيت أيضا كنيسة اكتشاف الصليب ، دلك لأنه وجد تحتها مغارة قيل أن الصليب اكتشف فيها[4] .

و قد أشارت الدلائل الأثرية والبقايا المعمارية إلى تخطيط مدينة القدس في العهد الروماني بعدما أعاد بناءها الحاكم الروماني "هدريان" فكان تخطيط المدينة يعتمد على تقاطع شارعين رئيسيين : الأول يقطع المدينة من الشمال إلى الجنوب و يسمى (الكاردو) ، و قد حظيت مدينة القدس بشارعين من هدا النوع أحدهما يمتد من باب العمود إلى باب صهيون ، و الآخر من باب العمود عن طريق الوادي إلى ما يعرف اليوم بباب المغاربة ، و الثاني يقطع المدينة من الشرق إلى الغرب و يسمى .[5]

---

[1]– المفصل في تاريخ القدس ، عارف العارف ، ص 136 .

[2]– المرجع نفسه ، ص 137 .

[3]– المرجع نفسه ، ص 142 .

[4]– المرجع نفسه ، ص 143 .

[5] تاريخ القدس وحاضرها ، عزت جرادات ، ص 57 .

(ديكيومانوس) ، و هو عمليا يمتد بين ما يعرف اليوم بباب الخليل و باب السلسلة الواقع في الجهة الغربية لجدار الحرم القدسي الشريف ، و قد كشفت الحفريات الأثرية التي جرت داخل أسوار المدينة عن العديد من الأبنية التي تعود إلى هده الفترة و تشتمل على المعابد و الأسواق و المداخل و الحمامات و المساحات و غيرها من المرافق اللازمة للمدينة[1] .

كما عثر عام (1896 م) على خريطة توضح مجسم المدينة في وسطها ، إذ كانت محاطة بأسوار عالية و لها أربعة أبواب على الأقل هي : الباب الشمالي و هو باب العمود ، و الباب الشرقي و هو باب الأسباط ، و بجانبه الباب المغلق الذي عرف بالباب الذهبي ، و الباب الغربي و هو باب داود و يعرف اليوم بباب الخليل ، و تصور الخريطة أيضا ، مختصرا عن شوارع المدينة و مبانيها في تلك الفترة[2] .

و الأمر الأكيد الذي أوضحته هده الخريطة (خريطة مأدبا) ، هو أن منطقة المسجد الأقصى كانت منطقة مدمرة في فترة القرن السادس للميلاد ، و لا يوجد فيها أي نمط معماري غير الباب الذهبي و الذي أطلق عليه المسلمون "باب التوبة"[3] .

و في عام (540 م) قام الإمبراطور "جستنيان "ببناء كنيسة العذراء مريم و مستشفى بمدينة القدس[4] . أما منطقة المسجد الأقصى فيظن أنها كانت منطقة مستقلة و بقيت مهجورة في الفترة البيزنطية و لم يظهر عليها أي بناء إلى تلك الفترة[5] .

1– تاريخ القدس و حاضرها ، عزت جرادات ، ص 57 .

2– المرجع السابق ، ص 58 .

3– فسيفساء قبة الصخرة ، إبراهيم الفني ، اليازوري ، الأردن ، عمان ، ص 31 .

4– المفصل في تاريخ القدس ، عارف العارف ، ص 145 .

5– تاريخ القدس و حاضرها ، عزت جرادات ، ص 58 .

و استمر مخطط بيت المقدس على ما كان عليه في العهود السابقة خلال الفترة الإسلامية ، باستثناء منطقة المسجد الأقصى التي عمل المسلمون مند دخولهم المدينة على إعادة تخطيطها و البناء فيها ، و قد تركز النشاط العمراني عليها و على المنطقة المجاورة لها مباشرة . و كان أول عمل قام به عمر بن الخطاب (ض) هو إزالة النفايات التي كانت قد تراكمت قي ساحة هدا المسجد خلال القرون الثلاثة السابقة لفتح مدينة القدس[1] .

أما العمل الثاني الذي قام به عمر ابن الخطاب (رضي الله عنه) ، فهو بناء مسجد على قمة جبل موريا ، و ينقل "كريزويل" ما دونه أحد الرحالة و هو" أركون "الذي حج إلى بيت المقدس عام (51 هـ / 670 م) و رأى الجامع و وصفه[2] .

كما وصف المدينة فقال عنها : كان على سور القدس يومئذ 84 برجا ، و له ستة أبواب ، ثلاثة منها فقط تستعمل للدخول و الخروج ، و أحد منها غربي المدينة ، و الثاني شمالي المدينة و الثالث في شرقها ... و يؤتي بالخشب إلى بيت المقدس من أجل البناء من غابة كثيفة واقعة على بعد أميال من الخليل[3] . و على العهد الأموي قام عبد الملك بن مروان سنة (65 هـ / 684 م) ببناء مسجد قبة الصخرة و المسجد الأقصى ، و هما من أعظم آثار بني أمية في فلسطين . كما قاموا ببناء قبة السلسلة الكائنة شرقي الصخرة[4] .

كما قاموا بفتح الطرق و تعبيدها، و وضعوا على مسافات معينة من هده الطرق حجارة ينقش عليها اسم الشخص الذي أمر بتعميرها، و المسافة التي تفصل بين دمشق مقر الخلافة [5] .

1– تاريخ القدس وحاضرها ، عزت جرادات ، ص 59 .

2– موسوعة التراث المعماري ، عفيف البهنسي ، ج 2 ، الناشر ، دمشق ، 2014 ، ص 373 .

3– موسوعة بيت المقدس و المسجد الأقصى ، محمد محمد حسن شراب ، ص 759 .

4– المفصل في تاريخ القدس ، عارف العارف ، ص 189 .

5 المفصل في تاريخ القدس ، عارف العارف ، ص 197 .

بالإضافة إلى هدا قاموا ببناء أسوار منطقة الجنوب الغربي من المسجد الأقصى التي تم تدميرها عام (70 م) و بناء المداخل المؤدية إليها لاسيما في السور الجنوبي حتى يتمكن الناس من الوصول إلى داخل الأسوار ، كما أقاموا في الجهة الشمالية و الغربية من المنطقة أبوابا أخرى ، كباب حطة ، و باب العتم ، و باب الناظر ، و باب السلسلة ، مما أدى إلى استخدام تلك الأبواب و المناطق المحيطة بها في إقامة تجمعات سكنية فيها ، و تذكر بعض المصادر أن القدس أنداك كانت مقسمة إلى ثلاثة أحياء هي : الحي الإسلامي ، و الحي المسيحي ، و الحي الأرميني [1] .

و يذكرها ابن خردادبة الذي عاش في أواسط القرن الثالث للهجرة في كتابه (المسالك و الممالك) فقال عنها " كورة إيلياء و هي بيت المقدس بينها و بين الرملة ثمانية عشر ميلا ... ومن بيت المقدس إلى مسجد إبراهيم ثلاثة عشر ميلا مما يلي القبلة " [2] . كما ذكرها الإصطخري في النصف الأول من القرن الرابع الهجري أي القرن العاشر الميلادي في كتابه (مسالك الممالك) فقال :" أنها مدينة مرتفعة على جبال ، يصعد إليها من كل مكان قصد من فلسطين " [3] . أما في العهد الفاطمي فقد أنشئ وقف للوافدين من ديار بكر ، كما أقيم حي البطريرك (حارة النصارى) في النصف الثاني من القرن الحادي عشر [4] . و أسسوا في عهد الحاكم دار علم في القدس لنشر الدعوة الفاطمية[5] .

---

[1]– تاريخ القدس و حاضرها ، عزت جرادات ، ص 59 .

[2]– المسالك و الممالك ، عبد الله بن خردادبة ، إعداد و تقديم خير الدين محمود قبلاوي ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، سوريا ، 1999 ، ص 115

[3]– قصة مدينة ، يحي فرحان ، ص 22 .

[4]– تاريخ القدس و حاضرها ، عزت جرادات ، ص 59 .

[5]– قصة مدينة ، يحي فرحان ، ص 23 .

و أحسن وصف لمدينة القدس على عهد الفاطميين كان للرحالة المقدسي حيث قال عنها :" بيت المقدس ليس في مدائن الكور (أي الإقليم) أكبر منها ... بنيانهم حجر ، لا ترى أحسن منه ، و لا أتقن من بناءها ... عليها حصن بعضه على جبل و على بقيته خندق ، و لها ثمانية أبواب : باب صهيون ، باب التيه ، باب البلاط ، باب جب أرميا ، باب سلوان ، باب أريجا ، باب العمود ، باب محراب داوود "[1] .

كما زارها (القدس) سنة (438 هـ / 1047 م) الرحالة ناصر خسروا فقال :" أن القدس مدينة عظيمة ... قائمة على تلال ... يحيط بها سور منيع من الحجارة ، و للسور أبواب حديدية ... فيها أبنية عالية و أسوار جميلة ، و مبنية بناء متقنا ، أسواقها كلها مرصوفة بالبلاط ، و قد أزالوا التلال و المرتفعات ، فجعلوها منبسطة بحيث يتمكنون من تنظيف المكان كله بسهولة كلما هطل المطر "[2] .

أما ياقوت الحموي فقد وصفها قائلا :" و الذي شاهدته أنا منها أن أرضها و ضياعها و قراها كلها جبال شامخة و ليس حولها و لا بالقرب منها أرض وطيدة البتة و زروعها على الجبال ... و أما نفس المدينة فهي على فضاء في وسط تلك الجبال و أرضها كلها حجر من الجبال التي هي عليها و فيها أسواق كثيرة و عمارات حسنة "[3] .

و في الفترة الصليبية سنة (1099 – 1187 م) استمر مخطط المدينة على ما هو عليه ، و تم صبغ المدينة بالطابع المسيحي ، و قد عمل الصليبيون على تقسيم المدينة إلى أحياء متعددة أضافوا إليها العديد من الأبنية و الكنائس و الأديرة ، و أعطوا الطرق و الأماكن أسماء صليبية . كما تم إنشاء حي جديد هو حي المشارقة (حي باب حطة و حارة السعدية في الوقت الحاضر) الذي خصص للنصارى السوريين الدين استقدموا من الأردن[4] .

---

[1]– أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، المقدسي ، ص 144 .

[2]– المفصل في تاريخ القدس ، عارف العارف ، ص 236 .

[3]– معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، ص 168 .

[4]– تاريخ القدس و حاضرها ، عزت جرادات ، ص 59 .

و قاموا بتحويل المدرسة الشافعية في القدس إلى كنيسة القديس (أبوات حنة) ، و حولوا قبة الصخرة إلى معبد لهم سموه (هيكل الرب) [1] . و أضافوا برج "تانكرد "، و بنو قصر جديد للملك اللاتيني شرق برج داود ، و أصبح المجمع الذي بناه تجار (أمالفي) مقرا للفرسان الأسبتارية[2] .

كما قاموا ببناء كنيسة "القديسة حنة "و أضافوا إلى البرج الكبير في قصر هيرودس الملك (القلعة) بعض الصحون و الأفنية ، فصارت القلعة في شكل لا يختلف كثيرا عن شكلها الحالي ، و أقاموا بجانب كنيسة القديسة مريم الكبرى مستشفى لمعالجة المرضى من الجند و السكان و الحجاج ، و على جانب المستشفى أنشئوا نزلا لا يزال رواق من أروقته ظاهرا إلى يومنا هدا[3] .

و قد زار القدس في الفترة الصليبية العديد من الرحالة و وصفوها من بينهم الراهب الروسي" دانبيل" حيث وصفها قائلا :" أنها مدينة كبيرة ، تحيط بها أسوار منيعة عالية ، و أن أسوارها بنيت بشكل مربع أضلاعها متساوية ... و كانت المدينة محاطة بعدد من الوديان القاحلة و الجبال الجرداء"[4] .

كما وصفها الرحالة الألماني " ثيودوريش " بدوره عام (1172 م) فذكر أنها مدينة جبلية ، لكن صخورها جميلة ، فيها الأبيض و الأحمر و الرخام المتعدد الألوان ، و كلها صالح لأخذ حجارة البناء ... أكثر شوارعها مبلطة بألواح كبيرة من الحجارة ، و هي مسقوفة بعقود حجرية ... و بيوتها مبنية من الحجر الجميل النقش ، و أسطحتها مستوية[5] .

و في العصر الأيوبي عام (1169 م) اهتم صلاح الدين بالمدينة إلى ما كانت عليه قبل دخول الصليبيين و إعمارها .[6]

---

[1]– قصة القدس مع الأمة و الإسلام و الخليفة قصة عطاء متبادل ، زياد غزال ، ص 11 .

[2]– تاريخ القدس عبر العصور ، إسحاق رباح ، ص 193 .

[3]– المفصل في تاريخ القدس ، عارف العارف ، ص 169 .

[4]– المرجع نفسه ، ص 270 .

[5]– المفصل في تاريخ القدس ، عارف العارف ، ص 271 .

[6]– تاريخ القدس و حاضرها ، عزت جرادات ، ص 60 .

، و في تلك الفترة عام (560 هـ/1165 م) وصفها الإدريسي قائلا :" أن بيت المقدس مدينة جليلة قديمة البناء أزلية و كانت تسمى إيلياء و هي على جبل يصعد إليها من كل جانب و هي ذاتها طويلة و طولها من المغرب إلى المشرق و في طرفها الغربي باب المحراب و هدا الباب عليه قبة داود عليه السلام و في طرفها الشرقي باب يسمى باب الرحمة و هو مغلق لا يفتح إلا في عيد الزيتون لمثله . و لها من جهة الجنوب باب يسمى باب صهيون و من جهة الشمال باب يسمى باب عمود الغراب "[1] .

و من المؤسسات التي أنشاها صلاح الدين في بيت المقدس ، البيمارستان و الخانقاه و المدرسة الصلاحية ، و السور و الخندق الذي حوله ، و مقبرة باب الساهرة ، و قبة يوسف ، و الجامع الذي أنشأه على جبل الطور[2] .

كما قام الأفضل ابن صلاح الدين الأكبر ببناء المدرسة الأفضلية بحارة المغاربة، و كانت تعرف قديما بالقبة ، و المسجد العمري الكائن إلى الجنوب من ساحة كنيسة القيامة ، و الظاهر أنه بناه على أساس قديم و بنى له منارة[3] . و أنشأ حارتين جديدتان الأولى حارة المغاربة ، و تقع إلى الغرب من حائط البراق ، و حارة اليهود الواقعة إلى الغرب من حارة المغاربة[4] .

و من بين العمائر التي أنشأها الملك شرف الدين عيسى في القدس الأروقة التي أمام المسجد الأقصى من الشمال و المؤلفة من سبعة أقواس ، و البرج القائم في وسط القلعة بباب الخليل[5] .

---

[1]- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، الإدريسي ، مج 1 ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، 1422هـ / 2002م ، ص 165 .

[2]- المفصل في تاريخ القدس ، عارف العارف ، ص 287 .

[3] المرجع نفسه ، ص 293 .

[4]- تاريخ القدس و حاضرها ، عزت جرادات ، ص 60 .

[5]- المفصل في تاريخ القدس ، عارف العارف ، ص 297 .

خلف الأيوبيين في حكم بيت المقدس المماليك عام (1250 هـ/1517 م) الدين كان لهم دور كبير في تخطيط المدينة ، من خلال تشييدهم للكثير من المباني المتميزة التي تتمثل بالمدارس ، و الحانات ، و الأربطة ، و الأسواق ، و الأسبلة ، و الحمامات ، التي انتشرت في أنحاء مختلفة من القدس لاسيما حول منطقة المسجد الأقصى[1] .

و من أشهر المدارس التي أنشئوها المدرسة السلطانية الأشرفية و المدرسة التنكزية [2] . و لما زار "الظاهر بيبرس" القدس عام (661 هـ/1262 م) أنشأ فيها خانا للسبيل ، كما بنى بها مسجدا و طاحونا و فرنا[3] .

كما أنشأت حارت كثيرة ، إذ وصل عدد الحارات في عصر المماليك إلى 44 حارة ، وقد ذكر مجير الدين أهمها حارة المغاربة ، و حارة الشرف ، و حارة العلم ، و حارة الحيادرة ، و حارة الصلبتين ، و حارة اليهود ، و حارة صهيون ، و حارة الضوية ، و حارة باب حطة[4] .

ووصفها السائح المشهور "فيلكس فابري" بعدما زارها عام (1484 م) فقال : " أن بيوتها مبنية بالحجارة هدا باستثناء مساكن الفقراء التي من الطين ، و قد رأيت فيها بيوتا جميلة و كبيرة ، فإنه لا يزال فيها أربع أسواق جميلة طويلة مما لم أره من قبل شبيها ، كلها مسقوفة بالقباب "[5] .

و قد أكدت المصادر التاريخية أن سكان بيت المقدس كانوا يعيشون في بيوت مبنية من الحجر و الجير ، يتألف بعضها من طابق واحد ، و أخرى من طابقين أو أكثر [6] ،

---

[1]- تاريخ القدس و حاضرها ، عزت جرادات ، ص 60 .

[2]- قصة مدينة ، يحي فرحان ، ص 60 .

[3]- المفصل في تاريخ القدس ، عارف العارف ، ص 315 .

[4]- الأنس الجليل في تاريخ القدس و الخليل ، مجير الدين الحنبلي ، ج 2 ، ص 51 .

[5]- المفصل في تاريخ القدس ، عارف العارف ، ص 345 .

[6]- تاريخ نيابة بيت المقدس في العصر المملوكي ، يوسف درويش غوانمة ، ص 127 .

في وسطها ساحة سماوية تشتمل على بئر ماء و بعض الأشجار و أحواض الزهور ، أما نوافذ الدار المطلة على الشارع فوجد فيها المشربيات . و قد وصفت الوثيقة رقم 35 من وثائق المتحف الإسلامي في القدس دار (ابن اللونين) بحارة النصارى الموجودة بالقرب من طاحونة الهولي ، و تشتمل هده الدار على ثلاثة غرف و مطبخ و مطهرة (مرحاض) ، و صحن الدار يتكون من ساحة بها صهريجان للماء ، و أشجار مختلفة الأجناس ، و تشتمل الدار على قبو أرضي يتوصل إلى صحن الدار[1] .

أما حارات بيت المقدس فكانت جميعها ضيقة متعرجة ، و بعضها يتم الصعود إليها بواسطة درج بسبب طبوغرافية الأرض الجبلية ، و بلطت شوارعها بالحجارة[2] .

كما نقل لنا مجير الدين الحنبلي صورة للقدس في القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي :"مدينة عظيمة محكمة البناء بين جبال و أودية ، و بعض بناء المدينة مرتفع على علو بعضه منخفض في واد ، و غالب الأبنية التي في الأماكن العالية مشرفة على ما دونها من الأماكن المنخفضة ... و في غالب الأماكن يوجد أسفله أبنية قديمة ، و قد بني فوقها بناء مستجد على بناء قديم . و البناء مشحون بحيث لا تفرق على حكم غالب مدن مملكة الإسلام لكان حجم المدينة ضعف ما هو عليه الآن ، و هي كثيرة الآبار" [3] . و الملاحظ أن مجير الدين ذكر القدس باسم القدس الشريف مما يدل على أن الوصف جاء في العصر المملوكي .

---

[1]– تاريخ نيابة بيت المقدس في العصر المملوكي ، يوسف درويش غوانمة ، ص 129 .

[2]– المرجع نفسه ، ص 128 .

[3]– الأنس الجليل في تاريخ القدس و الخليل ، مجير الدين الحنبلي ، ص 50 .

-حارات القدس :

سجل مجير الدين حارات القدس سنة (900هـ) فذكر أنه كان بالقدس : حارة الشرف و كانت تسمى (حارة الأكراد) ، حارة المغاربة مضافة إلى سكانها المغاربة الموقوفة عليهم ، و هي تحيط بجدار البراق ، حارة العلم بمعنى الراية أو الجبل ، حارة حمام علاء الدين ، حارة الشيخ محمد القرمي ، حارة الحصرية ، حارة ابن الشنتير ، حارة مرزبان ، حارة النصارى ، حارة الغوانمة مضافة إلى بني غانم ، حارة بني مرة ، حرة باب العمود ، حارة بني سعد (السعدية) ، حارة بني زيد ، حارة باب حطة و هي أعظم الحارات و أكبرها و هي شمال المسجد ، حارة الطورية ، حارة الصلتين ، حارة بني حارث خارج البلد عند القلعة ، حارة المشارقة أو المشارفة أو الشرف ، حارة الريشة ، حارة صهيون الجوانية ، حارة الضوية ، حارة الحيادرة نسبة لزاوية بها طائفة الحيادرة ، حارة الرحبة ، حارة الجوالقة ، حارة القطانين ، حارة باب الحديد ، حارة الزراعنة ، حارة الملاط ، حارة باب الناظر ، حارة باب الزاهرة ، حارة درج المولوية ، حارة الغورية[1] .

و خضعت المدينة بعد دلك لحكم الأتراك العثمانيين الدين كان لاهتمامهم الكبير بها دور في استمرار الشكل المعماري ، فعملوا على ترميم بعض المعالم ، و أضافوا معالم أخرى كثيرة . و أهم هده الأعمال كانت للسلطان سليمان القانوني (1520-1566م) الذي عمل على تجديد أسوار المدينة و أبوابها و تحصينها [2] ، و قام بتعمير قبة الصخرة عام (1542م) و أبواب الحرم الشريف [3]. كما عمل على إصلاح خط المياه ما بين برك سليمان و القدس ، و أنشأ ستة أسبلة داخل المدينة ، و أنشأ تكية "خاصكي سليمان" لإطعام الفقراء و المساكين سنة (959هـ/1588 م). و في هده الفترة لم يطرأ تغيير على مواقع الحارات و الشوارع و أسمائها ، و إنما أنشئت حارات جديدة خارج الأسوار في الأجزاء الشمالية و الغربية من المدينة و دلك خلال القرن التاسع عشر و بداية القرن العشرين[4].

---

[1]- الأنس الجليل في تاريخ القدس و الخليل ، مجير الدين الحنبلي ، ص 50 7.

[2]- تاريخ القدس و حاضرها ، عزت جرادات ، ص 61 .

[3]- تاريخ مدينة القدس ، معين أحمد محمود ، ص 82 .

[4]- تاريخ القدس و حاضرها ، عزت جرادات ، ص 61 .

أمَّا الخطوط و الطرق الرئيسية فقد ذكرها مجير الدين الحنبلي و لخصها في ثلاثة خطوط رئيسية : الأول خط داود عليه السلام ، و هو الشارع الذي قطع المدينة من الشرق إلى الغرب ، و يبدأ من باب السلسلة الموجود في السور الغربي لمنطقة المسجد الأقصى إلى باب المدينة المعروف الآن بباب الخليل ، و الثاني خط مرزبان الذي يضم وسط المدينة من باب القطانين إلى شارع الشيخ محمد القرمي ، و من ثم سوق القماش و العطارين و منطقة البيمارستان الصلاحي و كنيسة القيامة و حارة النصارى و غيرها من الشوارع و الطرق المحيطة بها ، و الثالث خط واد الطواحين ، و هو الشارع الكبير الذي يقطع المدينة من باب العمود الموجود من الجهة الشمالية باتجاه القبلة عن طريق الوادي باتجاه المسجد الأقصى ، و يشتمل على العديد من الشوارع و الحارات ، مثل : حارة باب القطانين و حارة باب الحديد ، و حارة الغوانمة ، و غيرها[1] .

-معالم القدس القديمة :

أ – سور القدس : هو السور الذي يحيط بالمدينة من جهاتها الأربعة : و قد بني من أجل حماية المدينة من قبل اليبوسيين ، أما الأصل المعماري للسور الحالي فيعود إلى الفترة الرومانية ، و قد أعيد بناؤه بعد دلك مرات عدة خلال الفترة الإسلامية من قبل الأمويين و الأيوبيين و العثمانيين . أما السور الحالي فيعود بناؤه إلى عهد السلطان العثماني سليمان القانوني ،إذ أنه أمر بإعادة بنا أسوار المدينة و أبوابها و تم دلك في فترة (943هـ-947هـ/1536م-1540م) . و يبلغ طول السور (4200 متر) يشترك قسم منها بطول 600 متر مع أسوار المسجد الأقصى من الشرق و الجنوب ، يتراوح ارتفاعه بين (11 متر و 30 م) ، و له أربعة و ثلاثون برج ، و يعلو السور شراشيف حجرية ، كما تبرز من جدرانه السقطات . و لقد أنشأت الجدران من الأحجار الضخمة ، أما في المداميك العلوية فهي من أحجار أقل حجما . و يتصل بهده الأسوار عدد من الأبواب بعضها تظهر مغلقة و لاسيما في الجهة الشرقية من سور المسجد الأقصى كباب الجنائز ، و باب الرحمة ، و في الجهة الجنوبية كالباب المزدوج ، و بعضها مبنى على أساسات سابقة كباب العمود[2] .

[1]- الأنس الجليل في تاريخ القدس و الخليل ، مجير الدين الحنبلي ، ص 51 .

[2]- تاريخ القدس و حاضرها ، عزت جرادات ، ص 62 .

ب – الأبواب :

- باب العامود : هو أحد مداخل مدينة القدس الرئيسية : و يسمى أيضا باب دمشق ، و باب نابلس ، و يعود بناءه إلى الفترة الرومانية و للإمبراطور الروماني" هدريان "الذي أعاد بناء المدينة ، كما وضع في الساحة الداخلية للباب عمودا من الغرانيت الأسود بارتفاع 14 مترا ، و يحمل تمثالا له ، أما الباب الحالي[1] فيرجع إلى الفترة الإسلامية المملوكية و العثمانية ، و تم ترميمه آخر مرة في عهد السلطان العثماني سليمان القانوني سنة (945هـ/1538م) و هو عبارة عن باب ضخم ، له عقد نصف دائري ، و على كلا جانبيه باب خشبي مصفح بالحديد يستخدم لإغلاق المدخل عند الحاجة[2]
- **اب الساهرة :** يقع في الجهة الشمالية من السور على بعد 500 متر إلى الشرق من باب العامود ، و له أسماء أخرى ، منها : باب هيرود ، الزهور ، مادلين ، و ذكره بهدا الاسم المقدسي في أواخر القرن العاشر الميلادي[3] . يعود بناؤه إلى الفترة الإسلامية ، وقد جدد في عهد صلاح الدين الأيوبي ، و رمم في الفترة العثمانية سنة (944هـ/1537م) ، و هو باب متوسط الحجم ، جميل البناء ، تعلوه مشكاة واسعة و ثلاثة أبراج صغيرة ، و على يسار الداخل منه فتحة صغيرة[4] .

- **باب الحديد :** يقع في الجهة الشمالية الغربية من السور على بعد ما يقارب (7500 متر) غرب باب العامود ، و سمي بالحديد لأنه فتح في وقت متأخر خلال العهد العثماني بأمر من السلطان عبد الحميد الثاني (1898م) عبد زيارة الإمبراطور الألماني" غليوم الثاني" للقدس [5] . و الباب المتوسط الحجم و خال من الزخرفة تقريبا أو أية مميزات معمارية أخرى[6] .

- **باب محراب داود :** يقع في الجهة الجنوبية الغربية من السور ، و يؤدي مباشرة إلى مقام النبي داود على جبل صهيون ، و من أسمائه باب صهيون و باب حارة اليهود أو باب المحراب [7] . و يذكره

---

[1]– تاريخ القدس وحاضرها ، عزّت جرادات ، ص 63 .

[2]– المرجع نفسه ، ص 63 .

[3]– موسوعة بيت المقدس و المسجد الأقصى ، محمد محمد حسن شراب ، ص 147 .

[4]– تاريخ القدس و حاضرها ، عزت جرادات ، ص 63 .

[5]– موسوعة بيت المقدس و المسجد الأقصى ، محمد محمد حسن شراب ، ص 151 .

[6]– تاريخ القدس و حاضرها ، عزت جرادات ، ص 63 .

[7]– المرجع نفسه ، ص 64 .

المقدسي بباب محراب داود [1] . و هو باب كبير الحجم يبلغ ارتفاعه ما يقارب (9 متر) ، و يعلوه قوس مدبب على جانبيه نافدتان يعلوهما قوسان صغيران ، و على جانبي الباب مصرعان من الخشب المصفح بالنحاس يستخدمان لإغلاق المدخل عند الحاجة ، و هو يعود للفترة الرومانية في البناء ، و قد أجريت عليه ترميمات أهمها ترميم السلطان العثماني سليمان القانوني عام (947هـ/1542م)[2] .

- **باب المغاربة :** يقع في السور الجنوبي على بعد (500متر) إلى الشرق من باب النبي داود ، و هو في أواخر الجهة الغربية من المسجد الأقصى مما يلي القبلة ، و يسمى بدلك لمجاورته لباب جامع المغاربة ، و ينتهي إلى حارة المغاربة ، و يسمى أيضا باب النبي محمد صلى الله عليه و سلم ، لأنه يظن أن النبي صلى الله عليه و سلم دخل المسجد من هدا البال ، و هناك ربط البراق [3] . هو أصغر الأبواب مؤلف من قوس ضمن برج مربع ، و من أسمائه : باب سلوان ، القيامة ، المغارة ، الدباغة ، و هو باب قديم أجريت عليه ترميمات في الفترة الأيوبية و العثمانيين[4] .
- **باب الخليل :** يقع وحيد في السور الغربي للمدينة ، و هو ثاني أكبر بابين للقدس ، أطلق عليه هدا الاسم لأنه يؤدي إلى مدينة الخليل ، و من أسماءه : باب الأصدقاء ، باب يافا [5] . و يسميه الغربيون الغربيون باب يافا لأنه حضورهم إلى القدس كان عن طريق يافا [6] . و يعلو هدا الباب قوس نصف مستدير مشيد فوقه سور و أبراج ، و يغلق المدخل باب خشبي كبير دو مصرعين بالنحاس[7] .

---

[1]– موسوعة بيت المقدس و المسجد الأقصى ، محمد محمد حسن شراب ، ص 150 .

[2]– تاريخ القدس و حاضرها ، عزت جرادات ، ص 64 .

[3]– موسوعة بيت المقدس و المسجد الأقصى ، محمد محمد حسن شراب ، ص 153 .

[4]– تاريخ القدس و حاضرها ، عزت جرادات ، ص 64 .

[5]– المرجع نفسه ، ص 64 .

[6]– موسوعة بيت المقدس و المسجد الأقصى ، محمد محمد حسن شراب ، ص 148 .

[7]– تاريخ القدس و حاضرها ، عزت جرادات ، ص 64 .

- **باب الأسباط** : يقع في السور الشرقي للمدينة من الزاوية الشمالية الشرقية ، و هو المدخل الشرقي لمدينة القدس و أقرب الأبواب إلى الحرم المقدسي الشريف ، من أسماءه : باب الأسود نسبة إلى الأسدين المنحوتين في كل جانب من الباب ، و باب سنتا مريم ، و باب استفانوس ، و باب بنيامين ، و باب سانت إيتان . و الباب كبير الحجم دو عقد نصف مستدير يعلوه برج صغير على أربعة كوابل حجرية ، و على جانبيه محرابان يعلوهما قوسان صغيران مدببان ، و يغطي فتحة المدخل مصرعان من الخشب المصفح بالبرونز [1] .

ظلت مدينة القدس منحصرة ضمن الأسوار قرابة ثلاثة قرون ، حتى أن علماء الآثار لم يعثروا ، بين حوادث عام (1859م) على ما يدل أنه كانت هناك يومئذ أية دار خارج السور معدة للسكن[2] .

و عندما تأسست المسكوبية (1858م) في موقعها الحالي المعروف يومئذ برأس الميدان و كثر الاتصال بين السكان ، فتحوا في كل باب كبير ثغرة سموها (الخوخة) . و كانوا يفتحونها للمضطرين ، و في عام (1858م) بدأت تظهر الدور و المنازل خارج السور عند المسكوبية ، و في عام (1868م) ظهرت أعداد أخرى من المنازل المعدة للسكن تبنى على الطريق المعروفة بطريق ماملا ، أما سنة (1881م) فقد أنشأت عدد من العمارات خارج السور ، و بدلك بدأت مدينة القدس في التوسع[3] .

ومع تزايد عدد سكان المدينة باستمرار لم يعد موضع المدينة القديم يستوعب السكان والمباني السكنية داخل السور ، فانتشر العمران خارج السور وظهرت الأحياء الحديثة التي تعرف بالقدس الجديدة ، إضافة إلى الضواحي التي التحقت بالمدينة .

و من بين الرحالة الدين وصفو بيت المقدس في فترة حكم العثمانيين الرحالة س.ف. فولني الذي زارها عام (1783م) فذكرها قائلا :" و بعد مسير يومين من نابلس جنوبا ... يصل المرء إلى مدينة تعد شاهدا ناطقا لتقلبات الزمان ... فإذا ما رأينا أسوارها المهدمة و خنادقها المردومة [4]

---

[1]– تاريخ القدس و حاضرها ، عزت جرادات ، ص 65 .

[2]– المفصل في تاريخ القدس ، عارف العارف ، ص 463 .

[3]– المرجع نفسه ، ص 464 .

[4] موسوعة بيت المقدس و المسجد الأقصى ، محمد محمد حسن شراب ، ص 766 .

و الأنقاض المكتظة بها محيطها صعب علينا أن نصدق أنها هي أورشليم تلك العاصمة الشديدة البأس التي قاومت في غابر الزمان جيوش أعظم المماليك ... و مما يحمل على العجب كونها قائمة على بقعة وعرة ناحلة قاحلة ... تحدق بها الأودية و المنخفضات و الهضاب "[1] .

أما الرحالة " وليم لينش " فقد وصف القدس عام (1848م) قائلا :" أما المدينة (أي القدس) فليس لها الآن إلا أربعة بوابات هي : باب دمشق (باب العمود) الذي يواجه الطريق الشمالي الكبير ... ، و بوابة القديس إستيفان (باب الأسباط) من ناحية الشرق ، و بوابة صهيون إلى الجنوب على قمة الجبل ، و قد أغلق الأتراك الباب الذهبي فبنو جدارا في داخله "[2] .

و وصفها الرحالة "و.م. تومسون "في رحلته التي قام بها عام (1857م) إلى القدس قائلا بدوره : " و المدينة المقدسة محاطة بأسوار أعاد بناءها السلطان سليمان القانوني سنة (948هـ/1542م) و يتراوح عرض هده الأسوار من 10 إلى 15 قدما و ارتفاعها من 25 إلى 40 قدما ، بحسب طبيعة الأرض ، و انخفاضها هنا و ارتفاعها هناك ، و لهده الأسوار زوايا و أبراج و مواقع دفاعية و يبلغ طولها 4326 ياردة . و في الوقت الحالي توجد للمدينة خمس بوابات : باب الخليل(أو يافا أو بيت لحم) من ناحية الجنوب "[3] .

" و هو بالقرب من القلعة ، باب دمشق (باب العمود) من ناحية الشمال ، باب القديس استيفان (باب الأسباط) من الشرق ، باب المغاربة يؤدي إلى سلوان ، و باب النبي داود من ناحية الغرب ."[4]

أما الرحالة "وليم هـ.دكسون" فقد وصف أحد بوابات القدس فقال : " لبوابة القدس جمال ساحر ، قوس عالية و برج فخيم في وسط السور و نافورة إسلامية يتدفق منها الماء إلى حوض من المرمر ، و فوقها نقشت بماء الذهب آية من القرآن الكريم "[5] .

---

[1]– موسوعة بيت المقدس و المسجد الأقصى ، محمد محمد حسن شراب ، ص 766 .

[2]– أسفار في فلسطين ، سليمان موسى ، ص 100 .

[3]– المرجع نفسه ، ص 173 .

[4]– أسفار في فلسطين ، سليمان موسى ، ص 173 .

[5]– المرجع نفسه ، ص 183 .

و يصفها الرحالة ' أندروتومسون ' بدوره سنة 1869م قائلا :" تقوم المدينة داخل سور يتراوح ارتفاعه من 25 إلى 50 قدما ، تبعا لارتفاع مستوى الأرض التي أقيم عليها السور أو انخفاضه . و للسور أبراج و حصون و كوى (طلاقيات) على مسافات منتظمة ، و تتخلله بوابات تخضع للحراسة الدائمة و تغلق بانتظام عند غروب الشمس ، و جدار السور عريض في أماكن متعددة بحيث يسهل الوقوف و السير عليه . و بوابات السور عريض يخرج الناس منها و يدخلون ، و تستمد اثنان من هده البوابات اسميهما من اسمي المدينتين اللتين يتجه الدين يغادرون المدينة إلى هده أو تلك منهما ، فهي بوابة يافا (باب الخليل) في الجهة الغربية ، و هده بوابة دمشق (باب العمود) في الجهة الشمالية . أما البوابتان الأخريان فهما بوابة القديس "إستيفان" في جهة الشرق (باب الأسباط) و بوابة النبي داود في الجنوب .

و للمدينة بوابات أخرى يجري استعمالها بصورة جزئية، نذكر منها باب المغاربة الذي يطلق عليه في الإنجليزية اسم (Dung Gate) "[1] .

" لأن نفايات المدينة ما تزال تنقل من خلاله لتلقى خارجا من طرف وادي "قدرون "، و السور الحالي أنشأه سليمان القانوني في القرن السادس عشر ، على أساس السور القديم ، و تتألف القدس في الوقت الحاضر من أربعة أحياء ، الحي الإسلامي و الحي اليهودي و حي الروم و حي اللاتين ."[2]

وأشار أحد الرحالة الأجانب الدين زاروا بيت المقدس خلال القرن التاسع عشر (عام 1832م) إلى الشوارع التي كانت موجودة فيها أنداك ، فذكر ثلاثة شوارع رئيسية :

1 شارع باب العمود (حارة باب الحمود) وهي غير منتظمة (تفصل المدينة من الشمال إلى الجنوب) .[3]

---

[1]– أسفار في فلسطين ، ج س بكنجهام ، ص 229 .

[2]– أسفار في فلسطين ، ج س بكنجهام ، ص 230 .

[3] Ibit pelerinage à jerusalem et à mont sinaii en 1831 ;1832 ; 1833 , marie josephe de gèramb , p 80

2 : حارة الحلم وهي أكثر انتظاما من السابقة ، وتبدأ من باب سانتيتيان (لعله يقصد باب الأسباط)، وتمر أمام قصر بيلاطس ، لتصل إلى تل الصلوبية (وهو يوجد في الغرب) .

3 : شارع البازار الكبير (سوق الخبيز) :كما يذكر أيضا الشوارع الصغيرة الأخرى ، ومن بينها :

شارع المسيحيين (حارة النصارى): وهو الحارة التي تقود من كنيسة القيامة إلى دير اللاتين (دير المخلص) .

شارع الأتراك : وهي حارة المسلمين .

شارع الأرمن : حارة الأرمن وهي تقع غرب حصن داود .[1]

شارع المعبد : ولعله يقصد المسجد الأقصى ، حارة باب هوتا .

الشارع الشعبي (حارة الزهارة) ويسكن هده الحارة الفقراء .

شارع التونسيين (حارة المغاربة) وعدد التونسيين في هده الحارة كبير ، ويقال أنهم يعودون إلى أصل ، الجماعة الدين طردهم الملك " فيرناند " من إسبانيا .

شارع اليهود : أو حارة اليهود ، أين يوجد متاجر الجزارين ، وهدا الشارع هو من أوسخ الشوارع الموجودة في المدينة ، وفيه يجتمع اليهود حيث يقومون بطقوسهم الدينية .[2]

لقد وصف هدا الرحالة شوارع وحارات بيت المقدس ، ومن أهم ملاحظاته أن حارة اليهود كانت من الحارات الأكثر وساخة ، وقد شاطره الرأي الرحالة الأمير ردولف الذي ذكر نفس الملاحظة في رحلته .

---

[1] dM ibit pelerinage à jerusaleme et à mont sinaii en 1831,1832, 1833 , marie josephe de géramb , p 80

[2] المصدر نفسه ، ص 81

-أهم المعالم المعمارية في بيت المقدس :

مدينة القدس حافلة بالمباني الأثرية الإسلامية النفيسة ففيها ما يقرب من مئة بناء أثري منها : المساجد و المدارس و الزوايا و التكايا و الربط و المقابر و التحصينات و غيرها من المباني الكثيرة المذكورة في كتب التاريخ ، و أهم هده المعالم[1] :

- **لمسجد الأقصى:**

و المسجد الأقصى ببيت المقدس سمي أقصى لأنه أبعد المساجد التي تُزار، و قيل : لبعد المسافة بين المسجدين .

تعددت الروايات حول الجذور التاريخية الأولى لبناء المسجد الأقصى منها :

1. أن الملائكة هم الدين بنو المسجد الأقصى بأمر من الله تعالى ، بعد أن قاموا ببناء المسجد الحرام قبله بحوالي أربعين سنة ، استنادا إلى ما رواه البخاري في صحيحه .
2. يرى بعض العلماء في تاريخ المسجد الأقصى و قداسته ، إلى ارتباط البناء من عهد آدم عليه السلام الذي بنى المسجد الحرام و المسجد الأقصى و يحتمل أن يكون ولده قد بنى المسجد الأقصى بعده .
3. كما يرى البعض الآخر أن بقعة المسجد الأقصى هي البقعة ذاتها التي كان الملك الكنعاني اليبوسي ملكي صادق قد خصصها لعبادة ربه و كان يقدم الذبائح له طلبا للرحمة[2] .

و هناك رواية تذكر أن سليمان عليه السلام هو الذي بنى المسجد لأقصى ، و لكن أغلب العلماء يفندون هده الرواية[3] .

و الأمر المؤكد هنا ه أنه من الخطأ القول إن عبد الملك ، أو ابنه الوليد بنى المسجد الأقصى ، و الصحيح أن الوليد من عبد الملك جدد بناء المسجد الأقصى ، أو أقام قواعده ، أما الأساس فهو قديم قبل داود ، و سليمان ، و إبراهيم[4] .

---

[1]- قصة مدينة ، يحي فرحان ، ص 63 .

[2]- تاريخ القدس عبر العصور ، إسحاق رباح ، ص 339 .

[3]- المرجع نفسه ، ص 340 .

[4]- موسوعة بيت المقدس و المسجد الأقصى ، محمد محمد حسن شراب ، ص 939 .

و أول مرة يوصف مسجد القدس بالأقصى في القرآن الكريم ، في أول سورة الإسراء [1] و قوله تعالى : (إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله)[2] .

و هدا دليل على أن المكان كان موجودا قبل ليلة الإسراء ، و قد كان مخصصا لعبادة الله سبحانه . و لكن البناء لم يكن معروفا بالمسجد الأقصى و إنما سمي بالمسجد لأنه مكان للعبادة[3] .

و أول بناء أقيم على أرض المسجد الأقصى (الحرم القدسي) هو ما يسمى في التاريخ (مسجد عمر) و لم يذكر المؤرخون المسلمون الأولون شيئا عن المسجد الذي بناه عمر بن الخطاب يوم فتح القدس . و المرجح أنه بني في موقع المسجد الأقصى[4] .

و أول بناء كبير تم في ساحة المسجد الأقصى (الحرم القدسي) كان في زمن دولة بني مروان ، و المرجح أنه تم في زمن الوليد بن عبد الملك الذي تولى الخلافة سنة(86ه/96ه). و تؤكد هدا الرأي مجموعات من أوراق البردي تضم رسائل تذكر نفقات العمال الدين كانوا يتولون بناء مسجد القدس ، و تدل هده الأوراق بصورة قاطعة على أن العمل في بناء المسجد كان جاريا حوالي سنة (90ه/709م) و هدا يؤكد أن باني المسجد هو الوليد بن عبد الملك[5] .

و أول من ذكر هدا المسجد الرحالة المقدسي عام (1985م) أي بعد بناء هدا المسجد بحوالي ثلاثة قرون ، و هو الذي عاش ما بين العصر العباسي و الفاطمي ، و يقدم المقدسي المسجد الأقصى بالنمط الذي بناه الخليفة العباسي المهدي سنة (163ه) ، و دلك بعد الهزة الأرضية التي ضربت القدس عام (154ه) ، لكن ما قدمه المقدسي نجده يختلف عن النمط الأموي الذي بناه عبد الملك ، و يذكر المقدسي أن المهدي قد قلل من طول المسجد و عرضه عن دلك النمط الأموي[6] .

---

[1]- موسوعة بيت المقدس والمسجد الأقصى ، محمد محمد حسن شراب ، ص 941 .

[2]- سورة الإسراء ، الآية 1 .

[3]- تاريخ مدينة القدس ، معين أحمد محمود ، ص 175 .

[4]- موسوعة بيت المقدس و المسجد الأقصى ، محمد محمد حسن شراب ، ص 942 .

[5]- المصدر نفسه ، ص 943 .

[6]- القدس في العصر البيزنطي و الإسلامي (364ه – 1917 م) ، إبراهيم الفني ، ص 149 .

لكن المقدسي قدم لنا اسما للمسجد حيث يقول أنه (المغطى) أي أنه كان مسقوفا ، له ساحة غير مسقوفة و كان لهدا المسجد ستة و عشرون بابا خمسة عشر بابا منها في الجهة الشمالية يتوسطها باب النحاس العظيم ، سبعة أبواب عن يمينه و سبعة عن شماله ، أما الأحد عشر بابا الأخرى فكانت في الجهة الشرقية . كما ذكر أنه في أقصى الشرق كان يوجد بوابة ثلاثية و في مقدمتها كان ثلاثة مداخل ، كما تحدث عن أروقة طويلة قائمة في الجهة الجنوبية[1] .

و يقدم المقدسي إحصائية جغرافية عن المسجد الأقصى حيث يقول :" طول المسجد ألف ذراع (بذراع الملك)و عرضه سبعمائة و فيه أربعة آلاف خشبة و سبعمائة عامود رخام ، و على السطح خمسة و أربعون ألف شقفة رصاص "[2] .

و في زمن الفاطميين قال ابن عساكر :" كان فيه في دلك الوقت من الخشب المسقف ، سوى أعمدة خشب ، ستة آلاف خشبة ، و فيه من الأبواب خمسون بابا " و قال القرطبي :" منها باب داود ، و باب سليمان و باب حطة ، و باب محمد ، و باب التوبة ، و باب الرحمة ، و أبواب الأسباط ستة أبواب ، و باب الوليد ، و باب الهاشمي ، و باب الخضر ، و باب السكينة . و كان فيه ستمائة عمود من رخام ، و فيه من المحاريب سبعة . و من السلاسل للقناديل أربعمائة سلسلة إلا خمس عشرة ، منها مائتا سلسلة و ثلاثون سلسلة في المسجد الأقصى (المسجد المسقوف) و الباقي في قبة الصخرة . و درع السلاسل أربعة آلاف ذراع ، و وزنها ثلاثة و أربعون رطل ، و فيه من القناديل خمسة آلاف قنديل "[3] .

---

[1]- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، المقدسي ، ص 146 .

[2]- المصدر نفسه ، ص 147 .

[3]- موسوعة بيت المقدس و المسجد الأقصى ، محمد محمد حسن شراب ، ص 949 .

و كان يسرج مع القناديل ألفا شمعة في ليلة الجمعة و في ليلة النصف من رجب و شعبان و رمضان و في ليلتي العيدين ، و فيه من القباب خمس عشرة قبة ، و على سطح المسجد من شقف الرصاص 7700 شقفة ، و وزن الشقفة سبعون رطلا . و فيه من الصهاريج (آبار لجمع ماء السماء) أربعة و عشرون صهريجا و فيه من المنابر أربعة ، ثلاثة منها في صف واحد غربي المسجد وواحدة على باب الأسباط " . كما ذكر أن طول المسجد الأقصى 700 ذراع و عرضه 400 ذراع ، و هدا القياس أواخر القرن 6 ه[1] .

و أما طوله و عرضه منتصف القرن 8 ه (757هـ-1356م) فقد ذكره صاحب كتاب (مثير الغرام بفضائل القدس و الشام) فقال :" أتيت إلى زيارة القدس و الشام و رأيت بلاطة بالحائط الشمالي فوجدت أن طوله – طول المسجد الأقصى – 700 ذراع و 84 ذراعا ، و عرضه 400 ذراع و 75 ذراعا "[2] .

كما ذكره المقريزي فقال :" و المسجد الأقصى ... و ه في طرف الشرق من المدينة ، أساسه من عمل داود عليه السلام ، طول كل حجر عشرة أدرع ، و في قبلته حجر أبيض عليه مكتوب : محمد رسول الله ، خلقة لم يكتبه أحد ، و صحن المسجد طويل عريض طوله أكثر من عرضه ، و ه في غاية الحسن و الإحكام ، مبني على أعمدة الرخام الملونة ، و الفسيفساء الذي ليس في شيء من البلاد أحسن منه ، و في صحن المسجد مصطبة كبيرة في ارتفاع خمسة أدرع ، يصعد إليه من عدة مواضع بالدرج "[3] .

" و طول المسجد 700 ذراع و 480 ذراع ، و عرضه 455 ذراع ، و فيه من الأعمدة 684 عمودا "[4] .

---

[1]– موسوعة بيت المقدس والمسجد الأقصى ، محمد محمد حن شراب ، ص 950 .

[2]– مثير الغرام إلى زيارة القدس و الشام ، شهاب الدين أبي محمود ابن تميم المقدسي ، تحقيق أحمد الخطيمي ، دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الأولى ، (1415 ه / 1994 م) ، ص 177 .

[3]– آثار البلاد و أخبار العباد ، القزويني ، ص 161 .

[4]– المصدر نفسه ، ص 162 .

و يذكر الرحالة الإدريسي المسجد الأقصى في رحلته الموسومة بـ (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) فيقول :" و قصدت شرقا ألفيت البيت المقدس الذي بناه سليمان بن داود عليه السلام و كان مسجدا محجوجا إليه في أيام اليهود ثم انتزع من أيديهم و أخرجوا عنه إلى مدة الإسلام ... و هو المسجد الأعظم عندهم و ليس في الأرض كلها مسجد على قدره إلا المسجد الجامع بقرطبة ... و فيما يذكر أن مسقف جامع قرطبة أكبر من مسقف المسجد الأقصى ، و صحن المسجد الأقصى هو تربيع طوله مائتا باع في عرضه مائة و ثمانين باعا نصفه مما يلي المحراب مسقف بأقباء صخر على عمد كثيرة صفوفا ،و النصف الثاني صحن لا سقف له . و تخرج من هدا المسجد أيضا شرقا فتصل إلى باب الرحمة المغلق كما قدمنا و بالقرب من هدا الباب باب آخر مفتوح يعرف بباب الأسباط عليه الدخول و الخروج "[1].

كما يقدم الرحالة ' ناصر خسرو ' وصفا تفصيليا مدهشا للمسجد الأقصى فيقول :" و المسجد الأقصى يقع في شرقي المدينة مع السوق ، و مساحته مسجلة على الحجر "[2] ، " و هي 754 ذراعا في 455 ذراعا ، و واجهته من جهة السوق (الغربية) رواق عظيم جميل ، ارتفاعه 30 ذراعا و عرضه 20 ذراعا ، فوقه قبة كبيرة من الحجر المصقول ، و له جناحان (مجنبتان) واجهتاهما و إيوانه منقوشة كلها بالفسيفساء التي تبهر الناظرين .

و للرواق بابان يسميان باب داود ، مزخرفتان ، و واجهاتهما من النحاس الدمشقي المطعم بالذهب ، و المحلى بالنقوش الكثيرة و هناك مصليات عديدة ، و محاريب جميلة ، و صوامع للصوفية .

و الجزء المسقوف من المسجد حيث المقصورة ، طوله 420 ذراعا و عرضه 150 ذراعا ، و سقفه مرفوع على عمد الرخام التي تحمل عقود الحجارة ، و بين كل عمودين 6 أدرع هي اتساع البلاطات[3]

---

[1]- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، الإدريسي ، مج 1 ، مكتبة الثقافة الدينية ، (1422هـ/2002) ، ص 360 .

[2]- سفر نامة ، ناصر خسرو، ص 68.

[3] المصدر نفسه ، ص 69

و المقصورة مؤزرة بالرخام ، و عليها قبة عظيمة جدا منقوشة بالميناء و محرابها كبير منقوش هو الآخر بالميناء ، و على جانبيه عمودان من الرخام الأحمر كأنه العقيق ، و على يمين المحراب و يساره محرابا "[1] .

" معاوية و عمر ، و سقف المسجد مكسو بالخشب المنقوش المحلي بالزخارف ، و للمسجد 15 بابا ، عشرة منها مطلة على الساحة على امتداد الحائط الطولي ، و أحدهما قد زين غاية الزينة فكأنه من دهب ، و قد نقش بالفضة ، و كتب عليه اسم الخليفة المأمون و يقال أنه أرسله من بغداد ، و أرضية المسجد مستوية رغم أن أرض بيت المقدس ليست كذلك ، الأمر الذي ترتب عليه أن حيطان المسجد تطول و تقصر ، من 5 أدرع إلى 20 ذراعا ، تبعا لطبيعة الأرض "[2] .

و يذكر الهروي الذي زار القدس سنة (569هـ/1173 م) أي أثنا الاحتلال الصليبي ، عن المسجد الأقصى بعض الأمور من بينها أن الفرنجة أجروا تغييرات كثيرة عل المباني في المسجد الأقصى ، و أن هدا التغيير لم يطل محراب عمر بن الخطاب ، كما يذكر أنه قرأ نقشين في المسجد الأقصى ، الأول من سورة الإسراء ، أما النقش الثاني فإن تاريخه يعود إلى سنة (426 هـ)[3] .

و يذكر الهروي أيضا أنه شاهد الإسطبل الذي قالوا عنه إسطبل سليمان ، لكنه قدم مفهوما جديدا ، عن التسوية الشرقية للمسجد الأقصى و التي أصبحت موقعا عسكريا يوفر الحماية لهده المنطقة التي كان الصليبيون يخشونها حتى و هم يحتلونها[4] .

و الأمر الملاحظ من خلاف حول طول المسجد و عرضه عند كل من المقدسي و خسرو ، و الهروي أن أحدهم استخدم الخطوة و آخر استخدم الذراع الملكي ، قياس الخطوة يساوي (91 سم) بينما الذراع الملكي يساوي (56 سم)[5] .

---

[1]– سفر نامة ، ناصر خسرو ، 68.

[2]– العمارة والفنون في دولة الإسلام ، سعد زغلول عبد الحميد ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ، ص 54.

[3]– القدس في العصر البيزنطي و الإسلامي (364هـ – 1917 م) ، إبراهيم الفني ، ص 154 .

[4]– المرجع نفسه ، ص 155 .

[5]– القدس في العصر البيزنطي و الإسلامي (364هـ/ 1917م) ، إبراهيم الفني، ص 156 .

أما صفته (المسجد الأقصى) حسب مجير الدين الحنبلي فهي كالآتي :" أما صفته في هدا العصر (أي العصر الذي عاش فيه مجير الدين الحنبلي) فهي أيضا من الصفات العجيبة ، لحسن بنائه و إتقانه ، فاشتمل على بناء عظيم، به قبة مرتفعة مزينة بالفصوص الملونة ، و تحت القبة : المنبر و المحراب "[1] .

" هدا الجامع ممتد من جهة القبلة إلى جهة الشمال ، و هو سبعة أكوار متجاورة و مرتفعة على العمد الرخام و السواري ، فعدة ما فيه من العمد خمسة و أربعون عمودا ، منها ثلاثة و ثلاثون من الرخام و منها اثنا عشر مبنية بالأحجار ، و هي التي تحمل الجملون . و العمود الثالث عشر مبني عند الباب الشرقي تجاه محراب زكريا ، و عدة ما فيها من السواري المبنية بالأحجار ، أربعون سارية و سقفه في غاية العلو و الارتفاع . فالسقف مما يلي القبلة من جهتي المشرق و المغرب مسقف بالخشب ، الأوسط منها الجلمود و هو أعلاها و اثنان و هما إلى جانب الجلمود من الشرق و الغرب دونه (أي دونه في العلو) "[2] .

" و بقية الأكوار و هي أربعة : اثنان من جهة المشرق و اثنان من جهة المغرب ، معقود دلك بالحجر و الجير ، و على القبة و الجلمود و السقف الخشب رصاص من ظاهرها . و صدر الجامع القبلي و بعض الشرقي مبنيان بالرخام الملون ،و المحراب الكبير الذي هو في صدره إلى جانب المنبر من جهة الشرق يقال " أنه محراب داود ، و يقال أن محراب داود إنما هو الذي بظاهر الجامع المبني من السور القبلي من جهة الشرق بالقرب من مهد عيسى "[3] .

" و درع هدا الجامع الذي عند القبلة في الطول من المحراب الكبير إلى عتبة الباب الكبير المقابل له : مائة ذراع ... و عرضه من الباب الشرقي الذي يخرج منه إلى جهة مهد عيسى إلى الباب الغربي ستة و سبعون ذراعا بذراع العمل . و بداخل هدا الجامع من جهته الشرق مجمع معقود .[4]

[1]– الأنس الجليل في تاريخ القدس و الخليل ، مجير الدين الحنبلي ، ص 283 .

[2]– المصدر نفسه ، ص 280 .

[3]– المصدر نفسه ، ص 281 .

[4]المصدر نفسه ، ص 284 .

بالحجر و الجير به محراب ، و يقال لهدا المجمع (جامع عمر) و دلك لان هدا البناء من بقية بناء عمر بن الخطاب الذي بناه عند الفتح . و يقال بأن المحراب الذي بداخل هدا المجمع ه محراب عمر و الأكثرون على أن محراب عمر إنما هو المحراب الكبير المجاور للمنبر المقابل للباب الكبير الذي من جهة الشمال ، و إلى جانب هدا المجمع من جهة الشمال إيوان كبير معقود يسمى مقام عزير ، و به باب يتوصل منه إلى جامع عمر . و بجوار هدا الإيوان من جهة الشمال إيوان لطيف به محراب يسمى (محراب زكريا) ، و ه بجوار الباب الشرقي ، و بداخل المسجد من جهة الغرب مجمع كبير معقود بالأحجار الكبار ، و هو كوران ممتدان شرقا بغرب و يسمى جامع النساء ، و هو عشر قناطر على تسع سواري في غاية الإحكام ... و المنبر الموضوع بصدر الجامع من الخشب ، و هو مرصع بالعاج و الأنبوس ، و هو الذي عمله السلطان نور الدين زنكي بحلب "[1] .

" و للأقصى عشرة أبواب ، يدخل منها إليه من صحن المسجد ، سبعة منها في جهة الشمال ، و كل باب منها ينتهي إلى كور من الأكوار السبعة ، و بظاهر الأبواب السبعة رواق على سبع قناطر ، كل باب قبالة قنطرة ، و بها أربعة عشر عمودا من الرخام مبنية في السواري ، و باب من جهة الشرق ، و هو الذي ينتهي إلى جهة (مهد عيسى) ، و باب من جهة المغرب ، و الباب العاشر و هو الذي يدخل منه إلى المكان المعروف بجامع النساء "[2] .

" و بداخل الأقصى عن يمين الداخل (بئر الورقة) ، و أما درع المسجد الأقصى أي قياسه فقد قيس بحضوري بالجبال : فكان طوله قبلة بشمال من السور القبلي عند المحراب إلى صدر الرواق الشمالي عند باب الأسباط (660) ذراعا (بذراع العمل) ، و عرضه شرقا بغرب من السور الشرقي المطل على مقابر باب الرحمة إلى صدر الرواق الغربي الذي هو أسفل المدرسة التنكزية (406) ذراعا بذراع العمل "[3] .

---

[1]– الأنس الجليل في تاريخ القدس و الخليل ، مجير الدين الحنبلي ، ص 284 .

[2]– المصدر نفسه ، ص 283 .

[3]– المصدر نفسه ، ص 281 .

و يذكر مجير الدين الحنبلي أن المسجد الأقصى من جهتي القبلة و الشرق ينتهي إلى البرية فالجهة القبلية مشرفة على يمين عين سلوان و غيرها . و الجهة الشرقية المشرفة على (طور زيتا) و وادي جهنم و غيرها ، أما المنازل فهي تحيط بالأقصى من جهة الغرب و الشمال فقط ، كما يضيف قائلا : " أن ما يوقد بالأقصى أنداك من المصابيح في كل ليلة وقت العشاء ووقت الصبح ، ففي داخل المسجد و على أبوابه 750 قنديلا "[1] .

و قد تشابه أوصاف المسجد الأقصى لدى بعض الرحالة فمثلا وصف الرحالة العبدري المسجد الأقصى قائلا :" و له أبواب كثيرة من الشرق و الغرب و الشمال لا أعلم له بابا قبليا سوى الباب الذي يدخل منه الإمام "[2] ، و عند ابن بطوطة الذي يقول عنه :" و لو هده أبواب كثيرة في جهاته الثلاث ، فأما الجهة القبلية منه فلا أعلم بها إلا بابا واحدا ، و هو الذي يدخله الإمام "[3] .

و يذكر ابن عبد ربه في العقد الفريد فيقول :" طول المسجد سبع مئة ذراع و أربع و ثمانون ذراعا ، و عرضه أربع مئة ذراع و خمس و خمسون ذراعا بذراع الإمام . و يسرج في المسجد ألف قنديل و خمس مئة قنديل ، و عدة ما فيه من الخشب ستة آلاف خشبة و تسع مئة خشبة ، و عدد ما فيه من الأبواب خمسون بابا ، و عدد ما فيه من العمد ستة مئة و أربعة و ثمانون عمودا "[4] .

---

[1]– الأنس الجليل في تاريخ القدس و الخليل ، مجير الدين الحنبلي ، ص 286 .

[2]– أدب الرحلات الأندلسية و المغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري ، نوال عبد الرحمن شوابكة ، ص 289 .

[3]– ابن بطوطة ، ابن بطوطة ، ص 69 .

[4]– العقد الفريد ، ابن عبد ربه ، حققه و شرحه و عرف أعلامه محمد التونجي ، دار المدار الثقافية ، البليدة ، الطبعة الأولى ، 1495 هـ/ 2009 م ، ص 274 .

كما أشار إلى المسجد الأقصى المقري التلمساني في نفح الطيب فقال :" فلما دخلت المسجد الأقصى ، و أبصرت بدائعه التي لا تستقصي ، بهرني حماله الذي تجلى الله به عليه ، و سألت محل المعراج الشريف فأرشدت إليه ، و شاهدت محلا أم فيه صلى الله عليه و سلم الرسل الكرام الهداة "[1] .

و من بين الرحالة الأجانب القلائل الدين أشاروا إلى المسجد الأقصى ' الأمير ردولف ' حيث قال : " و الحرم الشريف عبارة عن مساحة واسعة محوطة بالأسوار ... و المعلم الأساسي بينهما ه المسجد الأقصى المتسم بكثير من الجمال ، و كان كنيسة تم بناؤها في عهد الإمبراطور جستنيان تخليدا لذكرى مريم العذراء و بعد دلك جعله عمر بن الخطاب رضي الله عنه مسجدا "[2] .

ب) قبة الصخرة :

تعتبر قبة الصخرة إحدى أهم المعالم الإسلامية في العالم لعوامل عدة ، منها : قدسيتها و مكانتها الدينية عند المسلمين ، كما أنها تمثل أقدم نموذج في العمارة الإسلامية ، و هي لوحة فنية و جمالية رائعة تطوي بين زخارفها بصمات الحضارة الإسلامية طوال عصورها المتتابعة ، و لدلك فقد جلبت انتباه الباحثين الزائرين و اهتمامهم من بقاع الدنيا كلها ، لما امتازت به من تناسق و انسجام بين عناصرها المعمارية و الزخرفية حتى اعتبرت آية في فن الهندسة المعمارية[3] .

---

[1]– نفح الطيب من غصن الأندلس الرطب و دكر وزيرها لسان الدين ابن خطيب ، المقري التلمساني ، ظبطه و علق عليه مريم قاسم طويل ، يوسف علي طويل ، مج 1 ، المعرفة الدولية للنشر و التوزيع ، طبعة خاصة ، الجزائر ، 2011 ، ص 60 .

[2]– رحلة الأمير ردولف إلى الشرق ، الأمير ردولف ، ص 49 .

[3]– تاريخ القدس و حاضرها ، عزت جرادات ، ص 54 .

لقد بدأ عبد الملك بن مروان ببناء مسجد الصخرة في بيت المقدس بع عام من توليه الخلافة ، في بداية عام (66هـ/685م) ، و قد تزامن مشروع البناء هدا مع التطورات السياسية التي نشبت بينه و بين الزبير في الحجاز ، فأن عبد الملك بن مروان لاشك أنه شيد صرحا عمرانيا لا مثيل له في حينه ، و بقي يشغل بال الرحالة و الباحثين حول الفنون المعمارية و الهندسية بالإضافة إلى المركز السياسي و الديني و الثقافي ، الذي شغله مسجدا الصخرة و الأقصى عبر العصور مند تأسيسها[1] .

و الأمر المرجح أن سبب بناءها أن عبد الملك بن مروان خشي أن تعظم كنيسة القيامة في أعين المسلمين ، و يبهرهم منظرها فيضعف إيمانهم هدا من جانب ، و من جانب آخر حاول عبد الملك أن ينشأ قطعة عمرانية فنية إسلامية يتباهى بها جميع المسلمين في الدنيا .

أنشئ مسجد قبة الصخرة في فنا مربع مفروش بالبلاط ، طوله من القبلة إلى الشمال (أي الفناء) أكثر من عرضه من الشرق إلى الغرب و ارتفاعه ثلاثة أمتار يصعد إليه بأدراج من الجهات الأربع ، و عقد على كل درج من أعلاه قناطر هيفاء دعمته عمد من الرخام ، و القبة على بناء فخم مثمن الشكل درع كل تثمينة منه تسعة و عشرون ذراعا و ثلث ذراع[2] .

و قد بدأ عبد الملك بإقامة قبة الصخرة كي تكون قاعدة نمطية تمثل الفكر الإسلامي ، فمهندسو عبد الملك ، "رجاء بن حيوة الكندي "و" يزيد بن سلام "قد نفذوا ما أراده الخليفة من أن يقام على أرض القدس و فلسطين من قراءة هندسية لنمط قبة الصخرة يبرز أمامنا دلك الارتباط في العقيدة بداية بين الشكل الثماني الخارجي و الذي يظهر في أية أبنية عامة إلا في الصخرة عبر الرمزية لحملة العرش الإلهي[3] حيث نقرأ في القرآن : (و يحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية)[4] .

1- دراسات في تاريخ القدس الثقافي في العصر الوسيط ، حاتم محمد محاميد ، دار ورد الأردنية للنشر و التوزيع ، الطبعة الأولى ، 2009 م ، ص 21 .

2- موسوعة بيت المقدس و المسجد الأقصى ، محمد محمد حسن شراب ، ص 963 .

3- فسيفساء قبة الصخرة ، إبراهيم الفني ، ص 39 .

4- سورة الحاقة ، الآية 17 .

و بما أن معجزة المعراج ربطت ما بين السماء و الأرض فإن قاعدة عبد الملك لم تكن مخالفة للعقيدة ، بل قام بالربط بين العلم و العقيدة[1] .

و يقول علي بن الحسين الهروي و هو سائح فارسي متصوف عن الصخرة : في القدس قبة الصخرة ، و هو موضع به عرج النبي ، و الصخرة التي عرج عليها ، و قدمه عليها ، و هده الصخرة رأيتها في زمن الإفرنج ، شمالي هده القبة ، و دايرها (أي حوالي) درابزين من حديد ... و تحتها مغارة الأرواح ، و ذكروا أن أرواح المؤمنين يجمعها الله بها[2] .

و قال المقدسي الذي يتباهى ببلده عن قبة الصخرة :" و في الوسط قبة الصخرة على بيت مثمن بأربعة أبواب كل باب يقابل مرقاة : باب القبلة ، باب إسرافيل ، باب الصور ، باب النساء يفتح إلى الغرب جميعها مذهبة ... ، و القبة ثلاثة ساقات : الأولى من ألواح مزوقة و الثانية من أعمدة الحديد قد شبكت لئلا تميلها الرياح ، ثم الثالثة من خشب عليها الصفائح . و في وسطها طريق إلى عند السفود ، يصعدها الصناع لتفقدها و رمها . فإذا بزغت عليها الشمس أشرقت القبة ، و تلألأت المنطقة ، و رأيت شيئا عجيبا . و على الجملة لم أرى في الإسلام و لا سمعت أن في الشرق مثل هده القبة "[3] .

و يذكر ابن الفقيه الذي كتب عن القدس في القرن التاسع ، أي في العصر العباسي وجود ستة موازين في قبة الصخرة ، و يقول :" أنه قد تم إضافة اثنين إلى تلك الأربعة التي كانت قائمة " ، و ذكر المقدسي تلك الموازين في النصف الثاني من القرن العاشر فقال :" أن أمام كل باب من أبواب الصخرة الأربعة كان يوجد مدخل مدرج يدخل منه الناس عن طريق الصعود إلى باحة الصخرة المشرفة لكن حول تسمية هده المداخيل الأربعة و التي كما يقول المقدسي أن المدخل الجنوبي كان .[4]

---

[1]– فسيفساء قبة الصخرة ، إبراهيم الفني ، ص 39 .

[2]– تاريخ القدس عبر العصور ، إسحاق رباح ، ص 349 .

[3]– أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، المقدسي ، ص 146 .

[4] القدس في العصر البيزنطي و الإسلامي (364 / 1917م) ، إبراهيم الفني ، ص 211 .

يسمى بمدخل (إسرافيل)الملاك أما المدخل الشرقي فكان يدعى (السور) أما المدخل الذي يوجد في الجهة الشمالية فقد كان يدعى مدخل النساء ، فلو حاولنا أن نتعرف على تلك المداخيل من هده الأسماء لوجدنا أن الأسماء الكثيرة هي التي حيرت أو أربكت علماء الآثار و المؤرخين في تحديد الإضافات و الإصلاحات التي تمت على هده المداخيل "[1] .

كما جاء في مثير الغرام بفصائل القدس و الشام :" أنهم عندما بنو قبة الصخرة ، كانوا في كل اثنين و خمسين يطحنون الزعفران ، و يمزجونه بالمسك و العنبر و الماورد الجوري ، و يخمرون هدا المزيج ليلا ، و في الغداة يأمرون الخدام ، فيدخل هؤلاء الحمام ، فيغتسلون ، يتطهرون ، ثم يرتدون الثياب النظيفة و يأتون إلى المسجد الصخرة حاملين ما تخمر بالأمس .

و بعد أن يغسلوا الصخرة ، يأتون بمجامر الذهب و الفضة فيها العود و الند الممزوج بالمسك و العنبر ، فيرخون السور حول الأعمدة كلها ، ثم يحملون البخور ، و يدورون حول الصخرة ... و كان يقف على كل باب من أبواب المسجد عشرة من الحجاب ، و متى دخله المصلون شموا رائحة البخور و المسك و العنبر "[2] .

و قد وصف ابن الفقيه قبة الصخرة في كتابه (مختصر كتاب البلدان) فقال :" و القبة بناها عبد الملك بن مروان على اثني عشر ركنا و ثلاثين عمودا ، و هي قبة عليها صفائح الرصاص و صفائح النحاس مذهبة جدرانها من الداخل و ملبسة من الخارج بالرخام الأبيض "[3] .

---

[1]– القدس في العصر البيزنطي و الإسلامي (364هـ – 1917 م) ، إبراهيم الفني ، ص 211 .

[2]– مثير الغرام بفضائل القدس و الشام ، شهاب الدين أبي محمود ابن تميم المقدسي ، ص 100 .

[3]– تاريخ القدس عبر العصور ، إسحاق رباح ، ص 358 .

أما ابن عبد ربه فقد وصف قبة الصخرة قائلا :" و العمد التي داخل الصخرة ثلاثون عمودا ، و العمد التي خارج الصخرة ثمانية عشر عمودا ، و فيه الصخرة الملبسة صفائح الرصاص عليها ثلاثة آلاف صفحة و ثلاثمائة و اثنان و تسعون صفيحة ، و من فوق دلك صفائح النحاس مطلية بالذهب يكون عليها عشرة آلاف صفيحة ، و مائتا و عشر صفائح ، و جميع ما يسرج في الصخرة من القناديل أربعمائة قنديل و أربعة و ستون قنديلا بمعاليق النحاس و سلاسل النحاس "[1] .

و وصفها الإصطخري قائلا :" و على الصخرة قبة عالية مستديرة الرأس ، قد غشيت بالرصاص الغليظ السمك ، و ارتفاع هده الصخرة من الأرض إلى صدر القائم ، و طولها و عرضها ما متقارب ، و عليها حصار حائط ملوح ، و يكون نصف قامة ، و مساحة الحجر بضعة عشر ذراعا في مثلها "[2] .

و قال المقدسي بدوره عنها : " و في وسط قبة الصخرة على بيت مثمن بأربعة أبواب كل باب يقابله مرقاة : باب القبلة ، باب إسرافيل ، باب الصور ، باب النساء يفتح جميعها مذهبة ... و القبة ثلاثة ساقات : الأولى من ألواح مزوقة ، و الثانية من أعمدة الحديد قد شبكت لئلا تميلها الرياح ، و الثالثة من خشب عليها الصفائح ، و في وسطها طريق إلى عند السفود ، يصعدها الصناع لتفقدها و رمها ، فإذا بزغت عليها الشمس أشرقت القبة ، و تلألأت المنطقة ، و رأيت شيئا عجيبا و على الجملة لم أرى في الإسلام و لا سمعت أن في الشرق مثل هده القبة "[3] .

و يعتبر وصف ناصر خسرو لجامع قبة الصخرة أصدق وصف عند القدماء و أقربه إلى حقيقة الحال :" فقبة الصخرة بيت مثمن منتظم ، له أربعة أبواب مفتوحة على الجهات الأصلية الأربعة : شرقي و غربي و شمال و جنوبي ، و حوائطه مبنية بالحجر المنحوت ، ارتفاعها 20 ذراعا ،[4]

---

[1]– العقد الفريد ، ابن عبد ربه ، ص 274 .

[2]– تاريخ القدس عبر العصور ، إسحاق رباح ، ص 358 .

[3]– أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، المقدسي ، ص 146 .

[4] سفر نامة ، ناصر خسرو ، ص 73

و محيط الصخرة 100 ذراع ، و على جوانبها أربعة دعائم مربعة ، و بين كل دعامتين عمودان أسطوانيان ، فالقبة التي يبلغ محيطها 120 ذراعا مبنية على اثنا عشرة دعامة و عمودا ... أما عن الدعائم و الأعمدة التي تقسم المصلى إلى رواقين دائريين حول القبة فهي ثمانية دعائم من الحجارة المنحوتة ، بين كل اثنين "[1] .

" منها ثلاثة أعمدة من الرخام الملون ، و الحقيقة أنه يوجد هنا عمودان بين كل دعامتين ، فيكون خسرو قد أخطأ و وضع عمودين بين كل دعامتين تحت القبة بدلا من ثلاثة ، و وضع ثلاثة أعمدة بين كل دعامتين في رواق المصلى بدلا من اثنين ، و على تاج كل دعامة أربعة عقود ، و على كل عقد طاق ، و على كل عمود عقدان فوق كل منهما طاق . أما القبة فعظيمة تراها عن بعد فرسخ كأنها قمة جبل ، إذ يبلغ ارتفاعها من ساحة المسجد إلى قمتها اثنان و ستون ذراعا ، منها ثلاثين ذراعا للقبة ، و اثنا عشر ذراعا للبيت (القاعة المربعة) ، و عشرون ذراعا للأعمدة و الدعامات ، و الصخرة من حجر أزرق ، ترتفع من الأرض بمقدار قامة ، و قد أحيطت بسياج من الرخام . و بيت الصخرة مفروش بالسجاد الجميل من الحرير ، و به قنادل الفضة التي أمر سلطان مصر بصنعها ، و التي كتب على كل واحد منها وزنه "[2] .

كما استرعت قبة الصخرة انتباه الرحالة الإدريسي فذكرها في رحلته في قوله :" في وسط الجامع قبة عظيمة تعرف بقبة الصخرة المسماة بالواقعة ، و هو حجر مربع كالدرقة في وسط القبة ... و لهده القبة أربعة أبواب ، و الباب الغربي منه يقابله مذبح كان بنو إسرائيل يقربون عليه القرابين ، و بالقرب من الباب الشرقي من أبواب هده القبة ، المسماة قدس الأقداس ، و هي لطيفة القدر ، و القبلي منها يقابله المسقف الذي كان مصلى للمسلمين "[3] .

---

[1]- العمارة و الفنون في دولة الإسلام ، سعد زغلول عبد الحميد ، ص 56 .

[2]- المرجع نفسه ، ص 57 .

[3]- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، الإدريسي ، ص 360 .

أما الرحالة ابن بطوطة فوصفها كغيره من الرحالة فقال :" قبة الصخرة من أعجب المباني و أتقنها و أغربها شكلا ، لها أربعة أبواب ، و الدائر بها مفروش بالرخام ، و في ظاهرها و باطنها أنواع الزواقة الرائعة الصنعة ، و أكثرها مغشى بالذهب ... و هو يتميز بوصفه الدقيق للصخرة ، و المغارة تحتها حيث يوجد شكل محراب ، و عليها شباكان أحدهما من حديد و الآخر من خشب "[1] .

و قال مجير الدين عن قبة الصخرة :" و أما الصخرة الشريفة فهي في وسط المسجد على الصحن الكبير المرتفع عن أرض المسجد ، و عليها بناء في غاية الحسن و الإتقان و هي قبة مرتفعة علوها أحد و خمسون ذراعا بذراع العمل ، و هدا الارتفاع من فوق الصحن ، و أما على الصحن من أرض المسجد من جهة القبلة فهو سبعة أدرع فيكون ارتفاع القبة من أرض المسجد ثمانية و خمسين ذراعا . و هي مرتفعة على عمد من رخام و سواري مبنية في غاية الإحكام و الإتقان ، و عدة العمد الرخام اثنا عشر عمودا و السواري أربع و الصخرة الشريفة تحت هده القبة يحوطها درابزين من خشب ، و يحوط بالعمد و السواري الحاملة للقبة درابزين من حديد "[2] .

" و خارج القبة سقف مستدير من الخشب المدهون المذهب على عمد من رخام و سواري . عدة العمد ستة عشر عمودا و السواري ثمان و أرض القبة و حيطانها مبنية بالرخام باطنا و ظاهرا و مزينة بالفصوص الملونة في العلو من الباطن و الظاهر ، و البناء الذي حول القبة على حكم التثمين ، و درع دائرة في سعته من الباطن مائتا ذراع و أربعة و عشرون ذراعا ، و من الظاهر مائتا و أربعون ذراعا بذراع العمل ، و إن كان فيه نقص أو زيادة فهو يسير "[3] .

" و تحت القبة من جهة القبلة يتوصل إليها من سلم حجر ينزل منه إلى المغارة ، و عند وسط السلم صفة صغرى متصلة به من جهة الشرق يقف عليها الزوار ... و هناك عمود من رخام ملقى طرفه الأسفل على طرف الصفة من جهة القبلة مسندا إلى جدار المغارة القبلي و طرفه الآخر[4]

---

[1]– تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار ، ابن بطوطة ، ص 70 .

[2]– الأنس الجليل في تاريخ القدس و الخليل ، مجير الدين الحنبلي ، ص 283 .

[3]– المصدر نفسه ، ص 284 .

[4] المصدر نفسه ، ص 285

الأعلى مسند إلى طرف الصخرة كأنه مانع لها من الميل إلى جهة القبلة أو لغير دلك . و هده المغارة من الأماكن المأنوسة عليها الأبهة و الوقار و للبقية التي على الصخرة و للبناء المستدير حولها سقفان ، أحدهما من خشب هو المدهون المذهب ، ، و فوقه سقف آخر يعلوه الرصاص ، و بين السقفين خال متسع ، و لقبة الصخرة أربعة أبواب من الجهات الأربع ، فالباب القبلي هو المقابل للجامع الأقصى ، و عن يمنة الداخل منه المحراب ، و يقابله دكة المؤذنين على عمد من رخام في غاية الحسن ، و الباب الشرقي تجاه درج البراق قبالة قبة السلسلة ، و يسمى باب إسرافيل و الباب الشمالي هو المعروف باب الجنة ، و عنده البلاطة السوداء و الباب الغربي هو الذي يقابل باب القطانين "[1] .

و وصفها عبد الغني النابلسي عندما زار القدس سنة (1101هـ/1641 م) قائلا :" فأول ما زرنا الصخرة الشريفة ... و هي صخرة صولها نحو العشرة أدرع ، و عرضها نحو الخمسة أدرع ، و سمكها من جهة القدم الشريف نحو الذراعين ، و من الطرف الذي يقابله أقل من دلك بكثير ، و هناك محراب لطيف على أعمدة الرخام ، متصل بالداير الخشب الذي يحيط بالصخرة ، بحيث إن المصلى إليه يكون مستقبلا الكعبة و الصخرة الشريفين ... و يسمى هدا المحراب بمحراب (الخضر) ... ثم دخلنا تحتها بعد نزولنا إليه بأربع أو خمس درجات ، فصلينا ركعتين في تلك المغارة المباركة "[2] .

أما الأمير رودلف فقد ذكرها قائلا :" و المسجد الرئيسي قبة الصخرة يقع في وسط هده الساحة بقبته الشامخة و أروقته و أعمدته و صالته (صحنه) المثمنة أنه أحد أكثر المباني الإسلامية شهرة[3] ... و في وسط الساحة المثمنة ... توجد كتلة صخرية ضخمة أقيم المسجد حولها ، و هده الصخرة تعتبر خير شاهد على التشابه بين التراث الديني الشرقي ... "[4] .

1– الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل ، مجير الدين الحنبلي ، ص 285 .

2– موسوعة بيت المقدس و المسجد الأقصى ، محمد محمد حسن شراب ، ث 549 .

3– رحلة الأمير ردولف إلى الشرق ، ردولف ، ص 49 .

4– المصدر نفسه ، ص 50 .

و لا بد لنا من ذكر الكتابات الكوفية القديمة ، و آيات القرآن الكريم المنقوشة على الجدران بخط جميل ، و التي تشير للمسيح عليه السلام من وجهة نظر القرآن الكريم [1] . كما أشار إليها غرس الدين خليل بن شاهين فقال :" روى أنه كان في المسجد الأقصى من الخشب المسقف ستة آلاف خشبة ، و فيه من الأبواب خمسون بابا و من العمد الرخام ستمائة عمود و فيه من المحاريب سبعة و من سلاسل القناديل أربعمائة سلسلة إلا خمسة عشر و من القناديل خمسة آلاف قنديل و فيه من الأشياء العجيبة ما شرحه "[2] .

و يشير إليها القزويني فيقول :" حجر الصخرة ثلاثة و ثلاثون ذراعا في سبعة و عشرين ، و المغارة التي تحت الصخرة تسعمائة و تسعا و ستين نفسا ... و يسرج في الصخرة أربعمائة و أربعة و ستون قنديلا "[3] .

و لا يخفي العبدري إعجابه بقبة الصخرة فقال عنها :" و في وسط فضاء المسجد قبة الصخرة ، و هي من أعجب المباني الموضوعة في الأرض ... و تجلت في جمالها الرائع كعروس حسناء جليت على منصة قامت مشرفة متبرجة على يفاع ... و عن باطن القبة المثمنة يكمل قائلا : فيكل عن وصفه اللسان و يجار في حسنه إنسان ... تبهر الناطق أشعته الباهرة ، و تستوقف الخاطر محاسنه الظاهرة ، أسكرت العقول فصارت لها عقالا ، و كلت الألسن فما وجدت مقالا ، فاقت حسنا و كمالا "[4] .

---

[1]– رحلة الأمير ردولف إلى الشرق ، ردولف ، ص 51 .

[2]– كتاب زبدة كشف الممالك و بيان الطرق و المسالك ، غرس الدين خليل بن شاهين ، ص 20 .

[3]– آثار البلاد و أخبار العباد ، القزويني ، ص 162 .

[4]– أدب الرحلات الأندلسية و المغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري ، نوال عبد الرحمن الشوابكة ، ص 288 .

و الأمر الذي لا يختلف فيه اثنان هو أن مسجد قبة الصخرة يعتبر أقدم بناء وصل إلينا من العمارة الإسلامية ، فهو تبعا للفكر الإسلامي يرتبط بالإسراء النبوي بالمسجد الأقصى بينما يتعلق معراجه بقبة الصخرة من حيث كان الصعود إلى السماء ، من دلك الكهف الذي يوجد تحت الصخرة ، و هكذا أراد عبد الملك لرعاياه أن يباهوا الروم و نصارى الشام بمسجد قبة الصخرة الذي لا يقل في فخامته و بهائه عن كنيسة القيامة[1] .

و كثرة الواصفين لها أي قبة الصخرة دليل على اهتمام الكثير من المؤرخين و الرحالة و الجغرافيين ، و على تفردها في العمارة و جمالها الذي بهر كل من رآها ، و هدا يدلنا بدوره على تفرد و نبوغ العقل الإسلامي .

و بالرغم مما قدمه المستشرقون عن هدا المبنى فتارة يذكرون أنه مبنى روماني أو بيزنطي أو ساساني ، فإن تلك التقولات لم تغير أي شيء في المبنى لأنه لا يوجد مبنى يشابهه على الإطلاق كان قائما قبل الإسلام ، و هدا يشير إلى أن النمط إسلامي المولد . أما حول ظاهرة الاقتباس و التمازج بين الحضارات فكانت ظاهرة معروفة و لكن المعماريين المسلمين لم يعملوا عبر قاعدة الاقتباس أو التقليد لأنها كانت محرمة عليهم[2] .

و رغم ما أصيبت به قبة الصخرة من عوارض الطبيعة ، مثل زلزال سنة 1016 م ، و ما عانته من تقلبات الأيام مثل سقوطها بين أيدي الصليبيين و أيلولتها إلى فرسان الداوية الدين اتخذوها نموذجا لكنائسهم فيما بعد ، فإنها ظلت أقدم عمائر الإسلام التي بقيت سالمة ، إسلامية من حيث عناصرها المكونة . كما في العناصر الزخرفية النباتية المرسومة بالفسيفساء ، و ألواح البرونز المطروق التي تكسو بواطن العتبات و الكمرات الرابطة و جوانبها ثم الكتابة الكوفية التي تسير في إفريز تحت باطن السقف و في الدائرة الوسطى حول القبة[3] .

[1]- العمارة و الفنون في دولة الإسلام ، سعد زغلول عبد الحميد ، ص 287 .

[2]- فسيفساء قبة الصخرة ، إبراهيم الفني ، ص 42 .

[3]- العمارة و الفنون في دولة الإسلام ، سعد زغلول عبد الحميد ، ص 291 .

3) كنيسة القيامة :

لما تبوأ الملك قسطنطين عرش القياصرة و اعتنق الدين المسيحي انتعشت النصرانية انتعاشا كبيرا ، و زارت أمه الملكة هيلانة أورشليم سنة (326 م) ، فأزالت الأتربة و الحجارة من على صخرة الجلجثة فبدت مغارة المسيح ، في هدا المكان بنت كنيسة القيامة عام (335 هـ) . و كانت يومئذ مستطيلة الشكل على غرار كنيسة المهد . و كان موضع القبر في بادئ الأمر خارج السور ، و لما بنت الملكة هيلانة الكنيسة وسعت السور هناك بحيث أصبحت الكنيسة داخل السور ، و أصبحت تعتبر جزءا من المدينة[1] .

هدا ما أكده المقريزي في قوله : و في السنة الثانية و العشرين من ملك قسطنطين سارت أمه هيلانة إلى القدس ... و بنت كنيسة القيامة التي تعرف اليوم بكنيسة قمامة[2] .

و قد أقدم الفرس سنة (613 م) و بتحريض من اليهود على هده كنيسة القيامة[3] .

و تذكر كتب التاريخ أنه عندما فتح الخليفة عمر بن الخطاب القدس رفض أن يصلي في كنيسة القيامة ، خشية أن يتخذها المسلمون حجة للمطالبة بحقوق في الكنيسة من بعده ، و في خلافة المأمون عام (813 م / 833 م) قام البطريك توما الأول بترميم بناء كنيسة القيامة ، أما في العهد الفاطمي فقد تمكن البطريك أورستس من الحصول على موافقة الخليفة لإعادة بناء الكنيسة ، و قد استغرقت عملية إعادة البناء سنين عديدة ، و دلك إثر الزلزال الذي تعرضت له القدس عام (1016 م)[4] .

---

[1] – المفصل في تاريخ القدس ، عارف العارف ، 141 .

[2] – المرجع نفسه ، ص 142 .

[3] – المرجع نفسه ، ص 146 .

[4] – تاريخ القدس و حاضرها ، عزت جرادات ، ص 75 .

و خلال العشرة سنوات التي تلت الاحتلال الصليبي للقدس ، قاموا بتوسيع كنيسة القيامة بعد أن أصبحت تحت إدارة بطريك لاتيني ، و قد بقيت على هدا الحال إلى أن استعاد صلاح الدين الأيوبي بيت المقدس ، فأعاد للمسيحيين الشرقيين أوقافهم و كنائسهم من بينها كنيسة القيامة . أما في عهد العثمانيين و كما هو معروف فإن الخلاف الدائم بين الطوائف المسيحية كان سبب الأماكن المقدسة ، و خاصة أن كلا هؤلاء الطوائف تدعى أن لها حقوقا في كنيسة القيامة التي تمثل أهم الكنائس المسيحية في القدس[1] .

و كنيسة القيامة مبنية على أرض تتجاوز مساحتها الخمسة دونمات (ثلاثين مترا طولا و ستة و ستين مترا عرضا) ، و تظهر للزائرين في الخارج منها قبتان : الكبرى : و هي القائمة فوق القبر المقدس . و في الكنيسة عدد من القبور القديمة بعضها مند أيام الصليبيين في القدس ، كما أن فيها ثلاث عشرة بئرا لجمع مياه الأمطار [2] .

و يشير إليها المقريزي فيقول :" و فيها قمامة ، و هي كنيسة عظيمة للنصارى في وسط البلد ، لا ينضبط صفتها حسنا و عمارة و تنميقا و كثرة مال . في موضع منها قنديل يزعمون أن نورا من السماء ينزل في يوم معلوم و يشعله ، و هدا أمر مشهور عندهم . حكي أن بعض أصحاب السلطان دهب إليها دلك اليوم و قال : إني أريد أن أشاهد نزول هدا النور ، فقال له القس : إن مثل هده الأمور لا تخفى على أمثالك إلا تبطل ناموسنا فإنا نشبه على أصحابنا لتمشية أمرنا ، فتجاوز عنه ."[3]

يبدو أن المقريزي لم يهتم بالجانب العمراني لكنيسة القيامة ، و لكنه ذكر أحد الإدعاءات التي ارتبطت بكنيسة القيامة .

---

[1]– تاريخ القدس و حاضرها ، عزت جرادات ، ص 76 .

[2]– المرجع نفسه ، ص 77 .

[3]– آثار البلاد و أخبار العباد ، القزويني ، ص 163 .

و يذكرها ياقوت الحموي بإيجاز دون وصف فقال : " ... و النصارى من الروم و الإفرنج و الأرمن و غيرهم من سائر أصنافهم يقصدونها للزيارة إلى بيعتهم المعروفة بالقمامة و ليس لهم في الأرض أجل منها "[1] .

أما الإدريسي فقد كان وصفه لها أكثر شمولية حيث قال عنها :" و إدا دخل الداخل من باب المحراب و ه الباب الغربي ... يسير نح المشرق من زقاق شارع إلى الكنيسة العظمى المعروفة بكنيسة القيامة و يسميها المسلمون قمامة و هي الكنيسة المحجوج إليها من جميع بلاد الروم التي في مشارق الأرض و مغاربها ، فيدخل من باب في غربها فيجد الداخل نفسه في وسط القبة التي تشتمل على جميع الكنيسة و هي من عجائب الدنيا و الكنيسة أسفل دلك ، و لا يمكن لأحد النزول إليها من هده الجهة و لها باب في جهة الشمال ينزل منه إلى الأسفل "[2] .

" الكنيسة على ثلاثين درجة و يسمى هدا الباب باب مرية و عند نزول الداخل إلى الكنيسة تلقاه المقبرة المقدسة المعظمة و لها بابان ، و عليها قبة معقودة قد أتقن بنيانها و حصن تشييده و أبدع تنسيقها ، و هادان البابان أحدهما يقابل الشمال حيث باب سنت مرية و الباب الآخر يقابله من جهة الجنوب ما يسمى باب الصلوبية ، و على هدا الباب قنبنار الكنيسة و يقابلها من جهة الشرق كنيسة عظيمة ... و في شرقي هده الكنيسة منحرفا بشي لطيف إلى الجنوب الحبس الذي حبس في السيد المسيح ، و مكان الصلوبية ، و أما القبة الكبيرة فهي قوراء مفتوحة للسماء و فيها دار بها الأنبياء مصورون و السيد المسيح و السيدة مريم و يوحنا المعمدان و على المقبرة المقدسة من القناديل المعلقة على المكان خاصة ثلاثة قناديل دهب[3] .

---

[1]- معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، ص 171 .

[2]- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، الإدريسي ، ص 165 .

[3]- المصدر نفسه ، ، ص 359 .

كما يصف كنيسة القيامة في العهد العثماني الرحالة ' الأمير ردولف ' فقال : " فهبطنا لنكون في مجاز (ردهة) كنيسة القيامة . كان الفناء مرصوفا و مسورا من جانبين بسورين عاليين ، و في الجانب الثالث توجد الواجهة الرئيسية و بها أعمدة رشيقة جدا و بوابة جميلة ذات غفد فخم . و كل دلك يعود لزمن الصليبيين ... فالفناء القديم يقع أدنى من مستوى سائر المدينة بعدة خطوات و تحيط بها المنازل الداكنة للقدس الخزينة و في وسط الفناء تقع كنيسة القيامة بقبابها العالية ، و قد أثر الزمن في المبنى تأثيرا واضحا[1] .

و وصفها من الداخل فقال : إن الكنيسة من الداخل مثيرة للإعجاب ... و يعبق البخور و عطر الورد جو الكنيسة الرطب ... و ثمة بوابات مصليات صغيرة إلى اليمين و إلى الشمال ، و درجات (سلالم) و أماكن مرتفعة مخصصة للمنشدين و المرتلين و الكهنة ... و في وسط الكنيسة بين صالة دائرية يوجد مصلى واحد ، بمثابة معبد قائم بذاته ، إنه المصلى الحقيقي للمقبرة ... كان محاطا بشمعدانات ثقيلة "[2] .

" و الأثر اليوناني واضح فيه جلاء سواء في داخله أو خارجه ، و هو محلى بالذهب و الفضة و به صور سوداء للقديسين ... و قمنا بالدخول عبر بوابة منخفضة بحيث يتعين على الداخل أن يزحف ... لتظهر لنا الصخرة الجرداء بين زينات خصبة فوقرنا هده الصخرة العارية "[3] .

" ... و ليست لكنيسة القيامة إلا بوابة واحدة لا يفتحها الأتراك إلا في المناسبات "[4] .

---

[1]- رحلة الأمير ردولف إلى الشرق ، ردولف ، ص 38 .

[2]- المصدر نفسه ، ص 39 .

[3]- المصدر نفسه ، ص 41 .

[4]- المصدر نفسه ، ص 45 .

تطرقنا إلى أهم العمائر الموجودة ببيت المقدس ، مع أنَّ العمائر الموجودة بها يصعب حصرها ، منها ما اندثر و منها ما أصبح أطلالا و منها ما يغير دوره فحول إلى مهام أخرى ، و الأمر الأكيد الذي يقبل الشك هو أن العصر المملوكي كان من بين أهم العصور الذهبية التي

[1]عاشتها القدس ، حيث مثلت مركز إشعاع روحي و حضاري و علمي ، حيث تسابق السلاطين و الأمراء و الأثرياء إلى بناء المؤسسات الاجتماعية و الدينية مثل المدارس ، و البيمارستان و الألبسة و الحمامات و الأربطة و المزارات و التكايا و الخانقاوات ، و غدت القدس زمن المماليك من أهم المراكز العلمية في العالم الإسلامي كله ، فكان يفد إليها الكثير من الدارسين و المدرسين من مختلف أصقاع العالم المترامي الأطراف .

الفصل الثالث
الدراسة التطبيقية

الدراسة التطبيقية:

تعد مدينة بيت المقدس مهد الديانات الثلاث: (التوراة، المسيحية، الإسلام)، مما جعلها محط أنظار الجميع، و نتيجة لهذه الأهمية الكبيرة زارها المئات من الرحالين من أجناس و أصقاع مختلفة من العالم. فقدموا للمكتبة العالمية معلومات و تقارير و أخبارا عن مشاهداتهم عن تلك المدينة التي تعظم في أعينهم و تفعم أفئدتهم و تنعش لطائف قلوبهم و لذلك سنحاول تقديم مقارنة بين أحد الرحالة المسلمين و هو ناصر خسرو الذي زار القدس سنة (438 هـ / 16 مارس 1047 م)، و بين الرحالة الإنجليزي ريتشرد بوكوك (Richard Pochocke) و هو مسيحي زار القدس في القرن الثامن عشر سنة (1149 هـ / 1737 م).

نبذة عن الرحالة ناصر خسرو:

ولد ناصر خسرو في "قياديان" بالقرب من بلخ سنة (394 هـ / 1003 م) من أسرة متوسطة الحال، و تثقف ثقافة واسعة، و شارك في علوم عصره و نال حظا وافرا من معارفه. التحق بخدمة السلاطين الغزنويين محمود ثم ابنه مسعود، زار الهند ثم عاد إلى فارس و شغل منصبا كبيرا عند السلاجقة، التحق بخدمة جفري بيك السلجوقي حاكم خاراسان * ، و تولى أمر خزانته مدة طويلة. [1]

و قد نشأ في جو مضطرب سياسيا و دينيا، و كان مترددا في لمذهب معين، (أن يكون سنيا أو شيعيا) ، كما كان واسع الاطلاع، يقرأ الفلسفة و يناقش آراء الفارابي و ابن سينا.

حاول خسرو أن يصل إلى الحقيقة فرجع إلى القرآن الكريم و كتب الحديث، و رجع إلى التوراة و الإنجيل، و كتب مذاهب الهنود بلغتها الأصلية، و اتصل بعلماء الأديان مسلمين و نصارى و يهود و مجوس و ناقشهم في المسائل التي لم يهتد إلى رأي فيها، فلم يظفر بمن يقنعه، و رأى أن يرحل إلى بلاد العرب و فارس و تركستان و الهند، لعله يجد من يهديه إلى الطريق الحق، و لكنه مع هذا لم يصل إلى ما يريد. [2]

و قد أدت حالة الزيغ و الشك التي وصل إليها ناصر خسرو إلى الإدمان على شرب الخمر شهرا كاملا حتى تراءى له ذات ليلة في المنام رجلا ينهره لأنه يدمن على الشراب و ينهاه عن المعاصي و يشير إلى القبلة قائلا: "من جد وجد و ينصرف عنه". و لما استيقظ من نومه قرر الرحيل إلى مكة، و غادر مع أخيه أبي يعد و معهما غلام هندي [3].

---

*السلجقيون أخلاط من الترك، من أصل الأتراك العثمانيين، كان في مقدمتهم رجل يقال له (دقاق)، و قد أنجب (سلجوق) الذي أسلم و عاش في انحاء بخارى، و كان سغزو الترك، و لما توفي ترك ثلاثة أولاد: (أرسلان و مسكائيل و موسى)

[1] سفرنامة، ناصر خسرو، ص 41.

[2] سفرنامة، ناصر خسرو، ص 15.

[3] المصدر نفسه، ص 17.

و قد قسم يحيى الخشاب (و هو مترجم الرحلة من الفارسية إلى اللغة العربية) هذه الرحلة إلى ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: و تبدأ بخروجه من (مرو) سنة (437 هـ / 1045 م) ومنها إلى "نيسابور" و "الري "و" تبريز "و"ميافارقين"و "آمد"و "حران "و دخل سورية، و زار بلاد الشام، مثل حلب و حماة و المعزة، ثم اتجه إلى الشاطئ فزار طرابلس و جبيل و بيروت و صيدا و صور و عكا و الرملة، و منها اتجه إلى بيت المقدس، ثم حج و عاد إلى القدس، ثم حج و عاد إلى القدس عن طريق دمشق، و سافر برا إلى مصر و مكث فيها ثمانية أشهر [1].

و تبدأ المرحلة الثانية من رحلته لتأدية فريضة الحج للمرة الثانية سنة (439 هـ / 1047 م) و عودته من مصر حيث أقام ناصر خسرو ثلاث سنوات و ثلاثة أشهر. و قد كان يتمتع بمركز ممتاز أثناء إقامته الطويلة فيها، إضافة إلى المعاملة الممتازة التي تلقاها من قبل الخليفة و الوزير. [2]

أما المرحلة الثالثة من الرحلة فتبدأ بمغادرة عاصمة الفاطميين نهائيا و ذهابه إلى الحج عن طريق عيذاب وصولا إلى جدة. و بعد تأديته فريضة الحج للمرة الثالثة، عاد إلى بلدته عن طريق الحجاز و فلج و الحسا و البصرة ثم إلى بلخ حيث وصلها عام (444 هـ / 1052 م). [3]

و تشير المصادر إلى أنه طاف كثيرا في خراسان التي عين فيها داعية من قبل الفاطميين، ثم انتقل إلى (مازندران) فأقام فيها زمنا طويلا حتى نسب إليها. و قد استطاع أن يقنع كثيرا من أهلها بالدخول في مذهبه. إلا أن انتماءه إلى مذهب الإسماعيلية في دولة سنية أصار الناس و الحكام عليه، فتم الاعتداء على منزله، و اضطر أهله إلى هجره، كما انتقل هو إلى (يُمْكان) حيث أخذ يصنف الكتب و الرسائل في مذهبه. [4]

---

[1] سفر نامة، ناصر خسرو، ص 26.

[2] المصدر نفسه، ص 29

[3] المصدر نفسه، ص 36

[4] سفرنامة، ناصر خسرو، ص 38

لقد كان رجلا عالما يحب أن يتصل بالعلماء و أن يناظرهم أو يتحدث إليهم. و مما يؤكد هذا الرأي مقابلته لـ علي النسائي في "سمنان" و أبو الفضل خليفة بن علي الفيلسوف في "شيمران" و الذي ناظره في علوم الدين و الرياضيات، و توثقت الصلة بينهما. كما قابل الشاعر قطران في "تبريز". [1]

و قد اشترك ناصر خسرو في إلقاء دروس الفقه و الفلسفة الإسلامية في المساجد (الأزهر، عمر بن العاص، دار الحكمة...) و قصر الخليفة في مصر. [2]

منحه إمام مصر درجة (أفضل الرجال) و هي درجة لم ينلها أحد في أسرته. [3]

و كان ناصر خسرو أمينا في كتاباته، إذا رأى شيئا رأي العين نص على ذلك، و إذا سمع عن شيء رواه و جعل العهدة على راويه. [4]

كما يبدو أن ناصر خسرو كتب أحداث رحلته يوما فيوما تشهد بذلك الدقة التي نراها في وصفه لبعض الأمكنة (كمسجد بيت المقدس) فالصفات التي يصفها و الأسماء التي يذكرها ليست مما يعلق بالذاكرة سنوات عدة، و ليس بهذه الدقة. [5]

و قد صنف خسرو كثيرا من المؤلفات منها المنظوم و منها المنثور، لعل أهمها: "الديوان"، "سعادة نامة"، "وشنائي نامة" و كلها منظومة. أما المنثور فهي: "زاد المسافرين"، "خوان الإخوان"، "الرسالة"، "وجه و دين"، و قد أراد بهذا الكتاب أن يقلد به كتاب "البيان" الذي وضعه (غياث) أحد كبار رجال الدعوة الباطنية في أوائل القرن الثالث الهجري، و هو يحوي شرحا باطنيا لأركان الإسلام و الجهاد و الإمامة.[6]

---

[1] سفر نامة ،ناصر خسرو، ص 26

[2] المصدر نفسه، ص 30

[3] المصدر نفسه، ص 23

[4] المصدر نفسه، ص 25.

[5]سفرنامة، ناصر خسرو، ص 23

[6] المصدر نفسه، ص 39

و ظل يدعو لمذهبه في "يمكان" حيث دفن هناك لما حضرته الوفاة، و صار قبره مزارا للإسماعليين و النزاريين من الصين و آسيا الوسطى الروسية و الهند و الأفغان.[1]

[1] سفر نامة ، ناصر خسرو ، ص 40.

نبذة عن الرحالة ريتشرد بوكوك و رحلته:

ولد الرحالة ريتشرد بوكوك سنة (1704 م / 1115 هـ) بانجلترا، كان عضوا من الطبقة الملكية و عالما من علماء الآثار القديمة، و هو صاحب كتاب "وصف الشرق" الذي يعد من أغنى المراجع و أهمها التي كتبت حول الشرق في القرن الثامن عشر.[1]

تمتعت رحلات الرحالة بوكوك بشهرة كبيرة بانجلترا، و كانت النسخة الأصلية ثرية بالصور و الخرائط الجغرافية، و اعتبرت كتاباته من أهم المذكرات التي عرفت العالم عن الشرق، حيث ترجمت رحلته إلى الفرنسية بباريس في تسع مجلدات من قبل (أيدو) بمساعدة بعض العلماء الآخرين.

و تبدأ رحلات بوكوك من مصر المنخفضة حيث سلط الضوء على بعض الحقائق و المعلومات المهمة عن مصر، معتمدا على ما كتبه اليونانيون القدامى الذين اطلع على كتبهم. و من بين الأماكن التي زارها في مصر (دمياط، المنصورة بحيرة قارون و القاهرة)، ثم انعطف نحو إثيوبيا أين رأى نهر النيل، و عند عودته إلى القاهرة أخذ طريق البحر الأحمر مارا بالجزيرة العربية و وصولا إلى سيناء حيث قام برسم بعض الرسومات التي تعبر عن بعض عاداتهم. كما أشار إلى حالة الأقباط و قافلة مكة و بعض منتجات مصر.

و بعد هذه المحطات يتجه إلى فلسطين نظرا لأهميتها التاريخية و علاقتها بالأديان السماوية و الكتب المقدسة. ثم رحل إلى سوريا و بلاد الرافدين و منها إلى قبرص، نيقوسيا و الإسكندرية حيث وصف هذه البلدان و كان شاهدا على بعض الأحداث فيها. كما ذكر حالة الكنيسة الإغريقية (اليونانية) بالمشرق آنذاك، و كانت آسيا الصغرى محطته التالية فزار بعض المناطق منها (تراقيا)، جزر موري) و الأرخبيل و القسطنطينية، و عند عودته إلى أوربا قام بوصف إيطاليا و ألمانيا معتمدا في وصفه على قراءاته عن هيرودت و ديودوروسو بوسانياس عن هذه الأماكن، و من بين المواضيع التي تطرق إليها التاريخ و الجغرافيا و العلوم القديمة، الآثار القديمة من العمائر المختلفة [2]. كما زود أكاديمية

---

[1] صفحات من تاريخ اللاذقية، العدد 8291، بتاريخ: الاثنين 14 جوان 2014 م.

[2] Ibid: Voyage en Orient, richard pockocke, j p costard libraire, menchatel, paris, (p4 à 6).

السويد (أوبسالا) (Upsala) بمعلومات كثيرة حول تاريخ مصر و طبيعتها و قد توفي الرحالة بوكوك سنة 1756 م [1]

كانت رحلة خسرو ناصر عبارة عن فصل واحد مع ثلاثة عناوين رئيسية: فبعد تحديده للتاريخ الذي وصل فيه إلى القدس، انتقل مباشرة إلى الحديث عن اسمها و عن الحجاج المسلمين منهم و المسيحيين، ثم واصل الحديث ليصل إلى وصف الأشجار و البساتين، كما أشار إلى وفرة زيت الزيتون في هذا المقام. و الملاحظ هنا أن حديثه عن هذه الأمور لم يكن طويلا فقد أشار إليها أو مر عليها مرور الكرام، ثم انتقل ثانية إلى أمر آخر و هو وصف المدينة (موقعها، أرضها، أسواقها، مقبرتها، وادي جهنم، عين سلوان، مستشفى بيت المقدس، مسجد مهد المسيح، المسجد الأقصى، أحواضه، أحواض منازل بيت المقدس، ثم عاد إلى وصف أسوار و أبواب المسجد الأقصى)، و يواصل الرحالة خسرو وصفه للمسجد الأقصى أو بالأحرى وصف المباني الأخرى الموجودة على ساحة الحرم كقبة الصخرة و قبة السلسلة و قبة جبريل، و بعض القباب جاء دور المراقي المؤدية إلى ساحة الأقصى و المقامات و المحاريب. و كان آخر ما ختم به وصفه كنيسة القيامة.

و أهم ما يمكننا أن نلاحظه هنا هو أن المسجد الأقصى أخذ جل اهتمام الرحالة، و بذلك أخذ مساحة كبيرة من الوصف.

أما رحلة ريتشارد بوكوك فقد جاءت على شكل فصول و عددها خمسة مع عناوين رئيسية أول كل فصل و كل فصل مقسم إلى عناوين فرعية، نجدها على هامش الصفحات.

و قد جاء الفصل الأول بعنوان: "أورشليم من تل صهيون" أما عناوينه الفرعية هي: (اسم أورشليم – موقعها – المدينة – الأسوار – المدينة القديمة – الحصون – الأبواب – الأماكن الرائعة الموجودة على تل صهيون – حجاج أورشليم).

أما الفصل الثاني فأعطاه عنوان: "من تل آ كرا إلى تل موريا"، و قد كان يقصد بآك را تل أوفل. أما العناوين الفرعية فكانت: (تل آكرا – تل موريا – المعبد (أي المسجد الأقصى)).

---

[1] Ibid: Voyage en Orient, richard pockocke p7

و جاء الفصل الثالث بعنوان: "تل الصلوبية" و قد تحدث في هذا الجزء عن كل الأماكن التي مر بها المسيح عيسى عليه السلام. أما عناوينه الفرعية (أي الفصل) فهي (تل الصلوبية – الاحتفالات التي كانت تقوم في أورشليم).

و يأتي بعده الفصل الرابع بعنوان: "حارة بتزيتا و مقبرة الملوك" أما العناوين الفرعية فكانت (بتزيتا – مقبرة الملوك).

و أخيرا الفصل الخامس و قد عنونه بـ "الأماكن الواقعة بالقرب من أسوار أورشليم"، و أدرج تحت هذا العنوان عناوين فرعية هي: (باب سانتيتيان) (S.Etienne) – وادي قدرون – قبر القديسة العذراء – عمود أبسالون (absalon) – قبر زكرياء – عين سلوان – حوض سلوان – قرية سلوان – وادي جهنم).

و من بين أهم الملاحظات التي نستنتجها من خلال الرحلتين عن حديثهما بشأن موقع القدس هي:

لقد ذكر خسرو أن بيت المقدس مشيدة على جبل و أن أرضها مبلطة، و سويت الجهات الجبلية بحيث تغسل الأرض كلها و تنظف حين تنزل الأمطار [1]. و هذا يظهر أن أهل القدس جعلوا نظافتها تكون بطريقة طبيعية و دون عناء.

كما أظهر الرحالة إعجابه بأسواق المدينة و أبنيتها العالية الجميلة و كثرة الصناع فيها.

أما الرحالة بوكوك فقد كان وصفه الجغرافي مغايرا تمام للرحالة ناصر خسرو لأن بوكوك ذكر أن القدس تقع على الطرف الجنوبي لسهل الساهرة، و أنها محاطة بمجموعة من الأودية. ثم يشير إلي أن القدس القديمة بنيت على جبل صهيون [2]. و بالعودة إلى المصادر القديمة نجد أن القدس القديمة أنشأت على تل أوفل و ليس على جبل صهيون. و لا نعلم هنا إن كان الرحالة بوكوك تجاهل هذه الحقيقة أم أنه كان يتحدث عن المباني المسيحية بما أن أغلبها إن لم نقل كلها بنيت على جبل

---

[1] سفر نامة، ناصر خسرو، ص 67.

[2] Voyage en Orient, richard pockocke, p 19

صهيون، و بهذا يكون قد قسم المدينة إلى جزأين (الجزء المسيحي بجبل صهيون، و الجزء المتبقي عربي إسلامي.

المقابر:

لقد تحدث ناصر خسرو عن مقبرة واحدة فقط، و هي المقبرة القديمة الموجودة على حافة سهل الساهرة، و هي قبور للصالحين [1]. هذا ما يجعلنا نتساءل عن المكان الذي كان أهل القدس يدفنون فيه أمواتهم.

أما الرحالة بوكوك فيذكر عدة مقابر، و كان أغلبها أضرحة للقديسين و قبورا لبعض الملوك، فمن بين الأضرحة التي وصفها كان ضريح (جيهوزوفا) " jehosopha" الواقع على أحد الصخور شمال جبل الزيتون، و يضيف أن هذه الصخور كانت تحتوي على عدد من الغرف و الكهوف التي لربما كانت تحوي بعض القبور بدورها . أما القبور فقد ذكر العديد منها: قبر القديسة العذراء الموجود في الجهة الشمالية لبيت المقدس، و للوصول إليه يجب نزول عبر عدة درجات (سلالم) على خد تعبيره. و قبر ملكة أورشليم "ميليسنديس" (Melisendis)، و قبر الملكة "آن" " Anne" و (جواشيم) " Joachim" و يوسف "Josephe" و قد أشار إلى أن كل هذه القبور كانت تقع على جلمود صخري. كما شاهد شمال جبل الزيتون مقبرة لليهود، و على بعد فرسخين من المقبرة وجد قبر زكريا الذي دفن أمام أحد الأعمدة. و قبالة المنطقة التي ينتهي فيها وادي هنوم رأى بعض المغارات و الأضرحة المحفورة على الصخور، و ذكر أن أغلب هذه المغارات كان لها مداخل جميلة [2].

---

[1] سفر نامة، ناصر خسرو، ص 67

[2] Voyage en Orient, richard pockocke, P 44 .57

كما لاحظ على الوادي الموجود غرب المدينة بعض المغارات و الأضرحة الأخرى، التي لم يذكر عنها أي تفصيل. و خارج السور الشمالي لجبل بتزيتا شاهد مقبرة الملوك. أما خارج السور الواقع على الجهة الجنوبية الغربية لجبل صهيون فقد رأى قبر الإمبراطور هونوريوس (honoriose) كما قام الرحالة بوكوك بوصف مقبرة الأرض وصفا دقيقا و من بين ما ذكره عنها أنها تقع على منطقة صخرية اشتراها بعض الكهنة لدفن الموتى الغرباء الذين يأتون إلى المدينة . و أنها صخرة على شكل مستطيل، يبلغ طولها ستا و عشرون خطوة (مترا)، و قرابة عشرين خطوة (متر) عمقا، و هي مغلقة من جميع الجهات إما بواسطة الصخور أو بواسطة الأسوار.

و ما يلفت الانتباه أيضا أن الرحالة بوكوك أشار إلى أن الشرقيين من أهل القدس كانوا يدفنون موتاهم في البيوت التي يسكنون فيها أو في بساتينهم. [1]

و أهم الملاحظات التي نستطيع أن نذكرها من خلال كل ما قيل من قبل الرحالين "ناصر خسرو" و "ريتشارد بوكوك" هي:

قلة المقابر في بيت المقدس في القرن الحادي عشر أي في الفترة التي زار فيها ناصر خسرو هذه المدينة يعود أولا إلى أنّ الشرقيين من أهل القدس كانوا يدفنون موتاهم في البيوت و البساتين و لهذا نجد أن الرحالة خسرو لم يذكر سوي مقبرة واحدة.

ثانيا نستنتج مرة أخرى من خلال حديث خسرو عن المقبرة الوحيدة في بيت المقدس آنذاك (القرن 11م) عن خلوها من اليهود و التأكيد أن بيت المقدس لم يسكنها حينها سوى المسلمين و المسيحيين الشرقيين. و لم يشاركهم فيها أحد.

أما الأمر الذي يسترعي الاهتمام فيما ذكره الرحالة بوكوك عن مقابر بيت المقدس. أن أغلب الموتى المسيحيين إن لم نقل كلهم كانوا يدفنون إما في المغارات أو على الصخور، و كأن المسيحيين و اليهود أصروا أو حرصوا على دفن موتاهم في المناطق الصخرية المحيطة ببيت المقدس.

[1]Ibid: Voyage en Orient, richard pockocke, p (69 – 70)

و قد استعمل الرحالة بوكوك عند ذكره للمقابر عدة ألفاظ تجعل القارئ يشكك في وجود بعض القبور، و من بين هذه الألفاظ (يعتقد – قيل) هذا ما يدعونا للشك في وجود القبور، إما لقدمها أو هي فقط تدليس من قبل البعض.

الأسوار:

لم يذكر الرحالة ناصر خسرو سوى سور واحد، و هو السور الذي يتشاركه المسجد الأقصى مع المدينة و هو الصور الشرقي من المدينة [1].

أما الرحالة بوكوك فقد كان أكثر اهتماما بالأسوار، و ذلك خلال ذكر الترتيب الزمني لبناء أسوار بيت المقدس، فهو يشير إلى أن السور الذي يقع على تل صهيون هو الأول من حيث البناء، و يليه السور الذي بني على تل أوفل، و ثالث سور من حيث البناء هو الموجود على تل بتزيتا.[2]

لقد ذكر بوكوك أن السور الواقع على تل صهيون هو أول الأسوار التي بنيت في بيت المقدس، لكن الحقيقة هل أن أول سور بني فيها هو السور الذي يقبع على تل أوفل أو آكرا كما يدعوها هو.

و بهذا نلاحظ أن كلا الرحالين لن يكن لهما اهتمام كبير بالأسوار و خاصة ناصر خسرو، مع أنهما ذكرا كليهما الحجارة التي أقيمت فيها الأسوار كانت كبيرة جدا لدرجة تثير دهشة الرحالين عن كيفية رصفها.

[1] سفر نامة، ناصر خسرو، ص 73

[2] Voyage en Orient, richard pockocke, p 21

أبواب مدينة القدس:

لقد ذكر كل من الرحالين (ناصر خسرو) و ريتشرد بوكوك) أبواب بيت المقدس. فخسرو يشير إليها قائلا: "و أبواب بيت المقدس، ما تحت الأرض و ما فوقها تسعة أبواب"[1]

أما الرحالة ريتشرد بوكوك فقد ذكر عدة أبواب، و أول ما أشار إليه هو أن هناك عدة أبواب تقود إلى تل صهيون. و من بين الأبواب التي ذكرها:

باب إسيسيان (Essessiens): لعله يقصد الصهاينة، و هو يطن أنها تقع في الجهة الغربية من المدينة.

باب داود: و التي يقول أنها من الممكن أن تكون هي نفسها (باب التجار، باب السمك، باب الجنة، باب البساتين، كما كان يطلق عليها آنذاك (باب بيت لحم). و يقع هذا الباب في الركن الشمالي الغربي من المدينة القديمة.

باب الأحصنة: و هي تقع في الجهة الشمالية للمدينة، كما يسمى أيضا باب (هيرود)، و بالقرب من هذا الباب يوجد قصر (هيرود)، و السجن أو المغارة التي سجن فيها المسيح.

باب "مفكاد" (Miphkad) (و لعله يقصد الباب المفقود) و يقع هذا الباب في الشمال.

باب القطيع: و هو الباب الذي يقع جنوب جبل الصلوبية.[2]

باب الحديد: و يشير إلى أن هذا الباب يقع قرب باب القطيع. و يبدوا أن الرحالة بوكوك يقصد (باب الجديد) فبدل أن يقول (الجديد) قال (الحديد).

باب الوادي: يقع بمحاذاة

الجانب الجنوبي لوادي (ميلو)

[1] سفر نامة، ناصر خسرو، ص 77

[2] Voyage en Orient, richard pockocke, p 22-23

باب سيانت: (Siente) و هو يظن أنه الباب الذي يقع شرق تل صهيون على الطريق المؤدية إلى وادي (ميلو)، و قد أشار أن عبر هذا الباب كانوا يأخذون القمامة لرميها في الوادي.

باب اليسوع: و هو الباب الموجود بالقرب من الجهة الجنوبية لوادي (ميلو) كما يقو هذا الباب إلى عين سلوان و وادي جيحون.

باب صهيون: و يظن بوكوك انه الباب الواقع جنوب جبل صهيون، و يضيف أنه يقود إلى أحد القلاع.

باب إفراييم (Ephraim): و يقع في الجهة الشمالية للمدينة، و يسمى أيضا (باب هيرود)، و بالقرب من هذا الباب يوجد قصر هيرود و السجن أو المغارة التي سجن فيها المسيح.

باب القيامة: و يقع على الجزء المنخفض من جبل موريا، و هو يؤدي إلى جبل صهيون، و قد سمي هكذا لأنه يقع أمام أحد منازل المشورة، (و لعله يقصد كنيسة بمنزل المشورة).[1]

لقد ذكر الرحالة ناصر خسرو أبواب بيت المقدس دون أي تفصيل أو وصف، أما الرحالة ريتشارد بوكوك فقد ذكر الكثير من التفاصيل عنها، كالأسماء المتعددة لبعض الأبواب و السبب الذي جعلها تحصل على هذه الأسماء. إضافة إلى موقعها و المباني التي تقع أمام هذه الأبواب، لكن أهم تفصيل نلاحظه أن الرحالة بوكوك أخلط بين أبواب المدينة و أبواب المسجد الأقصى. كما لاحظنا أنه ركز على الأبواب التي تؤدي إلى جبل صهيون حسب قوله.

الأودية: لقد ذكر الرحالة ناصر خسرو وادي جهنم الموجود في بيت المقدس دونا عن الأودية الأخرى فأشار إلى أنه واد عظيم يشبه الخندق، يقع بين الجامع و سهل الساهرة، و قد شاهد فيه أبنية كثيرة على نسق أبنية الأقدمين، من بينها قبة من الحجر المنحوت يقال أنها بيت فرعون. كما قيل أيضا أن عمر بن الخطاب هو من أعطاه هذا الاسم.[2]

أما الرحالة بوكوك فقد ذكر عدة أودية من بينها:

---

[1]Voyage en Orient, richard pockocke, p 24

[2] سفر نامة، ناصر خسرو، ص 68.

وادي قدرون: و حسب رأيه هو واد واسع، يأتي من جبل الزيتون الذي يقع شرق المدينة، أما مجرى هذا الوادي فهو ضيق و عميق، كما أنه يدور باتجاه الجنوب عند الركن الشمالي الغربي من المدينة، ليصب بعد هذا في البحر الميت. [1] يبدو أن هذا الوادي أثار اهتمامهم بوكوك فتتبع مراحله من المنبع إلى أن وصل إلى آخر محطة يصلها هذا الوادي.

وادي جهنم: و يذكر أن هذا الوادي يقع جنوب أورشليم، و هو يظن أنه من الممكن أن يكون أحد أجزاء الوادي الذي يقع في الشرق، كما ذكر أن هذا الوادي يحمل أسماء أخرى كوادي جيحون و وادي هنوم. أما الاسم الأخير فقد حصل عليه لأنه كان ملكا لأحد أولاد هنوم، و قد استعمل هذا الوادي من أجل وضع الحدود بين القبائل، و أنه أصبح قذرا بسبب بعض عادات السكان السيئة. ثم يعود للحديث عن اسم هذا الوادي، فيذكر أنه سمي "توفت" (Tophet) و التي ترمز إلى آلة موسيقية (Trompette) و قد كان أهل المنطقة ينفخون عليها حتى لا يسمعون أصوات الصراخ. [2]

و يبدو أن الرحالة بوكوك انتبه إلى حقيقة أن وادي جهنم هو نفسه وادي جيحون و هو نفسه وادي هنوم. لكنه لم يكن متأكدا من هذه الحقيقة، و ذلك يعود ربما إلى أنه لم يرى المكان بعينه، بل رأى الجزء الجنوبي من الوادي فقط.

كما أن الرحالين يتشاركان في ذكرهما أن سبب تسميته باسم (وادي جهنم) يعود إلى أصوات الصراخ التي كانت تنبعث منه، لكن الرحالة ناصر خسرو ذهب إلى نهايته لكنه لم يسمع شيئا و بهذا يكون قد كذب هذا القول.

وادي ميلو: يذكر بكوك أن هذا الوادي يفصل بين جبل موريا و جبل صهيون [3].

---

[1]Voyage en Orient, richard pockocke, p 59

[2]Voyage en Orient, richard pockocke, p 68

[3] المصدر نفسه، ص 67

عيون الماء:

عين سلوان: يشير الرحالة ناصر خسرو إلى أن عين سلوان تنبع من الصخر، و للوصول إليها يتطلب نزول منحدر، و قد أقيمت أمامها عمارات كثيرة، و هي تمر بقرية شيدوا فيها عمارات كثيرة و غرسوا فيها البساتين (و الأمر الأكيد هنا أن الرحالة يقصد بالقرية (قرية سلوان). و يستمر في الحديث عن العين قائلا: إنه من يستحم من ماء هذه العين يشفى مما ألم به من الأمراض المزمنة و أنهم وقفوا عليها مالا كثيرا.

أما الرحالة بوكوك فقد ذكرها على أنها عين القديسة العذراء، و يصفها قائلا: إنه للوصول إلى هذه العين لابد من نزول بعض الدرجات (السلالم).

و تحت هذه الصخرة يوجد مسلك أو قناة صغيرة توزع عبرها المياه إلى المدينة، و قد تكون النبع الأول لعين سلوان، و التي كانت تستعمل في حالات الحصار، لتزويد هذه الجهة من المدينة بالماء، كما كان ماء هذه العين يوزع على الأحواض من بينها حوض سلوان الأدنى.[1]

و من بين أهمّ الملاحظات التي نستخلصها من وصف كلا الرحالين عن عين سلوان هي:

أولا فيما يخص الاسم نلاحظ أن الرحالة ناصر خسرو ذكرها باسم (عين سلوان) أما الثاني (أي بوكوك) فقد ذكرها باسم (عين القديسة العذراء).

يذكر كلا الرحالين أن هذه العين تنبع من الصخر و أنها تقع على منحدر. لكن مرور الزمن جعل أهل بيت المقدس يقومون ببعض التغييرات منها السلالم، فبعد أن كانت عبارة عن منحدر في القرن الحادي عشر أصبح عبارة عن سلالم في القرن الثامن عشر.

أما عن أهمية هذه العين فنلاحظ أن الرحالة ناصر خسرو ذكر أهمة هذه العين في وجود البساتين، كما ذكر أهميتها في علاج بعض الأمراض المزمنة.

---

[1] ibit , voyage en orient , richard pockocke ,p 65

أما عن أهميتها عند الرحالة بوكوك فقد كانت تكمن في كونها مصدرا رئيسيا للمياه في بيت المقدس حيث توزع مياهها للأحواض ، ليستمر دورها الهام الذي لعبته بعدما كانت قديما تستعمل في تزويد المدينة بالماء في حالات الحصار.

برك سليمان : ويشير الرحالة بوكوك إلى أنها تقع تحت حوض جيحون بقليل ،وتوزع مياهها عبر قنوات موجودة في جميع الاتجاهات ، وينساب ماؤها على تسعة (عقد جسر) ،ويبلغ ارتفاع هذه العقد من أربعة إلى ستة أمتار [1](ص71) ويضيف في الأخير أن كل الأحواض التي ذكرها هي بمثابة خزانات لمياه الشرب يستعملها أهل أورشليم أيام الجفاف .

بئرشيبا: ويصفه الرحالة بوكوك على أنه يقع من الوادي الواقع غرب المدينة ،طول 250خطوة (متر)،وعرضه 100 خطوة (متر) ، آما في القاع فهو ضيق جدا ،والصرخة التي تلف أو تحيط بهذا الحوض من جميع الجهات تبدوا وكأنها شذبت على شكل درج وهذا الحوض هو *بئر شيبا *
ويضيف أنه من الممكن آن يكون هو نفسه الحوض الأدنى لوادي جيحون ،وفي أغلب الأحيان يكون فارغا من الماء ،كما أن هذا البئر نشأ من أجل استقبال مياه الأمطار ومياه الحوض الأعلى لجيحون[2]
ومن بين أهم الملاحظات التي يمكن استخلاصها من خلال ما ذكره كلا الرحالين عن الأحواض في بيت المقدس هي أن: –
الرحالة ناصر خسروا ركز على وصف الأحواض الموجودة تحت أرضية المسجد الأقصى . أما الرحالة بوكوك فقد ركز على الأحواض الموجودة خارج الحرم المقدسي ،والموجودة داخل المدينة(الأسوار)وخارجها .

الأحواض :

لقد وفَّر الرحالة ناصر خسرو الكثير من المعلومات عن الأحواض وأغلبها كان عن الأحواض الموجودة تحت أرض المسجد الأقصى .

---

[1] 1vogage enorieut .richchardpochrochre .p71

[2] المصدر نفسه .ص72

فقد ذكر الأحواض الموجودة تحت الجزء المسقوف من المسجد الأقصى و الدي حسب الرحالة جعل بحيث يكون في مستوى الأرض حين يغطى ، كما أنه دكر أنَّه بني لجمع مياه الأمطار، كما دكر أيضا صهاريج أخرى ، أنشأت بطريقة تجعلها تستوعب كل مياه الأمطار حتى لا تضيع منها قطرة واحدة . كما وصف ميازيب هده الأحواض التي صنعت من الرصاص حتى ينزل منها الماء إلى الأحواض الحجرية (حسب الرحالة). ويدكر أيضا أن هده الأحواض ثقبت ليخرج منها الماء ويصب في الصهاريج بواسطة قنوات وقد عمرت هده الصهاريج من الحجر الصلب ، ويضيف أنه قد قيل له أن هده الأحواض بناها سيدنا سليمان ، وأنه جعلها على هيئة التنور ، وعلى رأس كل حوض غطاء من حجر حتى لا يسقط فيه شيء .[1]

لا يمكن أن يكون هدا صحيحا ، لأنَّ القدس دمرت كليا مرارا وتكرارا بعد سيدنا سليمان عليه السلام فكيف يعقل أن تسلم هده الأحواض .

كما يذكر خسرو أن الطريقة التي اعتمدها المقدسيون في الاحتفاظ بمياه الأمطار(بما أنها المصدر الرئيسي للمياه بها) هو امتلاك كل منزل من المنازل لحوض خاص لجمع هده الأمطار ، وقد كانت توضع على سطوح المنازل .

كما ذكر أحد الصهاريج بشكل خاص دون أن يذكر له اسما قالا : " وعلى بعد ثلاثة فراسخ من المدينة ، يوجد صهريج كبير ، تنحدر إليه المياه من الجبال وتتجمع فيه ، وقد أوصلوه بقناة إلى المسجد ، حيث يوجد أكبر مقدار من المياه ." [2]

أما الرحالة بوكوك فقد وصف نفس الحوض ، وقد ذكره باسم حوض جيحون ، قائلا : وتقع على بعد 100 خطوة من المدينة ، حوض يستوعب كل المياه التي تنحدر من الجبال المحيطة بأورشليم ، وقد كانت القناة التي توصل الماء إلى المدينة مكشوفة ، ويذهب ماء هدا الحوض إلى أحواض كنيسة القيامة . [3] يمكننا أن نلاحظ الشبه بين هدين الحوضين مما يجعلنا نعتقد أنه نفس الحوض .

---

[1] سفر نامة ، ناصر خسرو ، ص 75 .

[2] المصدر نفسه ، ص 76

[3] Voyage en orient , richard pockocke , 71

وصف الرحالة ناصر خسروا الأحواض العامة في بيت المقدس وشكلها وذكر أهميتها كما أشار إلى الأحواض الخاصة التي كانت تقام على أسطح المنازل أيضا .أما الرحالة بوكوك ريتشرد فقد ركز على الأحواض العامة التي وجدت تلك الفترة في البيت المقدس فقط ،دون أن ينتبه إلى الصهاريج الخاصة .لكنه ذكر الكثير من التفاصيل عن ا لأحواض العامة *و نلاحظ أن الأحواض و الصهاريج تغيّر شكلها بمرور الزمن ،ويظهر ذلك جليا من خلال الوصف الذي قدّم ه الرحالين ،ففي القرن الحادي عشر ميلادي وحسب خسرو كانت تشبه التنور وهي مغطاة بغطاء حتى لا يسقط ما يفسد ماء ها . أما في القرن الثامن عشر ميلادي ،وحسب الرحالة بوكوك ريتشرد فقد كانت ا لأحواض مكشوفة يتم النزول إليها عبر سلالم أودرج .و يعود هذا التغير ر بما إلى مرور عدة قرون على تلك ا لأبنية،أو إلى إهمال هذه الأحواض مما جعل شكلها يتغير .

*وقد انصبَّ جُلّ اهتمام الرحالة بوكوك على وصف ا لأحواض من الناحية المعمارية وذلك من خلال ذكر الأقيسة (من طول وعرض وعمق)، الموقع وغيرها من المعلومات الدقيقة ،لكن الواضح أيضا أنه لم يفرق بين الأحواض والصهاريج والآبار، حتى أنه وصف بئر شيبا على أنه حوض .

–لقد ذكر الرحالة ناصر خسروا أحد الصهاريج دون أن يذكر اسمه قائلا: إنه على بعد ثلاثة فراسخ من المدينة ،يوجد صهريج كبير ،تنحدر إليه المياه من الجبال وتتجمع فيه ،وقد أوصلوه بقناة إلى المسجد ،حيث يوجد أكبر مقدار من مياه المدينة .[1] أما الرحالة بوكوك فقد وصف حوض جيحون قائلا: *إنه يقع على بعد 100 خطوة (متر) ،من المدينة ،وهو يستوعب كل المياه التي تنحدر من الجبال المحيطة بأورشليم،وقد كانت القناة التي توصل الماء إلى المدينة مكشوفة ويذهب ماء هذا الحوض إلى أحواض كنيسة القيامة.[2]

---

[1] سفر نامة ،ناصر خسرو،ص76

ل [2] *ibit , voyage en orient , richard pockocke , p 66*

المسجد الأقصى :

لقد أخد الحرم المقدسي مساحة كبيرة في رحلة الرحالة ناصر خسرو حيث نلاحظ أنَّه ركز على وصفه وصفا دقيقا وجميلا يلفت انتباه القارئ ، ومن بين أهم ما ذكره عن الحرم :

أبواب المقصورة :(أي الجزء المسقوف من ا لأقصى):أشار الرحالة ناصر خسرو إلى ا لأبواب الموجودة في المقصورة واصفا بعضها وصفا دقيقا ،ومن بين ما ذكره أنه على باب المقصورة وحائطاها المطلان على الساحة خمسة عشر رواقا ،عليها أبواب مزخرفة ،ارتفاع كل منها عشرة أذرع،وعرضه ستة أذرع،عشرة من هذه ا لأبواب تفتح على الجدار الذي طوله 450ذراعا ،وخمسة منها على الجدار الذي طوله 150ذراعا [1] وهذا يقودنا إلى معرفة أنَّ المقصورة (الجزء المسقوف من المسجد) يحتوي على خمسة عشر رواقا ،وكل رواق به باب خاص به .وبهذا يكون عدد أبواب المقصورة خمسة عشر باب .عشرة منها على طول المسجد ، وخمسة منها على عرضه، كما قام الرحالة خسرو بوصف أحد الأبواب وصفا دقيقا قائلا: إنَّه في غاية الزينة ،وهو من الحسن بحيث تظن أنه من ذهب ،وقد نقش بالفضة [2]. يبدوا أن الرحالة اكتفى بوصف باب واحد فقط .وهذا يعود إما إلى تشابه الأبواب كلها ،أو لأنَّه رأى أنَّ هذا الباب هو أجملها فخصه بالوصف دون الأبواب الأخرى .

–الإضاءة الخارجية :و يذكر عنها الرحالة ناصر خسرو أنه حين تفتح الأبواب كلها ينير المسجد حتى لتظن أنَّه ساحة مكشوفة ،أما حيث تعصف الريح وتمطر السماء وتغلق الأبواب ،فإن النور ينبعث للمسجد عبر كوات .[3]ويضيف قائلا عن المقصورة أنَّ إزارها كان كله من الرخام الملون . [4] ويقصد الرحالة "بالإزار" الجدران التي تحمل المسجد .

---

[1] *سفر نامة ،ناصرخسرو،ص 76*

[2] *المصدر نفسه ،ص 77*

[3] *المصدر نفسه ،ص 74*

[4] *المصدر نفسه ،ص74*

–وصفه للجانب المسقوف من المسجد :(أو المقصورة كما يدعوه ناصر خسرو) ذكر أن الأقصى أكبر من مسجد *مهد عيسى * بمرتين ، ويقدر أن مساحة الجزء المسقوف منه يبلغ 420 ذراعا وعرضه 150ذراعا،وأنَّ به 280 عمودا من الرخام ،على تيجانها طيقان من الحجارة المنقوشة ، وقد ثبتت الوصلات فيها بالرصاص .وقد كانت ا لأرضية التي تفصل ا لأعمدة ملبسة بالرخام الملون .ثمَّ يضيف أن المقصورة تقع وسط الحائط الجنوبي ،وهي تتسع لستة عشر عمودا .[1]

– قبة المقصورة : ذكر أنًها قبة عظيمة جدا منقوشة بالمينا . أما سقف المقصورة فهو مغطى بالخشب المنقوش المحلى بالزخارف .وعن ا لإضاءة الداخلية :ذكر أن بها قناديل ومسارج معلقة بالسلاسل وهي متباعدة عن بعضها البعض .

وفيما يخص المحاريب الموجودة داخل المقصورة ،فهو يشير إلى وجود محراب كبير منقوش بالمينا (ولعله يقصد هنا المحراب الموجود تحت القبة)، وعلى جانبي هذا المحراب يوجد عمودان من الرخام لونهما كالعقيق الأحمر ،وعلى اليمين محراب معاوية أما اليسار فمحراب عمر رضي الله عنه .[2]
وينتقل الرحالة خسرو من وصف المقصورة إلى وصف ساحة الحرام وكل ما يتعلق بها ، حيث يذكر أن خارج الحرم وعلى الحائط الكبير المقابل للجزء المسقوف هناك رواق به اثنان و أربعون طاقا ،وكل أعمدته من الرخام الملون ، وهذا الرواق متصل بالرواق المغربي .[3]

أبواب ساحة الحرم :

ويذكر عنها الرحالة خسرو أنه في الجهات المنخفضة من أحياء المدينة فتحوا في المسجد أبوابا تؤدي لساحته ، ومن بينها *باب النبي (صلى الله عليه وسلم) ويشير خسروا أنه يقع في الجنوب ، عرضه عشرة أذرع أمًا ارتفاعه فكان يتفاوت حسب المكان ، فهو في مكان خمسة أذرع وفي آخر عشرون ذراعا [4](أي أن ارتفاع الباب يكون حسب علو سقف الممر الذي بني عليه)ويضيف أنهم استخدموا

---

[1]سفرنامة،ناصر خسرو،ص 73

[2] المصدر نفسه ،ص 74

[3] سفر نامة ،ناصر خسرو،ص75

[4]المصدر نفسه ،ص 76

في بناءه حجارة لا يصدق العقل كيف استطاعت قوة البشر نقلها و استخدامها ، كما يذكر أنه يقال أن سليمان بن داود عليهما السلام هو الذي بناه .ويؤكد أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل من هذا الباب ليلة المعراج .

*كما يذكر بابا أخر وهو باب موجود في نفس الجهة (أي الجنوب)، باب ذو مصرعين .يبلغ ارتفاع الجدار من الخارج ما يقارب الخمسين ذراعا ،وقد بني هذا الباب ليدخل منه سكان المحلة المجاورة لهذا الضلع من المسجد ، ويبدوا أن كبر حجم الحجارة التي استخدمت في بناء الباب . أثارت اهتمام الرحالة ،فراح يقيسها ليذكر بعد هذا أن بالحائط الذي يقع يمين هذا الباب هناك حجر يبلغ ارتفاعه خمسة عشر ذراعا، وعرضه أربع أذرع وفي هذا الحائط حجارة كثيرة يبلغ حجمها أربع أذرع في خمس .[1]

صخرية خاصة من جانب الوادي في الشرق.[2] هذا يجعلنا نعتقد أن السور الشرقي للمسجد كان في حالة سيئة في الفترة التي زار فيها الرحالة "بوكوك" بيت المقدس .

ويكمل وصفه مضيفا أنَّه للوصول إلى الساحة لا بد من صعود بعض الدرجات أوالسلالم .حيث يوجد صفوفا من الأعمدة التي تحيط بالمعبد، وعلى بعد خمسة وأربعين خطوة (متر)يوجد أربعة عشر سُلَّمة نصل من خلالها إلى ساحة أخرى تدعى (ساحة اليهود) ،وهي مبنية بشكل أحسن من الساحة الأولى حسب قوله .ويشير هنا إلى أنهلا يمكن لأحد من اليهود الدخول إلى هذه الساحة إلا بعد يتطهر من ذنوبه[3]. وحسب معلوماتنا فإن اليهود لا يمتلكون ساحة في المسجد الأقصى ،ولهذا نعتقد أنَّ الرحالة يتحدث عن الساحة التي يمُر اليهود من خلالها للوصول إلى *حائط المبكي * الذي يدًّعون امتلاكه .

كم يذكر الرحالة بوكوك ساحة أخرى وهي (ساحة الكهنة) حسب قوله، ويشير إلى آن الوصول إليها يتطلب صعود سلالم (درجات).

---

[1] ، سفر نامة ، ناصر خسرو ، ص 77

[2] 1voyage en orient .richard pokocke .p39

[3] المصدر نفسه 40،

وبهذا ينتهي الرحالة "بوكوك" من وصف الأقصى ، لينتقل بعد هذا إلى ذكر معلومات تاريخية عنه .ومن بين ما ذكره عن المكان أنَّ "هدريان" دمَّر أورشليم و المعبد ،وقام برمي ما تبقى من آثارها في الوادي ،ثم قام بغرس غابة مكانها ، و استعمل أخشابها في بناء معبد (جوبتر) [1] . ويمكننا التشكيك في صحة هذه المعلومات ،فمن المعلوم أنَّ القدس تقع على تل صخري مما يجعل استحالة نمو الأشجار على أرضها .

ويضيف بوكوك أيضا أنَّه يُروي أنَّ (جوليان المرتد) أحد الحكام الذين حكموا أورشليم، أراد أن يعهد لليهود إعادة بناء هذا المعبد ، وذلك من أجل تفنيد تنبأ المسيح بأنَّه لن يبقى به (المعبد)حجر على حجر.وبعد هذا يشير إلى أنَّ المعبد حُوِّل إلى مسجد على عهد عمر ابن الخطاب ،ثم إلى كنيسة بعد عودة المسيحيين إليها . [2] ويقصد بعودة المسيحيين (الفترة الصليبية) ،حيث حُوِّل ا لأقصى إلى كنيسة ،ولكن الأمر الملفت للانتباه أن الرحالة رفض الاعتراف بهذه الحقيقة ، إضافة إلى إصراره على أنَّه معبد ، فوصفه على هذا الأساس .و أهم ما يمكن أن نستنتجه من وصف كلا الرحالين للمسجد الأقصى هو :

*نلاحظ أن وصف الرحالة ناصر خسرو طغى عليه الوصف المعماري والجمالي للمسجد .بداية من المقصورة وكل ما احتوته من زخارف ورخام و أعمدة، وأبواب وأحواض، حتى أنه تطرق إلى وصف الإضاءة في (المقصورة) سواء الداخلية منها أو الخارجية .ثم انتقل إلى وصف الساحة الخارجية للأقصى مع الأبواب والأسوار ،فجاء وصفه جميلا ومشّوقا يجعل القارئ يتخيل منظر المسجد وك أنه يراه .

وينتقل الرحالة خسرو من وصف المقصورة إلى وصف ساحة الحرم وكل ما يتعلق بها ،حيث يذكر أن خارج الحرم وعلى الحائط الكبير المقابل للجزء المسقوف هناك رواق به اثنان و أربعون طاقا ،وكل أعمدته من الرخام الملون ،وهذا الرواق متصل بالرواق المغربي [3]

---

1 [1] ibit , voyage en orient , richard pockocke , p 41

[2]. المصدر نفسه ، ص 41

[3]سفرنامة،ناصر خسرو،ص 75

– أبواب ساحة الحرم : ويذكر عنها الرحالة خسروا أنه في الجهات المنخفضة من أحياء المدينة فتحوا في المسجد أبوابا تؤدي لساحته ومن بينها

*باب النبي (صلى الله عليه وسلم): ويشير خسرو إلى أنه يقع في الجنوب ،عرضه عشرة أذرع أما ارتفاعه فكان يتفاوت حسب المكان ، فهو في مكان خمسة أذرع وفي أخر عشرون ذراعا [1](أي أن ارتفاع الباب يكون حسب علو سقف الممر الذي بني عليه).

ويضيف أيضا أنهم استخدموا في بناءه حجارة لا يصدق العقل كيف استطاعت قوة البشر نقلها واستخدامها ،كما يذكر أنه يقال أن سليمان بن داود عليهما السلام هو الذي بناه .ويؤكد أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل من هذا الباب ليلة المعراج .

*ويذكر بابا أخر فيشير أنه في نفس الجهة (أي الجنوب) وجد باب ذو مصرعين .يبلغ ارتفاع الجدران من الخارج ما يقارب الخمسين ذراعا ،وقد بني هذا الباب ليدخل منه سكان المحلة المجاورة لهذا الضلع من المسجد .

ويبدوا أن كبر حجم الحجارة التي استخدمت في بناء الباب ،أثارت اهتمام الرحالة فراح يقيسها .ليذكر بعد هذا أن بالحائط الذي يقع يمين هذا الباب هناك حجر يبلغ ارتفاعه خمسة عشر ذراعا وعرضه أربع أدرع،وفي هذا الحائط حجارة كثيرة يبلغ حجمها أربع أدرع في خمس .[2]

باب العين : وحسب خسرو يقع هذا الباب في الشرق (عرض المسجد) إذا خرجوا منه نزلوا منحدرا فيه (عين سلون).

*باب حطة : ويذكر أنه الباب الذي أمر الله عز وجل بني إسرائيل أن يدخلوا منه إلى المسجد .ولم يذكر أي وصف عن هذا الباب .[3]

[1]سفر نامة ، ناصر خسرو ، ،ص 76

[2] المصدر نفسه ،ص 77

[3]المصدر نفسه ، ص 78

*باب السكينة : فيشير إلى أَنّقي دهليزه مسجد به محاريب كثيرة ،وهو باب مغلق (حتى لا يلجه أحد). و ذلك لوجود (تابوت السكينة)الذي ذكره الله تباك وتعالى في القران والذي حملته الملائكة .[1] ومن خلال وصف الرحالة ناصر خسرو يبدوا أنه قام بوصف بعض الأبواب وأهمل ذكر بعضها .

أما الرحالة" ريتشرد بوكوك" فقد قام هو الآخر بوصف المسجد الأقصى .ومن بين الأمور التي ذكرها عنه :

–أولا هولا يذكره باسم المسجد بل يذكره باسم المعبد .كما يشير إلى أنَّ داود اشترى قطعة أرض من "أرونان"– من أجل بناء المعبد ،ولكن ابنه سليمان هو من حقق ما أراده أبوه، وقد قام ببناءه بعد انتهاء الطاعون الذي انتشر في تلك الفترة .وبعد هذا ينتقل إلى الوصف ، حيث يذكر أن المباني الموجودة على ساحة المعبد تمثل ربع المساحة ، وهي موجودة في جميع الاتجاهات .ولما قام بقياس المكان (أي المعبد) وجد أن طوله من الشرق إلى الغرب أكبر من عرضه .ويضيف أنَّه كان محاطا بأسوار و نتوء صخرية خاصة من جانب الوادي في الشرق .[2] هذا يجعلنا نعتقد أن السور الشرقي للمسجد كان في حالة سيئة في الفترة التي زار فيها الرحالة بوكوك بيت المقدس.

و يكمل وصفه مضيفا أنه للوصول إلى الساحة لابد من صعود بعض الدرجات أو السلالم، حيث يوجد صفوفا من الأعمدة التي تحيط بالمعبد. و على بعد خمسة و أربعين خطوة (مترا) يوجد أربعة عشر سلَّمة نصل من خلالها إلى ساحة أخرى تدعى (ساحة اليهود)، و هي مبنية بشكل أحسن من الساحة الأولى حسب قوله، و يشير هنا إلى أنه لا يمكن لأحد من اليهود الدخول إلى هذه الساحة إلا بعدما يتطهر من ذنوبه [3].

و حسب معلوماتنا فإن اليهود لا يمتلكون ساحة في المسجد الأقصى، و لهذا نعتقد أن الرحالة يتحدث عن الساحة التي يمر اليهود من خلالها للوصول إلى "حائط المبكى" الذي يودعون امتلاكها.

---

[1] سفر نامة ،ناصر خسرو،ص 77

2voyage en orient. Richarde pochrchr.p39[2]

[3] المصدر نفسه، ص 40.

كما يذكر الرحالة بوكوك ساحة أخرى و هي (ساحة الكهنة) حسب قوله، و يشير إلى أن الوصول يتطلب صعود سلالم (درجات).

و بهذا ينتهي الرحالة بوكوك من وصف الأقصى، لينتقل بعد هذا إلى ذكر معلومات تاريخية عنه، و من بين ما ذكره عن المكان أن هدريان دمر أورشليم و المعبد، و قام برمي ما تبقى من آثارها في الوادي، ثم قام بغرس غابة مكانها حيث استعمل أخشابها في بناء معبد (جوبتر) [1].

و يمكن التشكيك في صحة هذه المعلومات، فمن المعلوم أن القدس تقع على تل صخري مما يجعل استحالة نمو الأشجار على أرضها.

و يضيف بوكوك أيضا أنه يروى أن (جوليان المرتد) أحد الحكام الذين حكموا أورشليم، أراد أن يعهد لليهود إعادة بناء هذا المعبد، و ذلك من أجل تنفيذ تنبأ المسيح بأنه لن يبقى به (المعبد) حجر على حجر. و بعد هذا يشير إلى أن المعبد حول إلى مسجد على عهد عمر، ثم إلى كنيسة بعد عودة المسيحيين إليها [2].

و يقصد بعودة المسيحيين (الفترة الصليبية) حيث حول الأقصى إلى كنيسة، و لكن الأمر الملفت للانتباه أن الرحالة لم يذكر أنه عاد ليتحول إلى مسجد، و هذا ما يجعلنا نعتقد أن الرحالة رفض هذه الحقيقة، هذا إضافة إلى إصراره على أنه معبد، و قد وصفه على هذا الأساس.

و أهم ما يمكن أن نستنتجه من وصف كلا الرحالين للمسجد الأقصى هو:

نلاحظ أن وصف الرحالة ناصر خسرو طغى عليه الوصف المعماري و الجمالي للمسجد. بداية من المقصورة و كل ما احتوته من زخارف و رخام و أعمدة، و أبواب و أحواض حتى أنه وصف الإضاءة فيها سواء الداخلية منها أو الخارجية. ثم انتقل إلى وصف الساحة الخارجية للأقصى مع الأبواب و الأسوار، فجاء وصفه جميلا و مشوقا يجعل القارئ يتخيل منظر المسجد و كأنه يراه.

---

[1]Voyage en orient , Richard pockocke , p 41

2 المصدر نفسه , p 41.

أما الرحالة بوكوك فنلاحظ أنه وصف ساحة الأقصى فقط، هذا ما يؤكد لنا أن الرحالة لم يدخل إلى المسجد، بل رآه عن بعد، كما أنه لم يقدم تفاصيل قيمة عن المسجد، لكنه تحدث عن بعض الأمور التاريخية.

نلاحظ أيضا أن الرحالة ناصر خسرو ركز على الجانب المعماري للمسجد أما الرحالة ريتشرد بوكوك فقد ركز على الجانب التاريخي للمسجد.

اختلف الرحالين في وضع المكان فخسرو رآه و وصفه على أنه مسجد، أما الرحالة بوكوك فقد وصفه على أنه معبد.

قبة الصخرة:

و يواصل الرحالة ناصر خسرو وصفه للمسجد الأقصى، و لكل ما احتوته ساحة هذا المسجد، و من بينها القباب، ليصل إلى قبة الصخرة. و من بين ما ذكره أنها تقع وسط ساحة الحرم، و شكلها مثمن منظم كل ضلع من أضلاعه الثمانية ثلاث و ثلاثون ذراعا و له أربعة أبواب (باب شرقي و آخر غربي و ثالث شمالي و رابع جنوبي)، و جميع الجدران من الحجر المنحوت، أما ارتفاعها فعشرون ذراعا[1].

ثم يتنقل إلى وصف الصخرة التي بنيت عليها قبة الصخرة، حيث يذكر أن محيط الصخرة مائة ذراع، و أنها غير منتظمة الشكل، و قد بنو على جوانب الصخرة الأربعة أربع دعائم مربعة، بين كل دعامتين عمودان أسطوانيان من الرخام، و على قمة تلك الدعائم و الأعمدة لاثني عشر، بنو قبة التي تحتها الصخرة، والتي يبلغ محيطها مائة و عشرون ذراعا، و هي قبة عظيمة تراها على بعد فرسخ كأنها قمة جبل [2].

---

[1] سفر نامة، ناصر خسرو، ص 78.

[2] المصدر نفسه، ص 79.

و عن الصخرة الموجودة داخل بناء قبة الصخرة، يذكر أنها أعلى من الأرض بمقدار قامة رجل، و قد أحيطت بسياج من الرخام، و الصخرة حجر لونه أزرق، في ناحيتها المواجهة للقبلة انخفاض، و قد زينت الأرض بسجاد جميل من الحرير و غيره، و في الوسط قنديل من الفضة، و يضيف خسرو أنه رأى بقبة الصخرة شمعة كبيرة جدا، طولها سبع أذرع و قطرها ثلاثة أشبار، أما لونها فهو كالكفور و شمعها مخلوط بالعنبر [1].

و بعد الانتهاء من وصف "قبة الصخرة"، قبة السلسلة، قبة جبريل، و قبة الرسول صلى الله عليه وسلم، و المقام الشامي.

لقد أثار جمال و روعة هذا الصرح المعماري (قبة الصخرة) قريحة الرحالة ناصر خسرو مما جعله يصفها وصفا جميلا و رائعا، و بذلك يحفز القارئ على زيارتها.

و الظاهر أيضا أن "قبة الصخرة" أثارت انتباه الرحالة ريتشرد بوكوك بدوره، فقام بوصفها و من بين ما ذكره عنها أنها تقع وسط ساحة المعبد ، و هي مسجد جميل مثمن فوقه قبة، و هو أروع و أجمل الأمكنة التي يمكن للعين أن تراها. و هي مغشاة بالرخام من كل الألوان، و قد قيل له أنها أجمل من الداخل[2].

و من خلال هذا الوصف يظهر لنا جليا أن الرحالة لم يرها من الداخل، لأنه وصف شكلها الخارجي فقط، مع أن إعجابه بهذا البناء كان واضحا.

أهم ملاحظة يمكن الخروج بها من هذين الوصفين:

أن وصف الرحالة ناصر خسرو كان أشمل لأنه أطلعنا على حالتها في تلك الفترة. أما الرحالة بوكوك فقد جاء وصفه سطحيا و ناقصا.

إعجاب كلا الرحالين بهذا البناء يظهر جليا من خلال حديثها عنه.

---

[1] سفر نامة، ناصر خسرو، ص80.

[2] Voyage en Orient, Richard Pockocke, p 41.

* هو نوع من الزيت يستخرج من صمغ بعض الأشجار و يسمى أيضا (سانتا لوزي).

كنيسة القيامة:

لقد كانت كنيسة القيامة محل اهتمام الرحالة ناصر خسرو، حيث خصص لها جزءا من رحلته. و أول ما يجذب انتباه قارئ الرحلة هو التسمية فهو يدعوها بـ "كنيسة القمامة" بدل "القيامة". ثم يؤكد أن لهذه الكنيسة مكانته عظيمة عند النصارى، مما يجعل الحجاج الروم يخصونها بالزيارة، كما يشير أيضا إلى زيارة ملك الروم لها متخفيا، و إلى حادثة هدمها من قبل الحاكم بأمر الله و إعادة بناءها من جديد. لينتقل بعدئذ إلى الوصف المعماري لهذه الكنيسة ليذكر أنها كنيسة فسيحة، عظيمة الزخرف من الرخام الملون بالنقوش و الصور، و هي مزدانة بالديباج الرومي و الصور التي زيت بطلاء من الذهب و زيت السندوس*، و قد غطى سطح كل صورة بلوح من الزجاج الشفاف على قدها حتى لا يصل الغبار إليها.

كما أشار أيضا إلى لوحة مقسمة إلى قسمين عملا لوصف الجنة و النار، نصفها يصف الجنة و أهلها، و نصف يصف النار و أهلها و من يبقى فيها[1].

و اكتفى بهذا الوصف ليشير في الأخير أنها كنيسة فريدة من نوعها ليس لها نظير فيه، كما أشار أيضا إلى جماعة من الرهبان و القسيسين الذين يقرؤون الإنجيل و يصلون و يشتغلون بالعبادة ليل نهار يقيمون داخل هذه الكنيسة [2].

كما أخذت كنيسة القيامة مكانا خاصا في رحلة بوكوك، و من بين ما ذكر عنها: أن الإمبراطورة هيلانة قامت ببناء هذه الكنيسة في المكان الذي وجدت فيه لوحة الصليب (أي اللوحة التي صلب عليها المسيح عليه السلام). ثم يبدي إعجابه بهذه الكنيسة قائلا: "إنها في غاية الجمال". و أنها مليئة بأشجار السرو، حيث قام أحد الملوك الأسبان بإصلاح هذه الكنيسة، مستعملا الأخشاب التي تحصل عليها من هذه الأشجار في هذه الإصلاحات.

ثم ينتقل إلى الحديث عن الإضاءة فيشير إلى أن هذه الكنيسة تستقبل ضوء النهار عبر كوة تقع أعلى القبة مثل كنيسة روما.

---

[1] سفر نامة، ناصر خسرو، ص 89.

[2] سفر نامة، ناصر خسرو، ص 89.

و الملاحظة الأخيرة تؤكد لنا زيارة بوكوك لكنيسة روما، حيث حاول أن يبرز التشابه بين الكنيستين، ثم ينتقل الرحالة إلى وصف الكنيسة من الناحية المعمارية، فيذكر أن تحت هذه الكنيسة يوجد دهليز، و هو يشكل 4/3 من مساحتها، و إذا أضفنا المدخل الذي يقود إلى جوقة اليونان فهي تمثل 4/4 من المساحة (أي 4/1). و بهذا يمكننا أن نلاحظ أن هذا الدهليز يمثل الجزء الأكبر من الكنيسة ، كما يشير أيضا إلى أنَّ أكبر قسم من هدا الدهليز يمتلكه اللاتين . أمَّا الجزء التحتي من الكنيسة فهو مغلق وهو ملك لأجناس مختلفة من الطوائف . ومن بين الأمور التي رآها الرحالة بوكوك في الكنيسة ، الصخرة التي وضعت عليها جثة المسيح ، و شمال الكنيسة رأى أربعة قبور لملوك تجهل أسماءهم ، وقد قيل أنَّ رفاتهم نقلت إلى أوربا . كما لاحظ وجود مصلى اللاتين ، ومدبح علقت أمامه لوحة الصليب ، بالإضافة إلى بعض الرهبان داخل الكنيسة ، الدين كانوا يحصلون على حاجياتهم من خلال نافدة موجودة على باب الكنيسة الخارجي التي ذكر أنها كانت مزينة بالرخام الرمادي . [1]

يمكن أن نستنتج بعض الأمور من خلال ما ذكره ا لرحالة بوكوك من بينها :

أنَّ كنيسة القيامة كانت مقسمة بين الطوائف المسيحية ، من بينهم اللاتين .

يبدوا أنَّ بوكوك زار القدس في فترة احتفال المسيحيين ، لأنَّ المعروف أنَّ أبواب كنيسة القيامة لا تفتح إلاَّ يوما واحدا في السنة (يوم الاحتفال) ، ووصف يدل على أنه دخل الكنيسة .

لم يكن وحده عندما دخل الكنيسة ، لأنَّ الرحالة استعمل لفظ (أرونا) .

أمَّا إدا قارنا بين وصف الرحالين لكنيسة القيامة فيمكن أن نلاحظ :

يتفق كلاهما على أنَّ هده الكنيسة فريدة من نوعها ، وأنه لا نظير لها في العالم (لجمالها) .

لاحظ الإثنان وجود فئة أو مجموعة من القسس و الرهبان الدين يعيشون داخل الكنيسة (لا يخرجون منها) .

ويختلفان في :

---

[1] voyage en orient, richardpockocke, p 44.

كان وصف الرحالة خسرو أكثر جمالا ودقة من وصف الرحالة بوكوك .

اهتم الرحالة خسروا بالجانب العمراني والجمالي لهده الكنيسة ، أما الرحالة بوكوك فقد كان جل اهتمامه منصبا على الجانب التاريخي لهده الكنيسة .

نلاحظ أنَّ كنيسة القيامة طرأ عليها تغيير كبير خلال التاريخ ، كتقسيمها بين الطوائف المسيحية .

الفرق بين الرحلتين :

ذكر الرحالة بوكوك بعض الاحتفالات التي كانت تقام أمام كنيسة القيامة من بينها :

دكره لتاريخ وصوله إلى بيت المقدس وهو (19 مارس) والدي يصادف عيد أحد الشعانين يجعل القارئ يعلم أن الرحالة جاء إلى القدس بهدف الحج ، وحضور الاحتفالات التي كانت تقام في كنيسة القيامة . وقد أخدت هده الاحتفالات جزءا كبيرا من رحلته ، حيث ذكر عنها الكثير ومن بين ما ذكره :

أنه رأى رئيس الكهنة وهو يلبس لباسه الرسمي الكهنوتي ، ويجلس على كرسي وهو يقرأ بعض الأدعية ، ويأخذ مجموعة من الأغصان الصغيرة ليباركها ، وبعد أن يحتفظ بأحد الأغصان ، يوزع ما تبقى منها على المتواجدين . حيث يتسلمونها وهم راكعين على ركبهم ، فاتحين أيديهم . وينتقل الرحالة إلى طقس آخر فيذكر : أنه رأى مجموعة من الرهبان وهم يقومون بالدوران حول كنيسة القيامة ، وينشدون بعض الأناشيد مستعملين لغتهم القديمة .ثمَّ يذهب هؤلاء الرهبان إلى أحد الصخور من أجل التبرك . وينتقل إلى الحديث عن اليوم الثالث والعشرين ، حيث شاهد رئيس الكهنة وهو يركع على ركبتيه ، حيث يقوم بغسل أرجل اثنا عشر راهبا أمام باب كنيسة القيامة ، ثمَّ يعطي كل واحد منهم صليبا ، ويشير في الأخير أنَّ الأرمن واليونان يقومون بنفس الطقوس الأسبوع الذي يليه .[1]

يبدوا أنَّ كل طائفة من الطوائف تأخذ دورها في الاحتفال بهدا اليوم ، ربما يكون هدا منعا لازدحام الحجاج ، وبالتالي للحوادث .

[1] Voyage en orient , richard pockocke , p 49

ويأتي دور طائفة الأرمن حيث يقوم بوصف احتفالهم ، فيدكر أنه شاهد المطران الأرمني وهو يضع حزاما أزرق حول خصره وهو راكع على ركبتيه فوق درابزين ، وكاهنا آخر يجلس على كرسي ، وهو يضع رجليه في إناء أمامه ، حيث يقوم المطران بغسل رجلي الكاهن ، ثمَّ يدهنهما بمرهم معطَّر . وهو يرى أنَّ احتفال طائفة اليونان كان أكثر روعة من الاحتفالات الأخرى .

ويقام على الدرج الخارجي لكنيسة القيامة احتفال آخر ، ليقوم أحد المطارنة بالصعود إلى أعلى الدرج الموجود أمام الكنيسة ، حيث يصطف الرهبان الإثنا عشر متتابعين ، ويأخذ المطران قطعتين من القماش ويضع إحداهما على كتفيه والأخرى التي تكون من الحرير يضعها على باقي جسده ، وأسفل الدرج هناك إناء كبيرمن الماء ، وقد نقعت به بعض الأعشاب المعطرة ، ثمَّ يقوم كل راهب من الرهبان الإثنا عشر بوضع أحد رجليه في الإناء حيث يغسلها المطران ويمسحها ، ويقومون باختيار أكبر الرهبان عمرا لحمل الإناء وتسليمه إلى المطران ، ليقوم هدا الأخير بوضع رأس من الخس في دلك الماء ويرش به على الحاضرين ، والباقي من الماء يرمي به على جسده ، وفي هده الأثناء يتسابق الرهبان محاولين

مسح الإناء بمناديلهم ، حتى أنَّ البعض يلتقط بقايا الأعشاب التي نقعت .[1]

لقد روى الرحالة بوكوك كلَّ ما شاهده عن احتفال طائفة اليونان . والتي تختلف قليلا عن الطوائف الأخرى .

وينقل إلى الحديث عن اليوم الرابع والعشرين والدي يصادف يوم الجمعة المقدسة ، ومن بين الطقوس التي شاهدها بوكوك وذكرها في رحلته أنَّ في هدا اليوم يذهب اللاتين إلى الرواق الخاص بهم ، قبل طلوع الشمس

[1] Voyage en orient , richard pockocke , p 50

حيث ويتناولون وجبتهم وهم راكعين ، وتقتصر وجبتهم على الخبز والبصل الأخضر والماء ، أمَّا في المساء ، فيذهبون جميعهم إلى كنيسة القيامة ، (لعلَّه يقصد بالجميع الرهبان ، الزوار من الحجاج) .[1]

حيث يجدون أحد الرهبان وهو يعظ الحاضرين مستعملا اللغة الإيطالية ، ثمَّ يذهبون إلى دير أخر أين يجدون واعظا آخر يستعمل اللغة الفرنسية ، وآخر اللغة الإسبانية .[2]

وربما يكون اختلاف اللغات والأماكن التي يقام الوعظ فيها إلى : وصول الوعظ إلى جميع الجنسيات على اختلاف لغاتهم . أما اختلاف الأماكن فربما يعود إلى محاولتهم بالتبرك بكل الأماكن التي مرَّ بها المسيح عليه السلام و المسيحية .

كما يذكر أنَّه شاهد مجموعة من الرهبان وهم يحملون لوحة الصليب مع هيكل مثبَّت عليها ، ويقوم أحد الرهبان بفك المسامير التي تثبت الهيكل ، وكلما فكَّ الراهب أحد المسامير وعرضها على الجمع الموجود ، يضرب هؤلاء على صدورهم ، ثمَّ يضعون الهيكل على قطعة قماش بيضاء ليحمله أربعة رهبان إلى صخرة الصلوبية ، حيث يمسحون الهيكل بالزيت و يعطرونه وينقلونه إلى كنيسة القيامة وتنتهي طقوس هدا اليوم الساعة الحادية عشر ليلا .[3]

ويصل أخيرا إلى يوم الفصح الذي يكون في اليوم الرابع والعشرين حسب قوله . حيث تفتح أبواب كنيسة القيامة في هدا اليوم ، ويقوم اللاتين بوضع نجمة على واجهتها . وفي اليوم الذي يليه يحمل ثلاثة رهبان صلبان من الفضَّة ويقومون

---

[1] المصدر نفسه ، ص 51 .

[2] Voyage en orient , richard pockocke , 50

[3] المصدر نفسه ،ص 51

بالدوران حول كنيسة القيامة ثلاث دورات ، وهم ينشدون الأناشيد ويقيمون الصلوات .[1]

كما يشير إلى أنَّ النصارى الشرقيين يشاركون في الاحتفال بهدا العيد ، فهم يقومون بتوزيع أغصان النخيل أثناء دورانهم حول كنيسة القيامة .[2]

نلاحظ أنَّ كلا الرحالين زار القدس في نفس الشهر ، فناصر خسروا وصل إليها (16 مارس) ، أمَّا بوكوك فقد وصلها (19 مارس) ، إلا أنَّ ناصر خسرو لم يذكر أي احتفال . و بهدا يمكننا أن نستنتج أنَّ هده الاحتفالات استحدثت بعد زيارة ناصر خسروا للقدس ، (أثناء الاعتداء الصليبي على القدس).

أسلوب كلا الرحلتين :

لقد كتب الرحالة ناصر خسرو رحلته بأسلوب أنيق حيث حرص فيه على جمال التعبير و الصياغة ، فجاءت جمله طويلة وقصيرة حسب ما أراد الوصول إليه من خلال الوصف . فكان وصفه دقيقا و جميلا وواضحا يجعل القارئ يتخيل الموقع الذي يصفه وكأنه يراه أمامه .

أمَّا ألفاظه فجاءت سهلة ومعبرة ، فيسهل على القارئ فهمها دون عناء أو تعب ، ولا يوجد بها غموض . وبهدا يمكننا القول أنَّ الرحالة ناصر خسرو عرض أفكاره بأسلوب سهل ومفهوم .

أمَّا عاطفته فقد ظهرت وتجلت في إعجابه الكبير بكل الأماكن التي زارها في بيت المقدس ، خاصة المسجد الأقصى و قبة الصخرة ، كما حاول إمتاع القارئ من

---

[1] المصدرنفسه ، ص 72

[2] المصدر نفسه ، ص 73

خلال وصفه الجميل والدقيق في آن واحد . ويظهر أيضا في محاولته في التأثير فيه ، ليحفزه على زيارة هده الأماكن الموجودة هناك (بيت المقدس) .

أمَّا أسلوب الرحالة بوكوك فقد جاء بسيط وواضح في نفس الوقت ، لأنه توخى في كتابته الدقة لا الجمال ، كما اعتمد في وصفه على سرد معلومات تاريخية . وجاءت ألفاظه واضحة أيضا تصل بالقارئ إلى المعنى الحقيقي .

ومن خلال طريقته في الوصف نشعر أنَّ الرحالة يحاول أن يضع خريطة لكل من يريد زيارة القدس من المسيحيين خصوصا ، ودلك لأنه ركز على وصف الأماكن التي تخص المسيحيين فقط دون غيرها .

أمَّا عاطفة الرحالة ريتشرد بوكوك فغلب عليها الحزن و الامتعاض ، ويصل أحيانا إلى الكراهية ، ويظهر دلك من خلال نقمته على الأتراك و المسلمين الدين يحكمون بيت المقدس ، ورفضه الاعتراف أنَّ المسجد الأقصى هو مسجد وليس كنيسة أو معبد ، وقد حاول التأثير على القارئ المسيحي من خلال حثه على زيارة هده الأماكن الموجودة في القدس . حتى أنه حثَّ المسيحيين على التنقيب عن الآثار التي يزعم أنها موجودة في بيت المقدس ، وهي لم تكتشف بعد ، ويحثهم على استرجاعها .

و بهدا يُظهر الرحالة بوكوك انتماءه وآراءه وثقافته للقارئ .

ومن خلال قراءة الرحلتين نلاحظ أنَّ كل رحالة تحيز إلى قومه ، حيث ركز كل منهما على وصف الأماكن التي تخصُّ قومه .

المقارنة بين الرحلتين :

أول أمر يلاحظ هو تاريخ الرحلتين المتباعد ، فرحلة ناصر خسرو كانت في القرن الحادي عشر وبالتحديد (عام 438هـ / 16 مارس 1047م)

أما رحلة الإنجليزي بوكوك فكانت في القرن الثامن عشر عام 1737م .

الانتماء : الرحالة ناصر خسرو مسلم ، أما بوكوك فهو مسيحي .

طريقة الوصف كانت مختلفة بين الرحالين ، فالرحالة خسروا ذكر في البداية تاريخ وصوله ، ثمَّ بدأ حديثه عن الحجاج الدين كانوا يزورون المدينة (عددهم) ، ثمَّ وصف المدينة جغرافيا (موقعها) ، ثمَّ وصف أهم الأماكن المقدسة بداية من مسجد مهد عيسى ، ومرورا بالمسجد الأقصى ، ليصل إلى قبة الصخرة . أما الرحالة بوكوك فقد قام بذكر كل جبل على حدا ، ثمَّ وصف كل ما يوجد عليه ، كما تطرق إلى الأودية المحيطة ببيت المقدس ، إضافة إلى المقابر المحيطة بها ، والاحتفالات التي كانت تقام أمام كنيسة القيامة .

وأول شيء يذكره بوكوك أنَّ المؤرخين يشكون إن كانت أورشليم هي أرض السلام التي وعد الله إبراهيم عليه السلام .

فيما يخص الاسم فخسرو يذكرها باسم بيت المقدس كما يشير أنَّ أهل الشام كانوا يسمونها القدس ، هدا ما يقودنا إلى معرفة أنَّ اسم (القدس)

كان متداولا في القرن الحادي عشر ، وبهدا فهو ليس اسما مستجدًّا .

أمَّا بوكوك فيذكرها باسم أورشليم ، ويشير أنها حملت أسماء عدَّة منها : يبوس ، إيلياء ، القدس الشريف .

ومن خلال قول خسرو: " ويذهب إلى القدس في موسم الحج من لا يستطيع الذهاب إلى مكة من أهل هده الولايات (أي الشام وأطرافها) ، فيتوجه إلى الموقف

ويضحي ضحية العيد كما هي العادة ، أكثر من عشرين ألف شخص في أوائل ذي الحجة ومع أبنائهم . "[1]

يمكننا أن نلاحظ أن خسرو اعتمد على معلومات خاطئة ، وهي تلك التي تقول أنَّ قبة الصخرة عمرت لتكون بدل الكعبة (حتى يحج إليها من لا يستطيع الحج إلى مكة) ، كما ذكر إحصائية تقول أنَّ هناك أكثر من عشرين ألف مسلم كانوا يزورون القدس مع أبنائهم للحج ، ربما كانوا يزورونها لأنَّها ثالث الحرمين لا من باب الحج وشتان بين الأمرين .

وعن حج الأجانب إلى بيت المقدس يقول ناصر خسرو : " كذلك يأتي لزيارة بيت المقدس ، من ديار الروم ، كثير من النصارى واليهود ، ودلك لزيارة الكنيسة و الكنيس " . [2] من خلال البحث يمكن لنا أن نشكَّ في قوله هدا لأنَّه حسب بعض الآراء لم يكن هناك كنيس في القدس أنداك .

وفي نفس الإطار أي الحج إلى بيت المقدس (الأجانب) يذكر الرحالة بوكوك الطريقة التي يستقبل بها الرهبان الحجاج بدير اللاتين فيقول : بمجرد وصول الحجاج إلى باب أورشليم ، يبعث إليهم بمترجمين ، ثمَّ يأخذون إلى الدير حيث يجدون غرفا من أجل السكن ، ورهبان مخصصون لخدمتهم ، وهناك من الحجاج من يستأجرون خدما لمرافقتهم إلى الأماكن المقدسة ، أمَّا الحجاج الأغنياء فكانوا يستأجرون خدما و أدلاء ومساكن خاصَّة مجهزة بكل ما يحتاجونه ، أمَّا البعض ممن كان لهم معرفة خاصة بالرهبان ، فكانوا يتناولون وجباتهم مع الرهبان في مطعمهم ، أمَّا وجباتهم فكانت عبارة عن ثلاثة أو أربعة أصناف من المأكولات مع

---

[1] سفر نامة ، ناصر خسرو ، ص 67 .
[2] المصدر نفسه ، ص 67 .

نبيد أبيض (خمر) يكون غالبا من صنع نصارى أورشليم . كما يوفر لهم الرهبان تسلية خاصة ، فأثناء تناولهم لوجباتهم كان أحد الرهبان يقرأ لهم .[1]

فيما يخص المسجد الأقصى فقد ذكره ناصر خسرو باسمه أمَّا الرحالة بوكوك فقد ذكره باسم المعبد ، لكنَّ الاثنان اتفقا على أنَّ سليمان هو الذي بناه .

لقد كان وصف الرحالة خسرو للمسجد الأقصى وصفا دقيقا وجميلا ، حيث استهلك منه عدة صفحات ، أمَّا الرحالة بوكوك فقد جاء وصفه ناقصا ، لأنَّ جلَّ اهتمام الرحالة انصبَّ على تاريخ هدا المعبد (المسجد الأقصى) ، وهو لم يقم بوصفه وصفا عمرانيا ، وهدا يقودنا إلى الاستنتاج أنَّ بوكوك لم يدخل إلى المسجد الأقصى .

ونلاحظ أيضا أنَّ ناصر خسرو ذكر الجزء المسقوف من المسجد الأقصى قال (المقصورة) ، وأثناء حديثه عن الجزء الشمالي من المسجد الأقصى

أشار إلى وجود ثلاثة أبواب : (باب النبي ، باب حطَّة ، باب السكينة) ، ويذكر إبراهيم الفني في كتابه : القدس في العصر البيزنطي و الإسلامي 364/ 1917م) أنَّه كان يقصد بها (باب العتم ، باب حطة ، باب الأسباط) .

أمَّ بوكوك فيذكر أنَّ هدا القسم من المدينة كان مليئا ببقايا المعبد ، ولو حاول المسيحيون بعدما حكموا المدينة أن يبحثوا في هدا المكان وخارجه خاصَّ' في شرق المعبد ، وجنوب تل صهيون ، لكانوا وجدوا من دون شكّ الكثير من بقايا المعبد و بعض القصور التي بنيت على تل صهيون و التي تعود للمسيحيين . وبهدا يظهر جليا أنَّ بوكوك يعتبر أنَّ المسجد الأقصى (المعبد) هو ملك للمسيحيين ، كما أنه

---

[1] Ebit voyage en orient , richard pockocke , p 48

يدعوا المسيحيين إلى البحث والتنقيب الحثيثين في دلك المكان ، علَّهم يجدون شيء يثبت ملكهم للمكان ، كما أنَّه عاب عليهم تقاعسهم عن البحث .

أمَّا قبة الصخرة فقد وجدت من اهتمام ناصر خسرو الكثير من الاهتمام ، حيث قام بوصفها وصفا دقيقا ، يجعل القارئ يتخيلها و يتمنى زيارتها . وبالمقابل نجد أنَّ بوكوك لم يذكر عنها إلاَّ القليل ، شكلها الخارجي ، والأمر الأكيد أنَّه لم يدخل إليها .بل رآها من بعيد .

والأمر المشترك بينهما هو إعجابهما بهدا المكان .

أمَّا أبواب مدينة بيت المقدس فيذكرها خسرو باختصار شديد فقال عنها : " إنَّ أبواب بيت المقدس ، ما تحت الأرض وما فوقها تسعة أبواب ."[1]

لكنَّ بوكوك ذكر أحدا عشر بابا ، لكنَّه أخطأ في تصنيفها فمثلا : ذكر أنَّ باب داود (التجار ، السمك ، بيت لحم) تقع في الركن الشمالي الغربي من المدينة ، مع أنَّ باب داود هو الباب الذي يقع في الركن الجنوبي الغربي . كما لاحظنا أنَّ بوكوك ركَّز في وصفه على الأبواب الموجودة أو التي تؤدي إلى تل صهيون .

وعن ما قيل عن المقابر فقد لاحظنا أنَّ خسرو ذكر مقبرة واحدة وهي الموجودة على حافة سهل الساهرة ، أمَّا بوكوك فقد وصف عددا كبيرا من الأضرحة الموجودة ببيت المقدس أنداك ، وخاصة الأضرحة الموجودة على الصخور المحيطة بالقدس .

ومن بين الأمور التي لاقت اهتمام الرحالين (خسرو و بوكوك) "عين سلوان " ، حيث ذكر خسرو موقعها وبعض الأبنية المحيطة بها ، كما أشار إلى أنَّ ماءها يشفي الأمراض ، أمَّا بوكوك فقد وصف العين من الناحية العمرانية و الجغرافية ، أمَّا ماءها فأشار أنه لا يصلح للشرب .

---

[1] سفر نامة ، ناصر خسرو ، ص 77 .

والأمر الذي اتفق عليه الاثنان هو أنَّ الطريق التي تؤدي إلى هده العين هي طريق صعبة ومخيفة .

وعن الأشجار في بيت المقدس ، نجد أنَّ ناصر خسرو شاهد ببيت المقدس شجرة الحور ، أمَّا بوكوك فقد ذكر أنَّ كنيسة القيامة كانت تغصُّ بأشجار السرو .

لقد استعمل الرحالة بوكوك أسلوب التحفظ من خلال استعماله لبعض المفردات التي لا تدل على اليقين مثل : probablement , en dit ,si je ne me tromp pas , en croit , il parait.

وكلُّ هده المفردات تدلُّ على الشك و الريبة ، وعدم التأكد من الأمور ، كما استعمل خسرو فقد استعمل لفظ " يقال " في بعض الأحيان .

الخاتمة

الخاتمة:

أهمية البحث: و تكمن أهمية هذا البحث من خلال المعطيات التالية:

إن هذا البحث يؤكد على عروبة القدس و إسلاميتها من خلال كتابات الرحالة العرب و الأجانب.

إبراز القيمة التاريخية و الأهمية الكبيرة لبيت المقدس و مكانتها الدينية الرفيعة من خلال الكتب السماوية (التوراة، الإنجيل، القرآن)

تسليط الضوء على كتابات الرحالة الأوروبيين و نظرتهم للقدس و المسلمين.

إبراز دور الرحالة المسلمين و الأجانب في وصف الأماكن الإسلامية و المسيحية في بيت المقدس.

تسليط الضوء على الأوضاع الاقتصاديةو الاجتماعية في بيت المقدس من خلال كتابات الرحالة العربي و الأجانب.

و أبرز النتائج التي خرجنا بها من خلال هذا البحث هي:

أول وجود بشري في منطقة القدس يعود إلى بداية العصر البرونزي المبكر، بشكل صغير جدا على مرتفع أوفلو قرب عين جيجون.

الفضل الأول لوجود مدينة القدس يعود لوجود عين جيجون (المصدر الرئيسي للمياه).

رسائل (تل العمارنة) دلت على أن القدس لم تكن معزولة عن العالم بل كان لها علاقات مع ما جاورها من مناطق.

أنشأت القدس فوق قمم أربعة جبال هي (أوقل، موريا، صهيون، بتزيتا).

تجمع المصادر التاريخية على أن أول من بنى مدينة القدس و أول من سكنها و حدد معالمها هم اليبوسيون و هم بطن من بطون الكنعانيين الذين نزحوا من الجزيرة العربية إلى فلسطين، و بهذا يمكن التأكيد أن القدس هي مدينة عربية دون أدنى شك في هذا.

أول اسم حصلت عليه هذه المدينة هو (يبوس)، و الأمر المتفق عليه هو أن كل الأسماء التي لقبت بها اشتقت و أخذت من أصول دينية و تاريخية.

تغير اسم هذه المدينة عدة مرات، فقد سماها اليهود (مدينة داود) و سماها الرومان (إيليا كابيتوليما) و اسم إيلياء كان اسمها قبل فتح المسلمين لها، كما أعطاها قسطنطين اسم (أورشليم)/ أما المسلمون فقد أعطوها (اسم بيت المقدس، ثم القدس الشريف، ثم القدس).

غزت القدس أقوام عديدة، كان أولها الفراعنة ثم العبرانيين، الآشوريين، البابليين، الفرس، اليونان، البطالمة و السلوقيين، الرومان، البيزنطيين إلى أن عاد إليها العرب.

بم يأت الإسرائيليون إلى القدس إلا بعد ثلاثة آلاف سنة منذ نشأتها، ففي سنة ألف قبل الميلاد تجمعت القبائل الإسرائيلية و هاجمت القدس.

من خلال البحث فيس تاريخ القدس نلاحظ أن اليهود و في كل مرة يكونون السبب في تدميرها و خرابها مرارا و تكرارا.

لم يحكم اليهود القدس سوى فترة قصيرة ، و قد قاموا باقتباس الشيء الكثير من الحضارة التي عرفت بها القدس، فغيرت من طريقة عيشهم، و طورت حياتهم و نقلتهم من حياة البداوة إلى المدينة.

لقد كان وجود اليهود في القدس نعمة بالنسبة لهم، و لكن بالمقابل كان وجودهم فيها نقمة عليها، فقد دمرت مرتين تدميرا كاملا من قبل (نبو خذنصر) و من قبل (تيتوس). و الأكيد أيضا أنهم لم يعيدوا بناءها في كل مرة.

لقد وضع الفتح (العمري) نهاية لقرون من عدم الاستقرارو الإقصاء الديني و الاضطهاد و الحكم الاستعماري. لم ترق فيه قطرة دم، عكس ما كان يحدث سابقا مع الأمم الأخرى.

لقد رحب أهل القدس العرب المسيحيين و الروم المسيحيين بدخول المسلمين إليها و الأمر الأكيد أنهم رفضوا أن يساكنهم اليهود بها هذا ما أثبتته المصادر و المراجع مثلا (العهدة العمرية).

أكد البحث أن الفاتحين الأوائل من المسلمين لبيت المقدس، لم يجدوا فيها سوى أهلها (من العرب المسيحيين و بعض الروم المسيحيين) فقط.

كفل المسلمون عند فتحهم للقدس حرية الأديانو الأماكن المقدسة، فقد دخلوها صلحا، كما أنهم لم يعتدوا لا على المسيحيين و لا على الأماكن الخاصة بهم.

أكدت بعض المصادر أن المسلمين لم يحاولوا بناء مساجد في الجانب المسيحي من القدس.

ترسخ العلاقة بين المسلمين و القدس و المسجد الأقصى بعد الإسراء و المعراج على الفور، بجعل القدس قبلة للمسلمين.

تمتعت القدس بمكانة رفيعة في نظر الم سلمين، عززتها الآيات القرآنية و الأحاديث الشريفة إلى جانب اعتماد الرسول صلى الله عليه و سلم غزوتين (مؤتة 8هـ / تبوك 9هـ) و قد كانتا الأساس الأول في محاولة ضم القدس إلى البلاد الإسلامية.

بعد الفتح العربي للقدس بدأت الثقافة العربية و اللغة العربية و القيم العربية تسود بيت المقدس إضافة إلى الأمن و السلام و التسامح الديني بين المسلمين و المسيحيين، و شهد بهذا التسامح بعض الرحالة العرب منهم و الأجانب مثل (برنارد الحكيم، و المقدسي...).

حظيت مدينة القدس و المسجد الأقصى و قبة الصخرة بالرعاية و الاهتمام في جميع العصور و المراحل التاريخية (من قبل الخلفاء أولا ثم الحكام بعد ذلك)، و كانت أعمال التجديد و الترميم و الزيادات في البناء دائمة و مستمرة.

في عهد الخلافة الأموية (عهد معاوية) ازدادت حركة الحج إلى بيت المقدس. كما قام عبد الملك بن مروان ببناء قبة الصخرة و المسجد الأقصى، و الأمر الملاحظ أن الرحالة اختلفوا بين مؤيد و معارض على أن الدافع وراء بناء قبة الصخرة كان سياسيا، و لكن الراجح أن عبد الملك بن مروان كان هدفه غير ذلك.

يبدو من خلال البحث أن حركة الحج إلى بيت المقدس بدأت في عهود متقدمة ، لكن أصحاب الرحلات لم يتركوا أثرا مكتوبا عن رحلاتهم و من بينها إحدى الرحلات لرجل دين فرنسي الذي زار القدس سنة (31 م).

و توالت الرحلات الأجنبية إلى بيت المقدس بعده.

الملاحظ أن الرحلات الأجنبية الأولى للقدس، كانت رحلات حج (رحلات دينية)، و ذلك لأن أغلب الزوار من رجال الدين ، الرهبان أو الراهبات.

الحج المسيحي لعب دورا بارزا في اندلاع الحرب الصليبية.

الدافع الحقيقي وراء الحروب الصليبية كان دافعا اقتصاديا، لكن الدافع الظاهر كان دافعا دينيا.

الأمر الأكيد الذي أثبتته الدراسات (الرحالة و الم ؤرخين) أن الصليبيين ارتكبوا مذابح بشعة و مجازر يندى لها الجبين في بيت المقدس بمجرد احتلالها، و قد اعترف بهذا الجميع و منهم من كانوا متفاخرين كالرحالة (فوشيه الشارتري).

قام الصليبيون بإزالة العنصر العربي المسلم من بيت المقدس (فأبادوا و قتلوا الجميع دون استثناء).

الأمر اللافت للانتباه أن الرحالة سواء العرب منهم أو الأجانب لم يذكروا ما حدث في القدس آنذاك، حتى الرحالة الذين زاروا القدس في تلك الفترة (من العرب كالبلوي). أما الرحالة الأجانب فقد تجاهلوا ذكر تلك الأحداث فركزوا اهتمامهم على ذكر الكنائس و الأديرة و المزارات المقدسة، و إيراد العديد من معجزات المسيح عليه السلام و الحواريين و القدسيين.

شهدت الفترة الصليبية في القدس زيارات كثيرة من الرحالة من مختلف الجنسيات.

أحدث الصليبيون تغييرات كثيرة في بيت المقدس منها إحلال العنصر الإفرنجي بدل سكانها المسلمين.

تحويل أهم المعالم الإسلامية (المسجد الأقصى الذي حول إلى إسطبل للخيول و مستودع للأسلحة) قبة الصخرة حولت إلى مقر لفرق الداوية) كما (حولت المدرسة الشافعية إلى كنيسة).

أكد بعض الرحالة الأجانب الذين زاروا القدس في فترة الاحتلال الصليبي على التنوع السكاني في المدينة من (جميع الجنسيات) دون أن يذكروا المسلمين أو اليهود.

ازدهار حركة البناء في العهد الصليبي (الكنائس و الأديرة، الأبراج، الأسوار، الفنادق من أجل الحجاج، الأحياء السكنية).

الثابت أيضا أن رحلات الحج الأوربي إلى بيت المقدس حدث بها تطور هام في نهاية القرن الحادي عشر الميلادي، فقد أصبح الحج ظاهرة جماعية بعد أن كان ظاهرة فردية.

أغلب الرحالة الأجانب إن لم نقل كلهم من الذين زاروا بيت المقدس في الفترة الصليبيين، وصفوا المجاهدين الذين كانوا يدافعون عن أرضهم بـ (الكفرة، الوحوش، الهمجي ين، القتلة...)، و ذكروا أنهم كانوا يسرقون و ينهبون و يقتلون الحجاج بوحشية. كما ذكروا الطريق الوعرة و المخيفة التي كانت تفصل بين يافا و القدس في عدة مناسبة.

كما تجاهلوا ذكر الأسباب التي جعلت أهلها يقومون بغارات على الصليبيين و الحجاج.

الثابت أيضا أن الوجود المغاربي في القدس ارتبط بداية بزيارة مكان مقدس، و لما احتلها الصليبيون أصبح المغاربة ذرعا و يدا تساعد و تساند من أجل استرجاع بيت المقدس. ثم أصبحوا بعد ذلك جزءا من سكانها، و خصصت لهم أماكن (كالحارة، الزوايا، أوقاف..)

ذكر العديد من الرحالة حادثة تشير إلى أن الصليبيين عندما دخلوا بيت المقدس قاموا بجمع اليهود في كنيس و إحراقهم جميعا. و لكن بعض الرحالة فند هذا القول و ذلك من خلال ذكرهم أنه لم يكن بالقدس آنذاك يهودي واحد بعد أن أثبتوا وجودهم هناك.

و من خلال هذا يظهر جليا أن اليهود يخططون منذ القديم، فقد قاموا بتزوير التاريخ و روجوا لبعض الأفكار و الأحداث الخاطئة.

استمر الاحتلال الصليبي للقدس حوالي ثمان و ثمانين سنة (من 1099 م إلى 1187 م).

لعل أول ما يلفت النظر من خلال تتبع عدد سكان المدينة المقدسية، هو عدم وجود حتى أقلية يهودية في المدينة طوال تاريخها(بعد الشتات الأخير). و لكن الأكيد أن عددهم تطور في القدس منذ القرن الحادي عشر و حتى نهاية القرن السابع عشر (ففي القرن 11 م لم يكن في القدس سوى يهودي واحد بينما بلغ عددهم عام 1688م (150 نسمة).

جل الرحالة اليهود انصب اهتمامهم على حصر عدد اليهود في بيت المقدس و أوضاعهم.

المعلومات الشخصية عن الرحالة الأجانب كانت قليلة و شبه منعدمة أحيانا. (لم نجد تراجم خاصة بالرحالة الأجانب).

ذكرت القدس في الكتب السماوية الثلاث: (التوراة، الإنجيل، القرآن).

لقد عاش النصارى في بيت المقدس في ظل تسامح ديني كبير و هذا ما أكده العديد من الرحالة.

استرد صلاح الدين القدس سنة 607 هـ / 1187 م دون أن يريق الدماء بدوره حفاظا على قدسية المدينة و إثباتا و دليلا على أخلاق المسلمين المختلفة تماما عن الصليبيين.

كرس صلاح الدين الأيوبي وقتا كبيرا لبناء المدارس و الخوانق و تشجيع الفقهاء و العلماء للهجرة و الاستقرار في بيت المقدس، من أجل إعادة الهوية الإسلامية لبيت المقدس.

استفادت مدينة القدس من الرعاية المعمارية في فترات عديدة من التاريخ الإسلامي خاصة الأيوبي، عهد المماليك، العثماني الأول.

قام حكام القدس المماليك بتشجيع الحج المسيحي إلى بيت المقدس من خلال توفير ما يحتاجونه من أدلاء، تراجمة. هذا ما أكده بعض الرحالة من خلال رحلاتهم أو مذكراتهم.

شهد بعض الرحالة الأجانب على المعاملة الحسنة التي كان الحجاج الأجانب يتلقونها من حكام و أهل بيت المقدس. و ذكروا ذلك في رحلاتهم.

الملاحظ أن مؤلفات الرحالة الأجانب كانت أكثرها مهتمة بالجانب السياسي و الحربي و الديني، و لم تكن لها فائدة اجتماعية أو اقتصادية إلا النذر منها، و لم تكن ذات فائدة كبيرة بالنسبة للعلوم.

اشتهرت بيت المقدس خلال العصر المملوكي و العثماني الأول بنشاطها الزراعي (وفرة الزيتون و المعاصر)، صناعة الصابون، صناعة الشمع، المنسوجات القطنية، و بعض الصناعات اليدوية، كالمسابح، و المشغولات الفضية من أجل الحجاج الأجانب. كما تخصصت بعض الأسر النصرانية في صناعة النبيذ، إضافة إلى اشتهار القدس بالعسل اللذيذ حسب بعض الرحالة.

أهم السلع التي كان التجار المقادسة يصدرونها إلى البلدان الأخرى: (زيت الزيتون، الصابون الفاخر).

كانت أسواق بيت المقدس مقسمة حسب السلع التي تباع فيها و غالبا ما كان السوق يحمل اسم السلعة التي يتخصص السوق تداولها. و قد لفتت هذه الأسواق انتباه الرحالة فوصفوها و أعجبوا بها.

لقد عانت مدينة القدس من انتشار أمراض فتاكة كالطاعون مثلا الذي حصد الآلاف من سكانها و في عدة مرات كما تعرضت أيضا إلى عوامل مناخية سيئة كالزلازل التي كادت تودي بالأقصى و قبة الصخرة و المنشآت الأخرى مرات عديدة.

يجدر الإشارة إلى أن اختلاف جنسيات الرحالة الأجانب قد أفاد في اختلاف نظرتهمو تعددها (فهناك الرحالة الروسي و الألماني و الاسباني و الفرنسي و الايطالي...) و من الطبيعي أن تختلف اهتمامات كل منهم وفقا للبيئة التي نشأ فيها و معطياتها السياسية و الاقتصادية و الدينية، (و نفس الشيء بالنسبة للجانب العقائدي)، و بذلك يكون وصف الرحالة وفقا لخلفيته.

لقد كانت كتابات الرحالة الذين زاروا بيت المقدس انطلاقا من دوافع عديدة أهمها: الطابع الديني (الحج) بالنسبة للأجانب، أما المسلمين فكان من أجل الدعوة لنشر الدين الإسلامي، النشاط التجاري، انتشار الفتوحات الإسلامية، الرغبة في اكتشاف الأماكن و مواقع البلدان و الأنهار. و قد طغت على هذه الرحلات التي كانت رغبة في طلب العلم (عند الرحالة المسلمين) بما أن بيت المقدس كانت منارة من منارات العلم.

لقد اختلف كتابات الرحالة، في أسلوبها و محتواها، و تباينت في منهجها من شخص إلى آخر (فبعضهم ركز على الجوانب العلمية، و البعض الآخر على الجوانب الاقتصادية أو الجانب الديني أو الجانب الاجتماعي و خاصة العمراني بالنسبة للرحالة العرب المسلمين.

و خلاصة القول أن المادة العلمية التي جاءت في الرحلات العربية كانت أكثر فائدة من تلك التي جاءت في الرحلات الأجنبية.

المصادر والمراجع

المصادر[2]:

القرآن الكريم .

السنَة النبوية .

1. أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر المقدسي ، علق عليه ووضع حواشيه محمد أمين الضناوي ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
2. الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، مجير الدين الحنبلي ، تحقيق عدنان يونس عبد المجيد نباتة ، مكتبة دنديس ، عمان ، 1420 هـ / 1999م .
3. البداية والنهاية ، ابن كثير القرشي الدمشقي ،ج 1 ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة التاسعة ، 1426هـ / 2005م .
4. -. القاموس المحيط ، الفيروزأبادي ، دار إحياء التراث العربي ، مج 1 ، إعداد وتقديم محمد عبد الرحمن مرعشلي ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 1417هـ / 1997م .
5. الموسوعة العربية ، الجمهورية العربية السورية رئاسة الجمهورية هيئة الموسوعة ، مج 15 ، دمشق ، الطبعة الأولى ، 2006م .
6. تاريخ بيت المقدس ، ابن الجوزي ، تحقيق محمد زينهم عزب ، مكتبة الثقافة الدينية ، 1421هـ / 2001م .
7. تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، ابن بطوطة الطنجي ، قدم له وعلق عليه أبو المظفر سعيد بن محمد السناري ، دار الكتاب العربي ، دمشق ، الطبعة الأولى ،2012م .

8. رحلة الأمير ردولف إلى الشرق مصر والقدس ، الأمير ردولف ، ترجمة ودراسة عبد الرحمنعبد الله الشيخ ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،1996م .

9. فتوح البلدان ، أبي العباس أحمد بن يحي بن جابر البلادري ، حققه وشرحه وعلق على حواشيه وأعد فهارسه وقدم له عبد الله أنيس الطباع ، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر ، بيروت ،لبنان ، 1407هـ / 1987م .

10. لسان العرب ، ابن منظور الأنصاري الإفريقي المصري ، تحقيق أحمد عامر حيدر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ،الطبعة الأولى ، 2005م ، ج5 .

11. -. معجم مقاييس اللغة ،أحمد ابن فارس ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، مج5 ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1411هـ / 1991م .

12. -. موسوعة التراث المعماري ، عفيف البهنسي ، ج 2 ، الناشر ، دمشق ، 2004م .

13. موسوعة بيت المقدس والمسجد الأقصى التاريخ ،الآثار، الأمكنة والرجال ، محمد محمد حسن شراب ، الأهلية للنشر و التوزيع ، عمان ، الأردن ، الطبعة العربية الأولى ، 2003م ، ج1 ،ج2 .

14. -إتحاف الأخصا بفضائل الأقصى ،شمس الدين السيوطي ، تحقيق أحمد رمضان أحمد ، ج2 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1984م .

15. -آثار البلاد وأخبار العباد ، زكريا بن محمد بن محمود القزويني ،دار صادر ،بيروت .

16. -أسفار في فلسطين ، ترجمة سليمان موسى ،مكتبة الإسكندرية ، عمان الطبعة الأولى ، 15 سبتمبر 1987م .

17. -أطلس تاريخ الأنبياء والرسل ، سامي بن عبد الله المغلوث ،مكتبة العبيكان ، الرياض ، الطبعة السادسة ، 1426هـ / 2005م .

18. -الصحاح في اللغة والعلوم ، عبد الله العلايلي ، إعداد وتصنيف نديم مرعشلي وأسامة مرعشلي ، دار الحضارة العربية ، بيروت ، مج2 .

19. -العقد الفريد ، ابن عبد ربه ، حققه وشرحه و عرف أعلامه محمد التونجي ، دار المدار الثقافية ،مج6،البليدة ، الطبعة الأولى ،1495هـ / 2009م .

20. -القاموس المحيط ، الفيروزأبادي ، ضبط وتوثيق يوسف الشيخ محمد البقاعي ، دار الفكر ، بيروت ،2008م .

21. -الكامل في التاريخ ، ابن الأثير، دار صادر ، بيروت .

22. -المسالك والممالك ، أبي القاسم عبيد الله بن عبد الله بن خردادبة ، إعداد وتقديم خير الدين محمود قبلاوي ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، سوريا ،1999م .

23. -الموسوعة التاريخية الجغرافية معالم ، وثائق ،موضوعات ، زعماء ، مسعود الخوند ، ج14 ، بيروت ،لبنان .

24. -تاريخ الطبري تاريخ الأمم والملوك ،أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ،مج1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، 1417هـ / 1997م .

25. -تاريخ اليعقوبي ، اليعقوبي ، دار صادر ، مج1 ، بيروت .

26. -تهذيب اللغة ، الأزهري ، حققه عبد السلام هارون وراجعه محمد علي النجار ، ج8 .

27. -رحلة ابن جبير ، ابن جبير ، دار صادر ، بيروت .

28. -رحلة بنيامين التطيلي ، بنيامين بن يونةالتطيليالنباري الأندلسي، ترجمة عزرا حداد ،دراسة وتقديم عبد الرحمان عبد الله الشيخ ،كتابخانة مركز تحقيقات كامبيوتري علوم إسلامي ، أبوظبي ، الطبعة الأولى ، 2001م .

29. -سفر نامة ، ناصر خسرو ، ترجمة يحي الخشاب ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الثانية ، 1993م

30. سير أعلام النبلاء (وبهامشه أحكام الرجال من ميزان الاعتدال في نقد الرجال)، شمس الدين الذهبي ، حققه وخرج حواشيه السيد حسين العفاني ، سعيد خيري ، المكتبة الوقفية ، القاهرة .

31. -صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، أبى العباس أحمد بن علي القلقشندي ، ج3، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف و الترجمة والطباعة والنشر .

32. -صحيح مسلم ، بشرح النووي ،ج5 ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، 1401هـ/ 1981م .

33. -فتوح الشام ، أبي عبد الله محمد بن عمر الواقد الواقدي ، ضبطه وصححه عبد اللطيف عبد الرحمن ، ج1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان

34. -في ظلال القرآن ، سيد قطب ، دار الشروق ،الطبعة الأولى ، 1972م .

35. -كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، أبي شامة شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان المقدسي الدمشقي الشافعي ،وضع حواشيه وعلق عليه إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 1422هـ / 2002م .

36. -كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك ، تقي الدين أحمد بن علي المقريزي ، قام بنشره محمد مصطفى زيادة .

37. -كتاب زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، غرس الدين خليل بن شاهين ، اعتنى بتصحيحه بولس راويس ، طبع في مدينة باريس بالمطبعة الجمهورية ،1892م .

38. -مثير الغرام إلى زيارة القدسوالشام ، شهاب الدين أبي محمود ابن تميم المقدسي ، تحقيق أحمد الخطيمي ، دار الجيل ، بيروت ،الطبعة الأولى ،(1415هـ / 1994م) .

39. -مختصر تفسير بن كثير ، محمد علي الصابوني ، شركة الشهاب ، الجزائر ، 1410هـ / 1990م .

40. -مروج الذهب ومعادن الجوهر ، المسعودي ، مج 1 ، دار الكتاب اللبناني ، مكتبة المدرسة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ،1402هـ / 1982 م .

41. -معجم البلدان ، ياقوت الحموي ،مج5 ، دار صادر ، بيروت .

42. -معجم مقاييس اللغة ، أبو الحسن أحمد بن فارس ابن زكريا ، تحقيق شهاب الدين بو عمرو ، دار الفكر ، بيروت ، 2005م .

43. -موسوعة السياسة ، عبد الوهاب الكيلاني ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ،ج 4 .

44. -موسوعة المدن العربية ، آمنة أبو حجر ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، الطبعة الأولى ، 2002م .

45. -موسوعة المدن العربية ، صبحي سليمان ، مكتبة جزيرة الورد ، الطبعة الأولى ، 1426هـ / 2006م .

46. -موسوعة عالم التاريخ والحضارة ، وهيب أبي فاضل ، نوبليس ،ج 8 ، الطبعة الثانية ، 2005م .

47. -نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، الإدريسي ، مج 1 ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، 1422هـ / 2002م .

48. -نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين الخطيب ، المقري التلمساني ، ضبطه وعلق عليه مريم قاسم طويل ، يوسف علي طويل ، مج1 ، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، طبعة خاصة ، 2011م .

49. -نهاية الأرب في فنون الأدب ، عبد الوهاب النويري ، دار الكتب ، ج1 .

المصادر الأجنبية :

1 dictionnaire culturel en langue française ,le robert couverture , la galerie , iconographie couverture tome 4 , paris.

2dictionnairefrançais , anglais , le robert , et Collinsneuvième édition ,m c p , Saran , France .

3 pèlerinage à Jérusalem et au mont Sinaï en 1831,1832,1833, marie , Josèphe de géramb .

4 voyage en orient , richard pochoche , à menchatel aux dépens de la société typographique .

المراجع :

1. أديان العرب قبل الإسلام ووجهها الحضاري والاجتماعي ،الأب جرجس داود داود ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثالثة ، 1425هـ / 2005م .
2. البيان العربي للنشر والتوزيع ، جدة . التوراة تاريخها وغاياتها ، سهيل ديب ، دار النفائس ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1392هـ/ 1972م .
3. القدس الحق ...والتاريخ ...والمستقبل ، محمد صلاح سالم ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، الطبعة الأولى ، 2003م .
4. القدس عبر العصور ، خالد عمار ،مركز فجر ، ديسمبر 2000م .
5. المدن والآثار الإسلامية في العالم ، أحمد أرشيد الخالدي ، دار المعتز للنشر والتوزيع ، الأردن ، عمان ، الطبعة الأولى ، 1431هـ / 2010م .
6. تاريخ الحملة إلى القدس ، فوشيه الشارتري ، ترجمة زياد العسلي ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، الطبعة الأولى ، 1990م .
7. تاريخ بيت المقدس في العصر المملوكي ، محمد حافظ النقر، دار البداية ناشرون وموزعون ، عمان ، الطبعة الأولى ، 1430هـ / 2009م .
8. فلسطين (القضية ، الشعب ، الحضارة) ، بيان نويهض الحوت ، دار الاستقلال للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 1991م .
9. قصص التوراة والإنجيل في ضوء القرآن والسنة ، عمر سليمان الأشقر ، دار النفائس للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، 1432هـ / 2011م .
10. هيكل سليمان بين الحقيقة والخيال ، دار البداية ، عمان ، الطبعة الأولى ، 1434هـ /2013م .

11. -أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري ، نوال عبد الرحمن الشوابكة ، دار المؤمون للتوزيع والنشر ، عمان ،الأردن ، الطبعة الأولى ، 1428هـ / 2008م .
12. -أدب الرحلة ، حسين نصار، مكتبة لبنان ، الشركة المصرية العلمية للنشر لونجمان ، مصر ، الطبعة الأولى ، 1991م .
13. -أدب الرحلة عند العرب ، حسيني محمود حسين ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية ، 1403هـ / 1983م .
14. -أدب الرحلة في التراث العربي ، فؤاد قنديل ،مكتبة الدار العربية للكتاب ،القاهرة ، الطبعة الثانية ، جمادى الأولى 1423هـ / جويلية 2002م .
15. -الإبداعات العمرانية والمعمارية العربية (الحفاظ ، الصيانة ، وإعادة التأهيل) ، قبيلة فارس المالكي ، الوراق للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، 2011م .
16. -الجاليات الأرمينية في البلاد العربية (سورية ، لبنان ،العراق ، فلسطين ، الأردن ، مصر) ،هوري عزازيان ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، اللاذقية ، سورية ، الطبعة الأولى ، 1993م/ 2000م .
17. -الحضارات في الداكرة العالم العربي تاريخ سياسة وحضارة ، فلسطين ، 2003م /2004م .
18. -الحضارات في الذاكرة العالم العربي (تاريخ ، سياسة ، وحضارة) فلسطين ، 2003م .2004م .
19. -الخطر يتهدد بيت المقدس ، أحمد صدقي الدجاني ، مركز الإعلام العربي ، الجيزة ، مصر ، الطبعة الأولى ، أكتوبر 2000م .
20. -الخطر يتهدد بيت المقدس ، أحمد صدقي الرجاني ، مركز الإعلام العربي ،الطبعة الأولى ، أكتوبر 2000م .

21. -الرحالة الأوروبيون في مملكة بيت المقدس الصليبية (1099م / 1187م) ، محمد مؤنس عوض ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1992م .
22. -الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري دراسة في النشأة والتطور والبنية ، سميرة انساعد ، دار الهدى ، عين ميلة ، الجزائر ، 2009م .
23. -الرحلة والرحالة المسلمون ، أحمد رمضان أحمد ،دار
24. -العمارة والفنون في دولة الإسلام ،سعد زغلول عبد الحميد ، المعارف ، الإسكندرية .
25. -القدس في العصر البيزنطي و الإسلامي 364م / 1917م ، إبراهيم الفني ، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، الطبعة العربية ، 2013م .
26. -القدس في العهد العثماني 1640م / 1799م دراسة سياسية ، عسكرية ، إدارية ، اقتصادية ، اجتماعية ، ثقافية) ، أحمد حسين عبد الجبوري ، الحامد ، الطبعة الأولى ، 2011م .
27. -القدس والمسجد الأقصى المبارك حق عربي وإسلامي عصي على التزوير، حسن موسى ، باحث للدراسات ، بيروت ، لبنان ، 2016م .
28. -المدخل إلى دراسة المسجد الأقصى المبارك ، عبد الله معروف عمر ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 2009م .
29. -المفصل في تاريخ القدس ، عارف العارف ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثالثة ، 2005م .
30. -الهجرات العربية من الجزيرة إلى الهلال الخصيب ، حسن حده ، العربي للنشر والتوزيع ، دمشق ، سورية ، الطبعة الأولى .

31. -أورشليم القدس في الفكر الديني الإسرائيلي ، محمد جلاء إدريس ، مركز الإعلام العربي ، الجيزة ، مصر ، الطبعة الأولى ، أفريل 2001م .

32. -بيت المقدس وما حوله . خصائصه العامة وأحكامه الفقهية . ، محمد عثمان شبير ، دار النفائس للنشر والتوزيع ، الأردن ، الطبعة الأولى ، 1423هـ / 2003م .

33. -تاريخ الحروب الصليبية في مصر والشام ، محمود السيد ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، 2002م .

34. -تاريخ الحروب الصليبية في مصر والشام ، محمود السيد ،مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، 2002م .

35. -تاريخ الشرق الأدنى القديم (مصر ، سورية القديمة) ، أحمد أمين سليم ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، 1989م .

36. -تاريخ العرب من بداية الحروب الصليبية إلى نهاية الدولة العثمانية ، عيسى الحسن ، الأهلية للتوزيع والنشر ، لبنان ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 2008م .

37. -تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، جوزيف نسيم يوسف ، مؤسسات شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع ،

38. -تاريخ القدس عبر العصور ، إسحاق رباح ، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر و التوزيع ،الأردن ، عمان ، الطبعة الأولى ، 2010م .

39. -تاريخ القدس وحاضرها منهج للتعليم العام والعالي ، عزت جرادات ، دار النفائس ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 1426هـ /2005م .

40. -تاريخ بلاد الشام في العصور الإسلامية في إشكالية الموقع والدور ،إبراهيم بيضون ، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت ، لبنان ،الطبعة الأولى ، 2002م .

41. -تاريخ فلسطين ، عمر الصالح البرغوثي ، خليل طوطح ، مكتبة الثقافة الدينية ، بور سعيد ، 2001م .

42. -تاريخ فلسطين القديم ، سامي سعيد الأحمد ،مركز الدراسات الفلسطينية ، جامعة بغداد ، 1979م .

43. -تاريخ مدينة القدس ، معين أحمد محمود ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، سبتمبر 1979م .

44. -تاريخ نيابة بيت المقدس في العصر المملوكي ، يوسف درويش غوانمة ، دار الحياة للنشر والتوزيع ، الأردن ، الزرقاء ، 1982م.

45. -حركة الحج الأوروبي إلى الأماكن المقدسة في الشرق الأدنى الإسلامي (1291م/ 1517م. 690هـ / 923هـ) ، إبراهيم سعيد فهيم محمود ، دار المعرفة الجامعية ، ج1 ، الإسكندرية ، الطبعة الأولى ، 1428هـ / 2007م .

46. -دراسات في تاريخ القدس الثقافي في العصر الوسيط ، حاتم محمد محاميد ، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، 2009م .

47. -رحالة الغرب الإسلامي وصورة المشرق العربي من القرن (12 إلى 14) ، عبد العزيز الجحمة ، دار السويدي للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، 2008م .

48. -سفر التاريخ اليهودي (اليهود ...تاريخهم ... عقائدهم ... فرقهم ...نشاطاتهم ... سلوكياتهم ... الحركة الصهيونية والقضية الفلسطينية) ، رجا عبد الحميد عرابي ، الأوائل للنشر والتوزيع ، سورية ، دمشق ، الطبعة الثانية ، 2006م .

49. -صناعة التاريخ المستقبلي (نماذج بيت المقدس لتفسير الأحداث المعاصرة وتوجيهها) ، عبد الفتاح العويسي المقدسي ، دار الخلدونية ، الجزائر ، الطبعة الثانية ، 2013م .

50. الطبعة الأولى ، 2007م .

51. -عالم الحروب الصليبية بحوث ودراسات ، محمد مؤنس عوض ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، الهرم ، الطبعة الأولى ، 2005م .

52. -عروبة فلسطين والقدس (أصيلة مند عشرات الآلاف من السنين والهيكل لم يكن مقدسا لدى سليمان واليهود) ، أحمد عبد الغفور عطار ،ساعد على نشره سلمان بن عبد العزيز ، الطبعة الخامسة ، 1400هـ / 1980م .

53. -علاقات الدولة الفاطمية بالدول الإسلامية والأجنبية ،خضر أحمد عطا الله ،دار ابن زيدون للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى .

54. -فسيفساء قبة الصخرة ، إبراهيم الفني ، دار اليازوري للنشر والتوزيع ، الأردن ، عمان ، 1468هـ / 2007م .

55. -فلسطين (القضية ، اللغة ، الشعب ، الحضارة) ، بيان نويهض الحوت ، دار الاستقلال للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 1991م .

56. -فلسطين (دراسات منهجية في القضية الفلسطينية) ، محسن محمد صالح ، مركز الإعلام العربي ،الجيزة ، مصر، الطبعة الأولى ، 1424هـ / 2003م .

57. -فلسطين قلب العروبة ، محمد فيصل عبد المنعم ، دار المعارف ، مصر ، 1967م .

58. -قصة الحروب الصليبية من البداية حتى عهد عماد الدين زنكي ،راغب السرجاني ،مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع والترجمة ، الطبعة الثانية ، يناير 2009م .

59. -قصة القدس مع الأمة والإسلام والخلافة قصة عطاء متبادل ،زياد غزال ، دار الوضاح للنشر والتوزيع ، 1432هـ /2011م .

60. -قصة مدينة ، يحي فرحان ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، دائرة الثقافة بمنظمة التحرير الفلسطينية .

61. -نصارى القدس دراسة في ضوء الوثائق العثمانية ، أحمد حامد إبراهيم القضاة ، مركز دراسات الوحدة العربية .

62. -هفوات التوراة ،حنا حنا ، دار رام للطباعة والنشر ، دمشق ، سوريا ،

المجلات :

1. مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية ، المجلد 7 ، العدد 3 ، سنة 2012م .مقال أحمد حسين عبد الجبوري .

2. مجلة آفاق ثقافية مقدسية ، العدد 74 ، جوان 2009م ، القدس الشريف (دراسة تتناول التعريف بالمدينة الإسلامية المقدسة وتاريخها وجغرافيتها وتطورها الاقتصادي والاجتماعي من أقدم العصور حتى الوقت الحاضر ، شوقي شعث .

3. مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية ، المجلد 23 ، العدد الثاني ، 2007م ، مقال : ابن حزم الأندلسي رائد الدراسات النقدية للتوراة .

الرسائل الجامعية :

1. رسالة ماجستير، بيت المقدس فيعيون الرحالة المسلمين والأجانب في القرنين السادس والسابع الهجريين ، رشاد المدني ، الجامعة الإسلامية ،غزة ، جمادى الآخرة ، 1432هـ / ماي 2011م .

2. رسالة ماجستير ، فلسطين تحت الحكم العباسي المباشر 123هـ .264هـ / 750م . 878م إعداد شريف أمين محمد أبو شمالة ، الجامعة الإسلامية ، غزة، كلية الآداب ، 1432هـ / 2011م .

3. رسالة ماجستير ، فلسطين في عصر الدويلات الإسلامية (264هـ . 492هـ / 877م . 1099م) ، عودة سعيد عودة الكرد ، الجامعة الإسلامية ، غزة ، كلية الآداب ، 1428هـ / 2007م .

المقالات :

صفحات من تاريخ اللاذقية ، العدد 8291 ، صدر يوم الاثنين 14 جوان 2014م .

مواقع الأنتيرنيت :

المجد المنيف للقدس الشريف ، عبد الله نجيب سالم ، ملتقى أهل الحديث ، موقع شبكة رنيم.

ملخص

بسم الله الرحمان الرحيم

لمدينة القدس مكانة خاصة في تاريخ البشرية، فهي تعد من أقدم وأقدس الحواضر (المدن) في العالم، فلا غرو إذا استحضرنا ثقلها الديني، إذ تلتقي فيها الديانات الثلاث (اليهودية، المسيحية، الاسلام)، كما كنت مهوى أفئدة أكثر من نصف سكان العالم، و مقصدا و مزارا و محطة للعديد من الرحالة، من مختلف الأديان و الأصقاع من العالم المترامي الأطراف فتحدثوا عنها و وصفوها، كل حسب خلفيته الدينية و الثقافية و الاجتماعية، فأبرزوا أهميتها التاريخية و الاقتصاديةو الاجتماعية و حتى العمرانية.

Au nom de dieu, le clément, le miséricordieux

Résumé

La ville de Jérusalem occupe une place très particulière dans l'histoire de l'humanité, elle est l'une des villes les plus anciennes et les plus saintes du monde. Il n'est pas étonnant donc de relater son poids religieux, car elle est le point de jonction des (le judaïsme, la christianité, l'islam). La ville impressionnait toujours plus de la moitié de la population du globe, c'est une destination de choix, un lieu de pèlerinage et d'arrêt pour les voyageurs de toutes les religions et de tous les coins du monde même les plus lointains. Ils ont tous parlé et d écrit cette ville, chacun suivant son fond religieux, culturel et social, tout en soulignant son importance historique, économique, social et même architecturale.

Abstract

In the name of god, the most gracious, the most merciful

The city of Jerusalem has a special importance in the history of humanity, it is one of the most ancient and holiest cities in the world. therefore, it's not surprising if we evoke its religious weight, it is indeed the place to which converge the three religions (Judaism, Christianity, Islam). The city was always impressing more than half the population of world, it is a destination of choice, a place of pilgrimage and a rest station for travelers, from different religions and furthers parts of the world. they all talked about it and described it, each according to his religious, cultural and social background and context, by highlighting its historical, economic, social and even architectural importance.